التصور والتصديق

بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق

تأليف

الإمام الحافظ المجتهد ناصر السنة

شهاب الدين

أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق

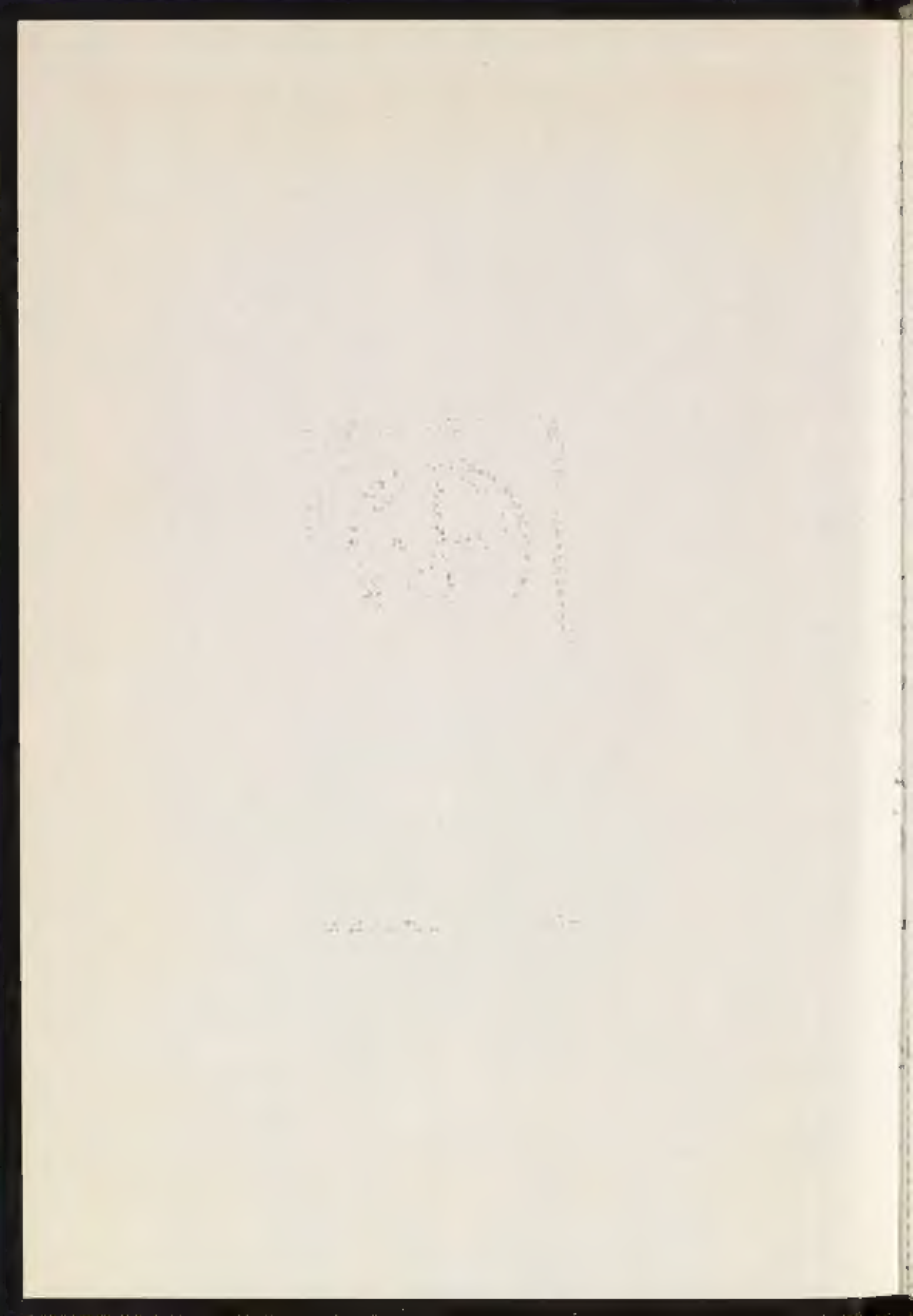
أدام الله به النفع آمين

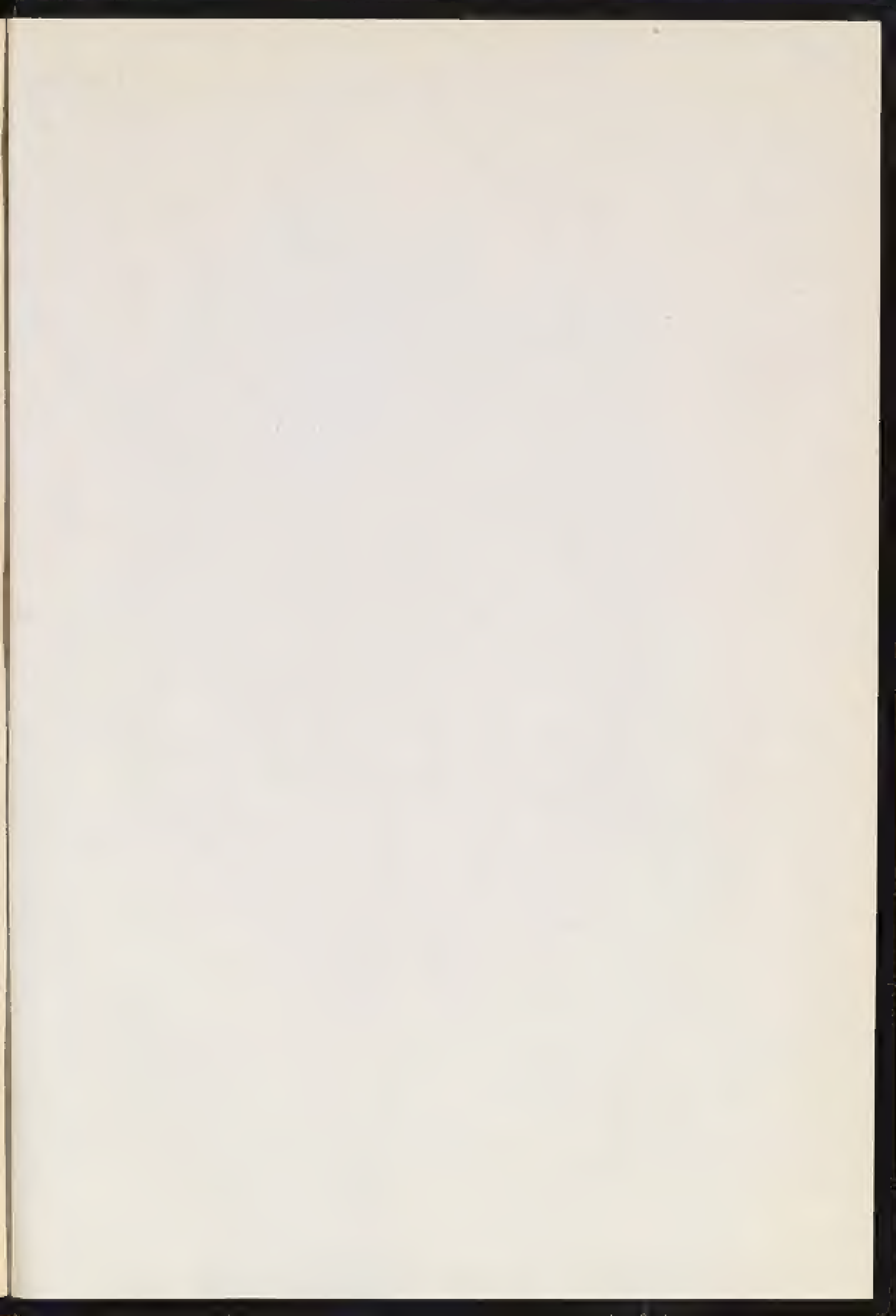
طبع على نفقة

مكتبة الخانجي ومطبعتها

سنة ١٣٦٦هـ

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر





التصور والتصديق

بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق

تأليف

الإمام الحافظ المجتهد ناصر السنة

شهاب الدين

أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق

أدام الله به النفع آمين

طبع على نفقة

مكتبة الخانجي ومطبعتها

سنة ١٣٦٦ هـ

1947

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد : فانى كنت جمعت كتاباً فى ترجمة والدى . قلت فى أوله :

الحمد لله الذى أنار القلوب بأنوار معارف أوليائه ، وأشرق فيها شموس الهداية بأسرار علوم أصفيائه ، وجعلهم نجوماً يهتدى بهم فى ظلمات الجهل من أسعده الله بحبائه ، ورفع عنه حجاب المعاصرة فأشهده خصوصية خاصة أحبائه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة نستوجب بها نيل رضائه ، ونستجلب بها كمال السرور عند لقائه .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه وخليله ، أعلم العلماء بصفات الله وأسمائه ، وأعرف العرفاء بجلال عظمة الله وكبريائه ، وأشرف مخلوقات الله فى أرضه وسمائه ، صلى الله عليه وعلى آله الفائزين برضى الله ، والقائمين بشكر نعمائه ، وصحابته السابقين إلى إجابة دعوته وتلبية ندائه .

أما بعد : فلما كان شكر المنعم من أوجب الواجبات وأشرف الخصال ، وبر الوالدين من أعظم القربات وأفضل الأعمال ، وكان تدوين مناقب الشخص وفضائله ، ونشر محاسن أخلاقه وشمائله من تمام البر به وشكر نعمته ، والقيام بخدمته ورعى حقوقه وحرمته .

جمعت كتابى هذا فى مناقب سيدى وأستاذى ووالدى الشيخ الامام العلامة

البحر الهام ، غوث الأنام ، ومصباح الظلام ، مفيد الخاص والعام ، ومقتدى الأولياء العظام ، بحر العلوم والمعارف ، ومعدن الأسرار واللطائف ، مربى المريدين ، ومرشد السالكين ، خاتمة العلماء العاملين ، وغرة جبين الأولياء الكاملين ، صاحب الكرامات الظاهرة ، والخوارق المعجزات الباهرة ، والأخلاق الزكية الزاهرة ، والشيم المرضية الطاهرة . الغوث الصمدى والفرد المحمدى . الختم الجامع ، والضياء اللامع ، برزخ الحقائق والشرائع ، المجتهد المطلق المخصوص بعناية الله على التحقيق . والمنعم عليه بكمال الهداية والتوفيق ، مولانا « محمد بن الصديق » رضى الله عنه وعنا به ، ونفعنا ببركاته قياماً ببعض ماله على من الحقوق العظيمة وأداء لبعض ماوجب من شكر نعمه الجسيمة ، فانه أنعم على دينا ودنيا ، وأحسن إلى روحاً وجسما ، جزاه الله عنى أحسن الجزاء ، وجمع بينى وبينه فى دار الكرامة والبقاء آمين .

وقصدت مع ذلك نفع الراغبين فى العمل الصالح ، والاهتداء بهدى حزب الله الفالح ، وانتهاج مناهج أهل الله ذوى المتجر الرابح .

وسميته « سبحة العقيق ، بذكر مناقب الشيخ سيدى محمد بن الصديق » ورتبته على ثلاثة عشر بابا :

الباب الأول : فى نسبه ومقر أسلافه ، وسبب انتقالهم من أحواز تلمسان إلى غمارة .

الباب الثانى : فى ترجمة أجداده من قبل الأب والأم ، وذكر مالهم من المناقب والكرامات .

الباب الثالث : فى ولادته ونشأته وطلبه للعلم ، وسلوكه طريق القوم ، ومجمل تاريخ حياته .

الباب الرابع : فى وصف حالته العلمية ومواهبه الفتحية .

الباب الخامس : فى سرد جملة من أخلاقه السنية وأحواله الزكية المرضية .

الباب السادس ، فيما أكرمه الله به من الفضائل والمزايا وما أجراه على لسان خواص عباده من مدحه والثناء عليه نثراً ونظماً .

الباب السابع : فى بعض ماجرى على يديه من الكرامات وأخبر به من الغيوب والمكاشفات .

الباب الثامن : فى الأوراد والأذكار التى كان يلقنها ويأمر بها أصحابه .

الباب التاسع : فى ترجمة بعض أولاده ، وزوجته الأولى التى توفيت فى حياته .

الباب العاشر : فى ترجمة من عرف من مشايخه ومجيزيه فى العلم الظاهر .

الباب الحادى عشر : فى ترجمة شيخه فى التصوف وسلوك طريق القوم .

الباب الثانى عشر : فى سلسلة طريقه وتحقيق اتصالها بأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه .

الباب الثالث عشر : فى ذكر مرضه وانتقاله وما قيل فى رثائه .

واعلم أنه قد سبقنى إلى تدوين مناقب الشيخ جماعة من الفضلاء . منهم الفقيه المفتى المؤرخ أبو عبد الله محمد بن العباس سكيرج الفاسى ، وسمى كتابه نبذة التحقيق ، والعالم العامل الصوفى الخطيب أبو حامد العربى بن العربى بو عياد الطنجى ، وسمى كتابه «نسمات وادى العقيق» ، والأديب الصوفى أبو عبد الله محمد بن الأزرق الفاسى ثم الرباطى ، واسم كتابه حادى الرفيق والفقيه المدرس أبو حامد العربى بن المبارك العبادى السلاوى ، وكان شرع فى كتابته أيام حياة الشيخ رضى الله عنه ، لكن صوارف الزمان صرفته عن إكماله ، وشواغل الدنيا شغلته عن الفوز بسعادة إتمامه ، وكل هذه المؤلفات حاضرة لدى ، وشاهدة بأنى حمت حول القيام بما وجب على فاها بالنسبة لكتابى كقطرة من نهر أو غرفة من بحر ، إذ رب البيت أدرى بما فيه ، وصاحب القصيد أعلم بقوافيه اﻫ .

إلا أنه لما كان واسع القول ، كبير الحجم ، تقصر الأيدى غالبا عن استنساخه وكتابته ، وتكل الهمم دون استيعابه وقراءته اختصرته بحذف ثلاثة أبواب بكاملها ، وهى الباب الثامن والتاسع والعاشر ، ولخصت مقاصد الأبواب العشرة الباقية فى هذا المختصر .

وسميته : التصور والتصديق بمناقب الشيخ سيدى «محمد بن الصديق» ، فقلت وبالله التوفيق .

الباب الاول

فى نسبه ومقر أسلافه وسبب انتقالهم من أحواز تلمسان إلى غمارة

أما نسبه : فهو أبو عبد الله سيدى محمد بن الصديق بن أحمد بن محمد ابن قاسم بن محمد بن محمد مرتين بن عبد المؤمن بن محمد بن عبد المؤمن بن على ابن الحسن بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن سعيد بن مسعود بن الفضيل بن على بن عمر بن العربى بن علال بن موسى بن أحمد ابن داود بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا هو النسب المعروف الشائع بين عائلتنا والموجود بأيديهم فى بعض التقاييد القديمة .

وذكر العلامة أبو العلاء إدريس بن محمد الفضيلى الشريف العلوى فى الدرر البهية والجواهر النبوية فى الفروع الحسنية والحسينية فى الفصل الثالث فى ذكر أبناء الفرع الثالث من فروع مولانا عبدالله الكامل ، وهو السيد سليمان مانصه وفرقة بغماره ، وهم أولاد عبدالمؤمن ، ورجع بعضهم لتلمسان وجميعهم أولاد السيد عمر الشريف بن محمد العابد بن إدريس بن محمد بن سليمان ابن عبد الله الكامل اه ، فالله أعلم من أين دخل الوهم .

أما النسب : فهو ثابت محقق بطريق الشهادة والاستفاضة والتواتر بين

الناس في الشهائد ورسوم الأنكحة والبيوعات والمناسب عن صرائح الأسلاف وغير ذلك من التقاييد والتعريف من أواخر القرن العاشر إلى هذا العصر . وكذلك في ظهائر الملوك الآمرة بتعظيم الأسلاف واحترامهم ، ورفع التكاليف اللازمة لغيرهم عنهم من دولة الشرفاء السعديين ، ودولة الشرفاء العلويين الحضريين ، إلى دولة السلطان عبد العزيز المؤرخ ظهيره بذلك سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف ، ومن بينها ظهير السلطان مولاى اسماعيل الذى بحث في دولته عن الاشراف وحقق أنسابهم بالطريق الشرعي ، فكان لا يصدر ظهيراً بإقرار النسب إلا بعد ثبوت ذلك عنده ، كما هو معروف في ترجمته ، ومن عليه حفيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله في ظهير له .

فدل ونعلم ونتحقق أن العلماء العاملين أجمعوا على أن النسب المقطوع به في عرفنا من غير شك ولا ريب ، هو ما أدخل في دفتر مولانا أحمد رحمه الله بعد ما تمحص أمره ، لأن ملكه اشتهر في المداشر والحواضر ، وشهدت له الكافة والجمهور وحقق من دفتر أبي العباس المنصور ، وبحث فيه أولا وثانيا فإذا هو مشهور اهـ

وأما نسبه من جهة الأم ، فإن والدته هي السيدة الجليلة الشريفة الصالحة فاطمة بنت الشيخ العلامة الولي الصالح أبي العباس أحمد بن الشيخ الإمام العلامة العارف أبي العباس أحمد بن عجيبة ، الذي قال في فهرسته

أنا عبد الله أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة الحجوجي ابن عبد الله بن عجيبة ، ثم إلى سيدي سحنون بن مولاى ابراهيم بن محمد ابن موسى بن عبد [illegible] ، ثم إلى مولاى أحمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر رضي الله عنهم أجمعين .

ثم أخذ في تحقيق ذلك ، ونقل إثبات نسبه عن جماعة من العلماء والأولياء

أهل الكشف ، كشيخه العارف الوريدي ، وشيخ شيخه مولاي العربي الدرقاوي مع الشهرة والاستقامة التي تثبت بمثلها النسب .

فصــــل

كان قدوم أحد أجداد سيدي عبد المؤمن الكبير من الأندلس في أواخر القرن الخامس ، ونزل بأحواز تلمسان ونشأ بها عقبه إلى أن اشتهر منهم الولي الشهير سيدي عبد المؤمن المذكور المعروف بأبي قبرين ، وذلك في القرن التاسع وأخره ثم انتقل حفيده سيدي عبد المؤمن الصغير في عمره وسط القرن العاشر خرج لطلب شيخ التربية فاتصل بالشيخ العارف أبي الحسن علي الشلي ، نزيل جبل سريف ، المتوفى به سنة إحدى وثمانين وتسعمائة ، وهو من تلامذة العارف سيدي يوسف التليدي ، أحد تلامذة القطب الغزواني ، فأخذ عنه وتخرج على يديه ، ثم انتقل يطلب محلا يختلي فيه للعبادة ، فنزل بالموضع المسمى بمكان ، من قبيلة بني منصور الغمارية ، وأقبل على العبادة ، وظهرت على يديه كرامات كانت السبب في اشتهاره بتلك البلاد واستقراره بها إلى أن مات وترك عقبه بها إلى اليوم .

البـاب الثاني

في ترجمة أجداد الشيخ رضي الله عنه من قبل الأب والأم

أما جده الأعلى سيدي عبد المؤمن بن علي ، الذي تنتسب إليه عائلة الشيخ رضي الله عنه ، فكان من كبار الأولياء ، ذا مناقب عديدة وكرامات كثيرة شهيرة ، وكان له أتباع يحبونه ويعظمونه غاية التعظيم ، كسائر أهل القبيلة اليزناسية . وكان مقصودا بينهم للتبرك والانتفاع به في الدين لما رأوا من فضله ، وشاهدوا من كراماته ، وكان يقيم بموضعين من القبيلة المذكورة وله في كل منهما تلامذة وأصحاب أحدهما يسمى تيدر ، والآخر ورصاص ، وبهذا الآخر كانت وفاته ، وبه دفن أولا . ثم جاء أهل تيدر ونقلوه إليهم .

فلما سمع أهل ودان بذلك قصدوه ليردوه إلى مدفنه الأول فامتنع من
ذلك أهل تيدكلت ووقع بينهم نزاع كاد يفضي إلى المحاربة والقتال، فبينما هم
كذلك إذ وقف الشيخ على واحد منهم في رؤيا منامية، فقال له لم
هذا النزاع وأنا موجود بالقبرين معا، فإنهم يحفرون على القبرين فإنهم
يجدوني في كل منهما، فلما أخبرهم بما رأى فعلوا ذلك، فوجدوا الشيخ
في كل من القبرين فرضي الفريقان وبنى كل واحد على القبر الذي عنده
قبة، وهي موجودة إلى الآن، وكلتاهما مزارة مقصودة.

وبسبب هذه الكرامة اشتهر في قبيلة بني يزناسن سيدي عبد المؤمن،
أبو قبرين. ولا يزال أهل تلك النواحي يشهدون له بكرامات ويأثرون عنه
مناقب وحكايات، إلا أنه لقدم عهده بالتاريخ لم يدون أحد منهم للشيخ
ترجمة ولا كتب تاريخ وفاته على التعيين.

فصل

وأما حفيده سيدي عبد المؤمن دفين تكان فإنه لما قدم إليها بعد أخذه
عن عمه رفقة أبي الحسن الشاذلي نزل على أحد سكان القرية فأكرمه باعتباره
ضيفا غريبا، ثم كلفه برعي غنمه، وكان يخرج بها صباحا ثم يذهب إلى محل
بعيد فيه حفرة واسعة فيجمعها هناك ثم يقبل على العبادة إلى آخر النهار ثم
يعود بها، وأحيانا يذهب لناحية أخرى فيتركها وحدها وينصرف. فمر ذات
يوم بعض الناس على تلك الغنم، ورأى ذئبا يحوم حولها، فذهب إلى ربها
وأخبره، فذهب ليتحقق من ذلك فوجد الغنم ترعى والذئب يحرسها، فتعجب
مما رأى ورجع إلى موضعه، فلما جاء المترجم آخر النهار سأله عن الحقيقة
وألح عليه في ذلك، فأخبره أنه يذهب إلى مكة المكرمة للصلاة بها، ويترك
الذئب حارسا للغنم، فبرأه ومن بعد ذلك تكليفه برعي الغنم، وقال له:
اشتغل بحالك وعباداتك، ولا تفكر في القوت واللوازم، وبقي في ضيافته

واحترامه ، واستمر على خدمته إلى أن مات . ودعا له الشيخ بدعوات لا تزال آثارها سارية في عقبه إلى اليوم . ثم اشتهر أمره بتلك النواحي ، وكثر ظهور الكرامات وخوارق العادات على يديه كما هو مشهور بين أهل تلك النواحي حتى إلى اليوم ، وذكرنا منها جملة في المؤذن وفي الأصل .

توفي بتحكان ، ودفن [illegible] ، [illegible] عليه ، ولا [illegible] على تعيين سنة وفاته .

فصل [illegible]

وأما حفيد الشيخ الأدنى وولده [illegible] المشهور سيدي أحمد بن عبد المؤمن ، فكان أعجوبة عصره ، و[illegible] وفريد وقته في العلم والمعرفة وهداية الخلق مع كثرة [illegible] و[illegible] ونشر الذكر .

وقد أفردت ترجمته بتأليف سميته المؤذن لمناقب سيدي أحمد بن عبد المؤمن .

ولد رضي الله عنه على رأس المائة [illegible] . وحفظ القرآن [illegible] وأتقن علم القراءات و[illegible] ، [illegible] على [illegible] غريب من الأولياء ، [illegible] ، وهو [illegible] ولي الله سيدي أحمد الفلالي ، فكان يختم فيه كل ليلة ختمة كاملة من القرآن [illegible] في صلاة ، وسأل الله تعالى أن ييسر له من [illegible] ، [illegible] في ذلك ، ولم ينشرح صدره لطلبه بفاس ، فاستمر على ذلك أربعين ليلة ختم فيها أربعين ختمة ، وصبيحة اليوم الحادي والأربعين نزل من ضريح الشيخ المذكور ، فوجد بالطريق رجلا متكمشاً في مرقعته من شدة البرد ، وعن يمينه وشماله ركوة من الثلج [illegible] عليه [illegible] ، وسأله عن حاله ، فأخبره أنه غريب مسكين ، فطلب منه الشيخ أن يحل معه ، فامتنع واعتذر بأن رجليه

حقيقتان ولا تقدر على المشي في [illegible] بدون [illegible] فجعل الشيخ [illegible]
[illegible] وبات معه وأطعمه وأكرمه وبقي معه ثلاثة أيام وفي اليوم
الرابع قال له أتعرف من أنا قال لا قال أنا من بلاد بعيدة جئت مخصوصاً
من أجلك أرسلني سيدي علي بن أحمد من [illegible] لأعلمك اسم الله [illegible]
غاية هذه الكرامة التي [illegible] الشيخ سيدي علي
ابن أحمد وذلك من [illegible] التصرف بعد الموت لأن سيدي علي بن
أحمد المذكور [illegible] ملازمه ستة أشهر ظهرت
عليه [illegible] كان [illegible] الشيخ من [illegible] الصلاح ولا أحد في
[illegible] ولا [illegible]
[illegible]
[illegible] فإنه أخذه بعد ذلك عن
[illegible]
فإنه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لا [illegible] العرب [illegible]
المرني فقصد الحجاز لأداء [illegible] الحج [illegible] وفي
طريقه على [illegible] وأخذ عنه الطريقة [illegible]
فقصد [illegible] ثم لما وصل إلى [illegible] هو واقف [illegible]
وقال له أتدري من قال [illegible] في هذا الموقف قال لا [illegible]
[illegible] والقطب الذي [illegible]
[illegible] وهو العربي بن أحمد [illegible] فقال [illegible] من [illegible]
مالا [illegible] من مكة .

ثم لما رجع إلى وطنه لم يمكث مع أهله إلا ثلاثة أيام ، ثم توجه لمقابلة الشيخ المذكور ، ولما كان بالطريق مر على عين ماء ، وكان يرافقه أخوه ، ورجل آخر ، فتوضؤوا وصلوا بها الظهر ، ثم قام إلى تلك العين وجعل يغتسل ، فقال ذلك الرفيق في نفسه لعل الشيخ كان جنباً وتذكر ذلك بعد الصلاة فلما فرغ سأله عن سبب غسله فقال لي اغتسلت من علمي ومن عملي ، إلا ما ينبني على مذهب [illegible] الرجال . ثم توجه إلى الشيخ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه ، فأمره بذكر الاسم المفرد بالكيفية التي أخذها عن شيخه القطب [illegible] رضي الله عنه ، وهي تشخيص حروفه مجردة في لوح الخيال [illegible] ثم لم يمض عليه إلا [illegible] يسيرة حتى لاح له الفتح [illegible] الطريق في [illegible] وصار يترقى في المعارف إلى أن [illegible] شيخه [illegible] شيخه [illegible] في الترجمة [illegible] واشتهر بعد صيته ، وأقبل الخلق عليه وقصدوه [illegible] وكان معتمداً في النوازل موفقاً من [illegible] على كثير من [illegible] من إملائه [illegible] الكتب ، وكان [illegible] الشرع [illegible] والمعارف ، شديد الاستحضار [illegible] يتكلم [illegible] حتى كان [illegible] عنه [illegible]

[illegible] في مودة لولده سيدي الصديق . لقد طفت بالمشرق والمغرب للبحث عن شيخ ، ورأيت عدداً كبيراً من المشايخ ، [illegible] من ذلك ولا أعتقد أن يوجد [illegible] أكمل منه وأفضل إلا النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال له العلامة [illegible] سيدي [illegible] لم [illegible]

لأن من صرف عنايته لعمارة الباطن لا يهمل ضبط الظاهر ، وأنت جمعت بين الظاهر والباطن

ولما اجتمع بشيخ القراء في عصره العلامة سيدي إدريس المنكراوي ، وبات يذاكره ليلة إلى الصباح في علم القراءات قال له : ما كنت أظن أنه بقي من يذاكرني في هذا الفن ، ودامت المذاكرة حتى انقطع من نفسه فقال له الشيخ لا تقل هذا . فإن فضل الله لا ينقطع .

ومما قصده شريف العلامة السيد محمد بن موسى العلوي لأخذ الطريق عنه بإشارة من الشيخ مولاي العربي رضي الله عنه وجلس في بعض المداشر في دوار يقرأ الحزب من القرآن مع الفقراء عقب صلاة الصبح ، فكان أول ما وقع سمعه عليه قول الله تعالى والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، فلما فرغوا من قراءة الحزب شرع يتكلم على هذه الآية فأتى بالعجب العجاب واستمر يتكلم عليها إلى وقت صلاة الضحى

وكان ذا جد واجتهاد في العبادة وعمارة الأوقات حضراً وسفراً

وكان ورده من القرآن ختمة كل ليلة وكان له ورد من صحيح البخاري يقرؤه كل يوم بعد صلاة الصبح

وله كتب منها في آداب المريد ورسائل عديدة مجموعة في مجلدة المطبعة هي غاية في الإرشاد والدلالة على الله تعالى وله تقاييد كثيرة منها تقييد على الأبيات المنسوبة للجنيد التي أولها تواجدنا إلخ وغير ذلك وصدرت على يديه كرامات كثيرة جداً

منها أنه أتى مرة إلى تطوان ، وكان قائدها أشعاش مسجوناً فجاءت والدته إلى الشيخ وطلبت منه أن يستشفع لولدها عند القائد فخاطبه وتوجه إليه ، فلما رآه القائد من بعيد عرف أنه يقصده في أمر فقال لحاجبه اصرفه عني لما رآه ، فخرج إلى الشيخ والتمس منه بعدما قال له إلخ

ذات محكمة سائلا منه عن مراده ، فقال له جئت مستشفعا فى ولد هذه المرأة
ثم عفر عذاره بالأرض ، وقال الله ماذا ... فقد بشر إلى الحاجب
نحو سجن أى اذهب وأخرجه فذهب وأخرجه وانصرف الشيخ فتكلم القائد ،
وقال لأصحابه ولا تكلموا بذلك ... خرج الرجل من السجن خرجت روحى ،
فلما عفر عذاره فى الأرض أحسست بأن كلاب معرورة فى صدرى حتى كدت
أموت ولم يبق لى إلا أن أطلقه .

ومنها أن خديمه سيدى على جمعون كان معه ... ، قال
... ذات يوم ... بالشيخ أن يكتب ... ، وقال : اذهب على
ركبتك ... ولم أدر ... ، ولا لى أن
أذهب فقعدت ... مرة من مسترشد
فقال له ... الله أجرك ... ، فقالت قد وقعت دارك على المرأة
والأولاد وماتت ... ، قال فعند ذلك فكرت فى كتاب الشيخ
... إلى أهل وولد ووطن
و... ومسكن ... فقلت لا إله إلا الله على الإطلاق ... ، قال
... فقال أن أكلمه عظم الله أجرك وفى سبيل الله
ما نزل

ومنها أن جماعة من تلامذته ... دعوه فى بعض قدماته إليها لتناول
... واتفقت دعوتهم فى يوم واحد ، فأجاب الكل وحضر عند
الجميع فى وقت واحد

ومنها أنه دخل يوما إلى المسجد لصلاة الجمعة وقد بقى لخروج الخطيب
نحو ربع ساعة ، ... ركعتين فختم فيهما القرآن بتمامه ورجع إلى ...
... ، ثم خرج الخطيب .

وله كرامات غريبة ذكرتها فى الأصل وفى ترجمته المفردة مات ... يوم

لأربعاء سابع عشر جمادى الأولى من سنة اثنين وستين ومائتين وألف ودفن بتحكان، وقبره مزاره عظيمة وعليه قبة حافلة، ويقام به مولد كل سنة.

فصل

وأما والد الشيخ رضي الله عنه، وهو ولد المترجم قبله فهو العارف بالله الهائم في محبة الله الغارق في بحر مشاهدته صاحب الأذواق والأحوال والكرامات أحد الأبدال سيدي الصديق رضي الله عنه ولد سنة ست وأربعين ومائتين وألف، وحفظ القرآن في حياة والده وقبل التوجه لطلب العلم توفي والده ولم يترك ولداً غيره، فعزم أصحاب أبيه على توجيهه إلى فاس لطلب العلم فامتنعت والدته إذ لم يكن لها ولد غيره، وليس عندها من يقوم بالزاوية العامرة بالفقراء، والمقصودة بالزوار والضيوف فزوجته وبقي معها يعمر الزاوية، ثم أخذ الطريق عن عم والده العارف بالله سيدي الهاشمي وهو الذي كان يسمع ذكره للاسم المفرد من قبره بعد موته إلى أن أتى إليه بعض إخوانه من تلامذة الشيخ، وقال له تأدب مع الحضرة فإنك اسقطت في عالم الأرواح فسكت وسلك على يديه إلى أن فتح له في أقرب وقت فقصد واشتهر وأثنى عليه الخاص والعام. وكان ذا جاه عظيم بين القبائل الجبلية والهبرية يدخل في شفاعات في الأمور العظام ويتوسط في الخصومات والجرائم العظام لا ترد له كلمة ولا تسقط له شفاعة سواء بين العائلات والأفراد وبين عموم القبائل، وكان مغرماً بشراء العبيد والإماء والبغال فاشترى من ذلك الكثير، وكان لا يبقى في يديه من الدنيا شيئ وقد وجدت الآلاف المؤلفة وضاع كل ما تركه والده من كتب وغيرها ولم يلتفت إلى شيء من ذلك.

وكان عظيم الشوكة في الناس لا يسوء أحد الأدب معه إلا عوقب في

الحال وكان والده رضي الله عنه أخبر عنه بحديث فكان يقول لأصحابه إذا
شاب نفسه وضر به سنه فكونوا معه على بال فكان لا ينام الليل إلا قليلا
ومن عادته أن يقوم ويتوضأ ويؤذن ويصلي مدة ثم يرقد قليلا ثم يقوم
ويتوضأ ويؤذن ويصلي ماشاء الله ، ثم يرقد ، وهكذا مراراً إلى أن
يطلع الفجر .

وكان رقيق القلب إذا سمع موعظة بكى ، كما أنه كان إذا سمع آلة الطرب
يكثر من البكاء ويحصل له شوق عظيم إلى الحضرة العلية

وكان محبباً لدى العامة والجمهور شيخاً بين الطلبة متواضعاً فيه دعابة
لا تخدش الوقار يمزح معهم ويلاطفهم ، ثم يجلسون إليه ، ويكون واحداً منهم
لا يتميز عنهم ، ويرى ذلك تشبهاً بأهل الصلاح والسنة ، وكان يحب التزوج فتزوج
كثيراً ونسل حتى رأى من بنيه من الأولاد والأحفاد والأسباط وكان بين
بكره وآخر أولاده ما يزيد على ثمانين سنة

ذكر مولانا الشيخ الوالد قدس سره أن بعض أهل الله قال له إن
والدك يحب فقراء بلدته من الكتاب لا ... ولو توجه إلى حمل لحرفه
بنظرته لتسامت ... وحصل له ، وكان هو يقول في حقه إنه
من الأبدال وجرت على يديه كرامات عديدة منها أن صاحبه محمد عرعد
وكان يمازحه كثيراً أتاه يوماً فقال له إني أموت ياسيدي فقال له في اليوم
الذي تذهب إلى السوق وترجع بشكيل على رأسك لا تكيل به لأحد وكانت
حرفته كيالاً بالسوق فصار كلما رجع عنده ذهب يوم الثلاثاء إلى
السوق واستمر طول اليوم لم يحصل السوق حتى رجع ولم يكل شيئاً فلما
وصل إلى بيته . قال لأهله إني غداً أموت فلابد أن تحملوا الجنازة في
حياتي فصار أهله يردونه عن ذلك وهو يقول لايمكن أن يتخلف خبر
سيدي الحاج الصديق فمات حقاً وقولا الطلبة الذين يقرأون القرآن في

[illegible] والقرآن [illegible] وأصبح [illegible]
اهله فاذا هو ميت .

ومنها أنه كان جالساً مع أعيان قبيلة [illegible] فقدم لهم [illegible] المناسطة كما كانت عادة [illegible] من المدح [illegible] واحد منهم [illegible] يوم الاثنين وهو حاضر صحيح [illegible] كان يوم الاثنين [illegible] [illegible] وهو [illegible]
الأمر [illegible]

ومنها [illegible] كانوا [illegible] وكانوا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وقالوا لا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وعشرين [illegible] احدى وثلاثين [illegible] .

فصل

وأما والده [illegible]
[illegible] شيخ [illegible] ابن عجيبة [illegible]
كانت [illegible] في الصلاح [illegible] والتقوى [illegible]
عمها [illegible] سيدي عبد القادر ابن عجيبة [illegible] أخيه سيدي محمد
ابن عبد المؤمن [illegible] وتحققت بأخلاق
أهل الصدق والتصديق [illegible] الاستغفار فان كلما أحد أحاته

ثم رجعت إلى الاستغفار وكانت تهيء زوجها أمر الزواج وتصلح من شأنه وتدخله على العرائس اللتي في بيت حضرتها ثم تقف على عتبته ولا تأخذها ما تأخذ النساء عند ذلك من الغيرة. وكانت شهيرة بالصلاح والتقوى عفيفة الخدمة مقبولة الشفاعة يقصدها الناس لذلك وكانت عند كبرها تكثر السفر لزيارة شيوخها وخصوصاً مصحوبة بأخيها مولاي الشيخ الوالد يتبرك بالصالحين وزيارة ضريح القطب مولاي عبد السلام بن مشيش ، وكانت حريصة على تربيته على الاعتقاد ومحبة وتعظيم أهل الله والمحافظة على أداء فرائض ولوازم آداب الشريعة ، وكانت تقوم بالليل ، فإذا صلت الصبح جلست لذكر الوظيفة جهراً مع جماعة النسوة إلى أن تطلع الشمس وتصلي الضحى

ماتت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف

وصل

وأما والدها فهو الشيخ العلامة الفقيه الصوفي العارف أبو العباس أحمد بن أحمد ابن عجيبة الحسني

ولد رابع جمادى الثانية من سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف بقرية الزميج من القبيلة الأنجرية ، وماتت والدته وله من العمر سنتان ، فنشأ في حجر عمه بالمدشر [illegible] ، ولما حفظ القرآن توجه إلى فاس لطلب العلم ، فأخذ عن جهابذة شيوخها كبدر الدين الحمومي ، وعلي بن عبد السلام التسولي شارح التحفة والقاضي عبد الهادي بن عبد الله العلوي وغيرهم وأقام مدة يجتهد فيها وحصل ثم رجع إلى بلده سنة سبع وأربعين ، واجتمع بجدنا سيدي محمد بن عبد المؤمن فأخذ عنه وسلك على يده وكان علامة محققاً فصيحاً بليغاً حافظاً له باع في العلوم لاسيما المعقولات ، فكان لا نظير له فيها بتلك النواحي

واتفق أن قدم إلى طنجة بعض علماء شنقيط ، فاستطالوا على أهلها

تخصصهم ومعرفتهم وصاروا يعترفون بفضله ويحتجون به في الحديث

[illegible] شهر من التوجه [illegible] في [illegible] القدوم إلى المصرية [illegible] فخرج [illegible] وقدم [illegible] ومصر مذكور ومشهور [illegible] فرحبوا بها وأحبه لذلك أهلها وطلبوا [illegible] لإقامته بها للإفادة والتدريس ، ووجد بعض سراتها بابنته وصار يشفق عليه [illegible] وأقام بها إلى أن مات ، وكانت دروسه كلها [illegible] فصاحته [illegible] وحفظه [illegible] العصرون

وكان يعمر [illegible] لا يحصل [illegible] توجه إلى الحج [illegible] الحج [illegible] وقف [illegible] بين يديه بعض خدمه [illegible] من [illegible] ومكن [illegible]

فقال لا يمكن [illegible] تحت [illegible] المؤدي [illegible] الحجرة [illegible] ورجع إلى مكة [illegible] لأن يد الإهمال والضياع سطت على [illegible] وضاعت مصنفاتها [illegible] إلا أوراقا من فهرسته والمعنى أن له رسالة في الحوض وكذا في [illegible] ورسائل في التصوف

وكان [illegible] حضور الجهاد لما بعث بوادر الخلاف بين المسلمين والأسبان ولكن [illegible] فمات قبل ذلك بسنة ، فإن الحرب وقعت سنة ست وتسعين ومائتين وألف ، ومات هو سنة خمس وتسعين لم [illegible] ودفن ببيته الذي كان يسكنه وفتح له باب إلى الطريق وجعل ضريحا له

وتعديل

وثم ولده فهو الشيخ الامام الحق شمس العارف [illegible] ابو العباس
احمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة.

ولد سنة [illegible] وحفظ [illegible] ومئة وثمانين وحفظ [illegible] وبعض
المتون كالاجرومية والخلاصة والمرشد المعين و [illegible] ومورد [illegible]
الامين وغيرها واشتغل بقراءة [illegible] في [illegible] والتقوى و [illegible]
النفس و [illegible] مع [illegible] و [illegible] و [illegible] وهو [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] دروس في [illegible]
[illegible] الاخر من [illegible]
وعن [illegible] في النحو [illegible] والكلام
والفقه والحديث [illegible] الاصول والبلاغة [illegible] وختم من
الاخر صحيح البخاري [illegible] وصحيح مسلم [illegible]
[illegible] البخاري في الاصول والبلاغة [illegible]
[illegible] في التفسير والحديث
وعن [illegible] في [illegible] والبلاغة والاصول والتصوف
و [illegible] صحيح البخاري [illegible] من صحيح مسلم ثم
رجع [illegible] صحيح [illegible] العلامة محمد التاودي بن سودة [illegible]
له [illegible] عامة وحدث عن [illegible] محمد بن [illegible] من تفسير
[illegible] له [illegible] عامة [illegible] محمد [illegible] من التفسير
وعن العلامة [illegible] والمختصر [illegible] ثم رجع
الى تطوان فاقام مدة [illegible] وعظ [illegible] قراءة
الشرح اي [illegible] على الحكم [illegible] عرفت [illegible] وتقصيرها [illegible]

يقرأ من [illegible] ويخرج إلى الأماكن الخالية فيقرأ خمسة عشر حزباً من القرآن
وبقي سنين كذلك ولا يفتر عن ذكر الله ليلاً ونهاراً ، ثم رجع إلى تعلم [illegible]
رؤيا رآها أمره فيها بعض الصالحين بذلك ، لكنه رجع [illegible]
[illegible] حتى [illegible] . ثم [illegible] يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم حتى حفظ دلائل الخيرات ، ثم رأى أن الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم في السبحة أقرب [illegible] وأجمع للنفس فأقبل عليها
واستغرق وقته فيها فكانت تشرق عليه [illegible] وقصور
[illegible] ثم حبب [illegible] القرآن العظيم فأقبل على تلاوته فكان
يختمه [illegible] عشرة مرة في شهر ودام على هذه الحالة من [illegible]
[illegible] عشرة سنة [illegible] كثيراً [illegible] على يديه في
العلم [illegible] والتقوى [illegible] ولما كان [illegible]
[illegible] الشيخ الأكبر مولاي العربي الدرقاوي ،
[illegible] سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنهما
[illegible] شيخ ، فكان أول ما [illegible]
[illegible] ثم دخل [illegible] على الشيخ مولاي العربي ، فقال له [illegible]
[illegible] قال له البوزيدي [illegible] فقال [illegible]
[illegible] لأنه [illegible] ثم رجع [illegible]
[illegible] وهو [illegible]
[illegible] وكان يقول [illegible]
[illegible] سيدي أحمد بن عجيبة [illegible] ثم بعد
[illegible] تطوان ، [illegible] وتفقه معه ثم [illegible]
[illegible] ثم بعث
[illegible] سيدي أحمد [illegible] الورع والتوكل
[illegible] والتسليم والشفقة والرحمة [illegible] حتى

عند نحو اثنى عشر مقاما . فقال له المرحوم سيدي: هذا هو التصوف ، فقال
له: هذا تصوف الصدر وبقي تصوف الماس ستعرفه إن شاء الله ، ثم صحبه
وصار يتردد إليه في غمرة ، وخدمه بنفسه وماله ، وأقبل على المجاهدة في النفس
وطوى وخرق العوائد وترك . وكان مشتغلا على النفس فلبس جلابة من صوف
قصيرة غليظة ، وخرج يمشي في الأسواق مع الفقراء وهم يذكرون وفي عنقه
سبحة غليظة ، فرغب إليه أهله أن يترك ذلك ويرجع لحالته الأولى ، فبكوا
عليه ، وعزى بعضهم بعضا فيه كأنه رمي في جب ، وصارت الوفود من
الناس تأتي لتعزية أهله . فلما رأى ذلك استأذن شيخه في لبس المرقعة فأذن
له فيه فلبس ، ثم أمره شيخه بإخراج كل ما يفضل عن قوته آخر كل يوم ، ولا
يدخر لغده شيئا ، ثم أمره بخدمة الفقراء وغسل ثيابهم بنفسه ، وبالسؤال في
الأسواق والدكاكين وعلى أبواب المساجد عند خروج الناس من الصلاة ،
فثقل ذلك عليه جدا ، حتى كان يتمنى الموت ويستعجله

ثم لما رأى من نفسه اشتغالا خفيفا بجهة مطلبه لبعض ذلك ، فذهب إلى
باب مسجد ، وجلس مع العجائز والعميان ومد يده للسؤال ، فكان الناس
يتخطون وجوههم حينئذ منه ، ففعل ذلك مرارا عند جميع أبواب مساجد
تطوان المعمورة ، ثم أمره بعد ذلك بكنس الأسواق وحمل ما فيها من زبالة
على عنقه ورمي ذلك خارج البلد . ففعل ذلك مرارا ، ثم أمره بحمل الجراب
على ظهره ، فصار يحمله وهو إمام ببعض المساجد . فكان إذا دخل للمحراب
وضعه ، فإذا أتم الصلاة أعاده ، وخرج يسأل الناس في الأسواق إلى غير
ذلك من أمثال هذه وأشباهه إلى أن فتح الله تعالى عليه الفتح الكامل وصار
من أهل الشهود والعيان وبلغ رتبة الكمال والمكملين ، فأذن له بالتصدر
للإرشاد والتذكير والتربية . فخرج سائحا في العشائر والمدن ، وأقبل عليه
الخلق وانتفعوا به انتفاعا ظاهرا ، وتاب على يديه الجم الغفير ، ودخلوا في
طريق أهل الله أفواجا . وحصل له في ذلك نور كبير وأخبار يطول ذكرها .

وأخذوه بالمحن بسبب لبس المرقعة والإعراض عن التعريس فمضى به مدة إلى أن شهدوا عليه بالتوبة والرجوع فشهد بذلك عملا بقوله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) . وقصته فى ذلك طويلة مشهورة .

وألف مؤلفات نفيسة أكثرها فى التصوف .

منها تفسيره البحر المديد الذى جمع فيه بين عبارة أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن ، وهو فى أربعة مجلدات ، وإيقاظ الهمم فى شرح الحكم وشرح المباحث الأصلية ، وهما مطبوعان معا ، وثلاثة تفاسير على الفاتحة ، وشرح الهمزية ، وشرح البردة ، وشرح الوصية لابن زروقة ، وشرح الحزب الكبير للشاذلى ، وشرح أسماء الله الحسنى ، وشرح المنفرجة لابن النحوى ، وشرح تائية الجمعدى ، وتأليف فى اللباس وأحكامه . وآخر فى ذم الغيبة . وآخر فى الأذكار النبوية . وتأليف فى قراءات العشر فى مجلد ، وأزهار البستان فى طبقات الأعيان ، وشرح صلاة ابن مشيش ، وشرح خمرية ابن الفارض . وشرح قصيدة الرفاعى التى أولها : يا من تعاظم حتى رق معناه ، وشرح بعض مقطعات الششترى ، وشرح النونية له ، وشرح رائية شيخه البوزيدى فى السلوك ، وشرح تائيته أيضا ، وسلك الدرر فى القضاء والقدر . وشرح أبيات و[illegible] الغيب والتشوف فى حقائق التصوف ، وكتاب خمرة الأزلية . وكتاب الطلاسم التى حجبت عن الوحدة الخمس ، وشرح صلاة ابن العربى الحاتمى . وحاشية على الجامع الصغير للسيوطى . وشرح الآجرومية بالنحو والتصوف ، وهو الذى جرد بعضهم منه قسم التصوف المطبوع . وله مؤلفات أخرى لم تتم ، وجرى على يديه كرامات تطول ذكرها .

مات بقبيلة بنى سعيد بمزرعة عند شيخه البوزيدى فى [illegible] ١٢٢٤ هـ ، ثم بعد مدة نقله أصحابه ليلا من غير علم أهل القبيلة المذكورة ، فكانوا يسيرون

به ليلا ويكمنون نهارا إلى أن أوصلوه إلى الرميح من القبيلة الأخرية حيث ضريحه الآن .

وكانت وفاته سنة أربع وعشرين ومائتين وألف

الباب الثالث

في ولادته ونشأته وطلبه للعلم وسلوكه الطريق ومجمل تاريخ حياته

ولد رضي الله عنه ليلة الجمعة خامس رجب سنة خمس وتسعين ومائتين وألف بتجكان ، من قبيلة بني منصور الغمارية

وحفظ القرآن وهو صغير برواية ورش ؛ ثم شرع في حفظه بالقراءات السبع ، فقرأ جملة برواية المكي على شقيقه سيدي أحمد ، ثم شرع في طلب العلم ببلده على أخيه العلامة البارع ، صاحب الأخلاق الحسنة سيدي محمد القاضي وعلى ابن عمه العلامة المحقق زين العابدين بن محمد المؤذن ، فأخذ عنهما بعض المبادئ ، ثم رحل به والده إلى فاس سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف

وله من العمر سبعة عشر سنة ، ولم يذهب به إلى زاوية أصحاب أبيه ليتفرغ للعلم ولا يشغله الفقراء عن طلبه ، فابتدأ يقرأ الآجرومية بشرح السوداني على أبي عبد الله محمد بن التهامي كنون وبعض الكتب الصغيرة على غيره فصعب عليه الأمر وصار لا يدري ما يقوله الأساتذة فقصده يوما رجل لا يعرفه فقال له أعطني سبعة ريال ولم يكن عنده فذهب في الحال ورهن شرح عبد الباقي الزرقاني على مختصر خليل وأتاه بها وانصرف ثم بعد ذلك رأى في ليلة كأن رجلا أتاه وقال له هات الكتاب الفلاني الكتاب سماه فأتاه به فعصره في فمه إلى أن أكله ، فلما انتبه وذهب للدرس وجد نفسه كأنه كان يقرأ منذ سنين وصار لا يقول الأستاذ معنى إلا أدركه في الحال وكذلك إذا طالع هو وحده يفهم بسرعة من غير معين ولا مذاكر ، ثم حصل له مرض لزمه الفراش ، فبينما هو

ذات يوم في بيته من المدرسة إذ دخل عليه شيخ الامام العارف القدوة
بقية السلف الصالح القطب الرباني سيدي محمد بن إبراهيم رضي الله عنه فقال
له إن الناس [illegible] وجدك بالمدرسة هذه لا يمكن [illegible] معي، فأخذه إلى داره وبه
[illegible] وأكرمه غاية، وأتاه بكل ما يحتاجه من كتب وملابس، وصار
يخدمه بنفسه، وكلف الفقراء [illegible] بخدمته [illegible] ومراعاته. ثم صار
يكتب له المتون في لوح ويقول له إن حفظته [illegible] فكان كلما
حفظ لوحا [illegible] سأله عن حفظ المتون فيكتب له الخلاصة ومختصر
خليل. وكان يقرأ معه ذلك في الزاوية ويفهمه معنى [illegible] الاختصار
ثم [illegible] وكان [illegible]
[illegible] ولما [illegible] العلوم [illegible]
ولما [illegible] سيدي [illegible] محمد بن [illegible]
[illegible] شيء [illegible] يقول له من
[illegible] يريد بذلك التيسير عليه والاشارة [illegible]
[illegible] وكان [illegible]
[illegible] وكان [illegible] جميعهم [illegible]
[illegible] حتى كان [illegible] الفقراء [illegible]
[illegible] وكان [illegible] يقول [illegible] من [illegible]
[illegible] له من يقرأ [illegible] الاخيه [illegible]
[illegible] قراءة حتى لا [illegible]
[illegible] الشيخ [illegible]
[illegible] في عنقه فثقل عليه ذلك
الأمر [illegible] المون وكان [illegible]
[illegible] ومن صوته [illegible] شيء [illegible] على [illegible] ولا [illegible]
[illegible] لا [illegible] للعلم [illegible] على
ذلك نحو ثلاث سنين [illegible]

في العلم الخاص ، ولم يحتج بعدها الى شيء ، وصار علم أهل عصره ومقدمهم

ثم بعد [illegible] قراءته بنفسه على الشيخ الامام العلامة المحدث [illegible] أبي
عبد الله سيدي محمد بن جعفر الكتاني في مختصر خليل قراءة بحث وتحقيق
بشرحي الخرشي والزرقاني معه وختم عليه موطأ مالك وبعض صحيح مسلم
وقرأ عليه بعد ذلك الخلاصة بشرح المكودي ، ومقدمة جمع الجوامع لابن
السبكي وكان لا يفهم ما يقرره الشيخ فيها كما ينبغي ، فسأله يوما شيخه سيدي
محمد بن ابراهيم رضي الله عنه عن فهم الأصول فحدثه بواقعه فرأى تلك
الليلة في منامه كأن العارف سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه تفل في
فيه ولقنه ورد الطريق وأتى معه بشرح جمع الجوامع للمحلي ، وشرع يقرؤه
معه من أوله حتى ختمه

ومن [illegible] ما وجد منه عقب [illegible] وأدرك بعد ذلك الأصول وصار
يملي فيه بنقل أصوله وفروعه ويدري خباياه [illegible] كأنه صار
[illegible] متضلع [illegible] لا سيما الفقه المالكي فكان يحفظه ،
[illegible] مما من متونه [illegible] و [illegible]
معه وذلك [illegible] الامام مالكا
رضي الله عنه في قصة [illegible] قال له
ائتني بكتاب من [illegible] فقرأه معك [illegible]
هو نصيبه فقرأه معه فحصلت له بركة تلك [illegible]
سيصل رتبة الامامة فيه حيث [illegible] المذهب

وحضر أيضا على شيخ الجماعة الامام [illegible] سيدي أحمد
ابن الخياط في الخلاصة بشرح المكودي وصحيح البخاري بشرح القسطلاني
والشمائل بشرح جسوس والهمزية والمرشد المعين

وعلى العلامة الصالح سيدي [illegible] في مختصر والخلاصة
وتوضيح ابن هشام والمكودي معا وفي مختصر السعد على التلخيص ، [illegible]

الحكام لابن عاصم الا [illegible] مختصر من هذه الى القتل

وعلى العلامة محمد [illegible] في مختصر والخلاصة

وعلى العلامة محمد حسون [illegible] في المختصر شرح الدردير وفي المطول بحواشيه وفي صحيح البخاري والشمائل الترمذي [illegible].

وعلى [illegible] صاحب الاحوال في [illegible] درس [illegible] اوائل الخلاصة و [illegible] في [illegible]

وعلى [illegible] محمد [illegible] رسالة [illegible] ابن [illegible] في الاستعارة

وعلى العلامة [illegible] خشي [illegible] [illegible].

وعلى العلامة [illegible] مختصر [illegible] كان [illegible] المتن [illegible] [illegible].

وعلى [illegible] محمد [illegible] شرح الاجرومية [illegible] الخلاصة [illegible] [illegible] من [illegible] شرح الخرشي.

وعلى [illegible] سيدي عبد الملك [illegible] مختصر خليل [illegible] من اوله الى [illegible] وقطعة من شرح [illegible] والبلاغة من شرح [illegible]

وعلى فقيه المغرب [illegible] سيدي المهدي [illegible] من الخلاصة

وعلى الفقيه محمد [illegible] لامية الافعال [illegible] من تصريف الازهري

وعلى [illegible] محمد [illegible] لامية الافعال [illegible].

وعن العلامة الشريف سيدي المأمون العراقي الخلاصة .

ثم رجع [illegible] وصنه في ربيع الثاني من سنة خمس عشرة ثم عاد [illegible] فاس
قرة شيخه [illegible] في سنة ثمان عشرة [illegible] سلام وغيره [illegible] على [illegible]
[illegible] فاختصر هو [illegible] شرح [illegible] الذاكر [illegible]
سيدي [illegible] من [illegible] وكان [illegible]
[illegible] لذلك [illegible] وشرب [illegible] وكان [illegible]
في [illegible] وشرع في تدريس [illegible] فقرأ [illegible]
[illegible] ثم الاجرومية ، ثم [illegible] شرح المكودي ، ثم بعد
[illegible] شرحي [illegible] والمكودي معا . وقرأ لامية
الافعال والسلم للاخضري [illegible] شرح [illegible] البوصيري والمرشد [illegible]
[illegible] الشيخ [illegible]

قال السيدي [illegible] قرى [illegible] كان الشيخ [illegible] الكلامه
وقرير [illegible] وكان [illegible] تلك
[illegible] لا [illegible] من كلامه [illegible]
[illegible] وشرع في
[illegible] في [illegible] ثم [illegible] ايه [illegible]
[illegible] في [illegible] على [illegible] في [illegible]
[illegible] سيدي [illegible] .

قال في [illegible] التحقيق ، وكان [illegible]
[illegible] على [illegible] وقال [illegible]
[illegible] شوال [illegible] عشرة [illegible] على [illegible]
قاصي [illegible] في [illegible] وهي من [illegible]
العلامة الرهوني ، [illegible] الوقت و [illegible] في

عمل مع أذية باطنه ، وعبر ذلك فاشتهر الحاضرون من سعة حفظه وعذوبة نغمته وتأثير وعظه

ثم اشتهر أمره وصار الطلبة يتهافتون إليه ويأخذون عنه فسرد لهم وفتح مرة صحيح البخاري فشاهدوا كثيراً من فوائده مع حسن النغمة وفصاحة إلى آخر ما قال

و [illegible] به سنين وخرج عليه جماعة من أهل الحضر والبوادي وكان في تدريسه بركة ظاهرة بحضرة [illegible] فيحصل له الفتح ونال الحظ الأكبر والنصيب الأوفر من ذلك العلم بل ومن غيره .

وكان [illegible] مرة لا يستطيع أن يشرع فيه ولا تمس نفسه [illegible] على جماعته لكونه لا يرى في [illegible] مرآه في قراءة الشيخ من الفصاحة والحفظ وكثرة الاطلاع وشدة الاستحضار حتى أن بعضهم شد رحله إلى فاس ثم رجع ونال [illegible] قراءة الشيخ [illegible] أخذ عنه بكثير في [illegible] وكذا قال غيره ، [illegible] قراءته [illegible]

[illegible] في [illegible] يكسو [illegible] لا توجد في مجالس غيره [illegible] بالتدريس [illegible] جميع الأفاضل فكانوا يجالسونه كثيراً ويسمعون من فوائده [illegible] والعلم والدقيق وأخبار الأولياء والشيوخ ، [illegible] للأخذ عنه فلقيه [illegible] الطريقة لشدته [illegible] ويسمعون عنه وهم [illegible] وكان أكثر اجتماعهم بدكان الرجل الصالح سيدي محمد الجزيري رحمه الله ، [illegible] الأحذية ، ثم لما كثروا صار يقعد معهم مجلس الذكر صباحاً [illegible] زاوية العارف بالله سيدي محمد الحراق من صحبه ، وذلك أواخر سنة ثنتين وعشرين .

قال في [illegible] وعند دخول سنة ثلاث وعشرين [illegible] أسراره وظهرت

نوره وأشرقت على الخواص والعوام ذي شموسه وأقماره وكسيت البلد بظهوره
حلة الأنس و[illegible] [illegible] نوب البؤس والحزن والترح متوارد
الأنس لأحد [illegible] عنه [illegible] وتحدثت القلوب إلى الله بهمته وارتفعت
همم من [illegible] من حضيض الكون وخشيته فما رجل من في البلد [illegible]
[illegible] فقد [illegible] من [illegible] وتعلق قلبه بالله، ذلك كله [illegible]
همته [illegible] من غير أن يدعو أحداً لأخذ الطريق عنه والانتساب إليه [illegible]
[illegible] الطريق [illegible]
[illegible] وكان [illegible] يكون من [illegible] و[illegible] والسكينة والوقار
و[illegible] حتى كأن [illegible] رؤوسهم [illegible]
[illegible]

و[illegible] كلامه [illegible] من غير [illegible] ولا
[illegible] وكان كله [illegible] على [illegible] شريعته و[illegible]
[illegible] الأخلاق [illegible] و[illegible]

كان شديد [illegible] على الحقائق والأسرار [illegible] ولا يذكر
[illegible] كما كان عليه [illegible].

وكان يقول: لا ينبغي للمريد في بدايته أن يشتغل بمطالعة كتب الحقائق
والأسرار [illegible] كتب [illegible] من كتب التوحيد، فإن ذلك
[illegible] المريد و[illegible] عن مقصوده، لأن الحقائق والأسرار
لا يتوصل إليها من الكتب [illegible] وإنما تدرك بالعمل و[illegible]
وصحبة الأشياخ.

ثم [illegible] و[illegible] والأذكار مع امتثال أوامر الشيخ وإرشاده في
ذلك [illegible] الحقائق، وتنفجر من قلبه عيون الأسرار من غير مطالعة
كتب.

وقرأ مع الفقراء رسائل جده القطب سيدي الحاج أحمد بن عبد المؤمن
ثم رسائل شيخه القطب الأكبر مولاي العربي الدرقاوي مرتين بتمامها كرته
الماضية ، وإشاراته الجامعة ، ثم جهود المعروف الشعراني ، ثم المباحث الأصلية
لابن البنا بشرح ابن عجيبة ، ثم الحكم العطائية بشرحيه ابن [illegible] و[illegible]
شرح ابن عباد ، ثم حزبه من [illegible] ابن عجيبة ، ثم [illegible]
الجامعة نحو [illegible] أعوام في زاويته الكبيرة في [illegible] .

وكان السبب في ذلك بكرامة من كراماته .

وكان في أول قدومه إلى طنجة ، شرع في تدريس [illegible]
بالزاوية الناصرية . فوقع الاقبال على خطبه [illegible] دروسه

قال في النسمات . وكانت خطبه بليغة كثيرة النفع ، شديدة التأثير ،
يحض فيها على اتباع الكتاب والسنة ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر
لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يرهب بطش جبار ولا [illegible]
كان يقول الحق وإن كان مرا ، ويدور معه دوران من هو [illegible] سرا
وجهراً ، ووقعت له بسبب ذلك وقائع هائلة وقضايا هامة .

منها ، أن [illegible] من أخلاط [illegible] كانوا [illegible] بعض
الشرفاء من [illegible] في [illegible] ، ففتحوا بها مدرسة لتعليم الأولاد بطريقة
فرنسية ، وصادف ذلك [illegible] فسارع بعض المغرورين راغبين في إدخال
[illegible] أولادهم فيها ، فلما علم الشيخ بذلك خطب خطبة بليغة حذر
فيها المسلمين من إدخال أولادهم مدارس النصارى ، وبين ضرر ذلك في
الدين ، وما يترتب عليه من المفاسد في الاعتقاد والأخلاق ومصالح البلاد
وبالغ في ذلك ، و[illegible] ، [illegible] حتى في [illegible] وسارع [illegible] من
أدخل أولادهم المدرسة إلى إخراجهم منها ، فاغتاظ لذلك [illegible] فرنسا ،
واحتد غيظه ، لأنها أول بذرة بذروها في المغرب لحصد الشر والفساد منه ،

فقصدهم الشيخ بخطبته ، فأوصى [illegible] وهو [illegible] المدينة [illegible]
الشيخ من الخطبة ، ويتوعده بالا محمد عقباه ان لم يفعل ، [illegible]
[illegible] ، وكان [illegible] ذلك محفزه [illegible] على المغرب ، فأرسل [illegible]
بعض [illegible] الى الشيخ [illegible] ليكلمه في ذلك ، فلم يصل الى
الشيخ حتى شرع الخطيب في [illegible]
الى [illegible] الشيخ [illegible] في المحكمة [illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا [illegible] من [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ثم [illegible] الشيخ [illegible]
[illegible]
[illegible] الشيخ على [illegible]
[illegible] كان من أعظم الأسباب في [illegible]
الشيخ رضي الله عنه ، [illegible] عجيب [illegible] من حكمه مقصودة
فالشيخ رضي الله عنه كان لا [illegible] في مثل هذه الأشياء ، ولا يتشدد في
[illegible] ، ولا [illegible] الدين [illegible] لا [illegible] ذلك الموقف
ولا [illegible] عليه الا [illegible] لا يعتبره ولا
ما كان من [illegible]

ثم بعد هذه القصة [illegible] وجه في [illegible] فعل [illegible] خلاف [illegible]
[illegible] الأمر [illegible] خلاف [illegible].

واشتهر الشيخ [illegible] وحكامه [illegible]
[illegible] فيملك [illegible] الأموال والمرتبات [illegible]
الكلمة، والمساعدة على [illegible]
فعلوا [illegible]
وهو على ذلك

[illegible]
[illegible] لاخوانه وأصحابه،
لا [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] وقضى [illegible]
من [illegible]
على [illegible]

[illegible]

وفي سنة [illegible]
[illegible] وعشرون [illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كان [illegible]
وقام [illegible]
[illegible] لا [illegible] وكان
يترددون [illegible] ولا [illegible] ومذاكرة [illegible]

العصر ثم [illegible] إلى جدة ، ومنها إلى مكة المكرمة ، وكان وصوله [illegible] بعد منتصف شوال [illegible] ، وأقام بها نحو شهرين كان كثير [illegible] [illegible] [illegible] والمغرب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كأنه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العلم والمعرفة [illegible] [illegible] [illegible]

وكان فى تلك الأيام [illegible] [illegible] [illegible] والتواضع ، والقناعة والتقشف . والا [illegible] [illegible] ، ويحث الفقراء على ذلك ويحذرهم من التوسع ، وتناول الشهوات ، ويقول لهم : [illegible] [illegible] الشريعة لا يليق فيها الا الذل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المتقين من شهوات والزهد فى الملذوذات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والحصول على ثمرته ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رضى الله تعالى [illegible] [illegible] [illegible] على فقراء الحرمين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فى شهواته وأغراضه وكذلك كان هو رضى الله عنه لا [illegible] لا [illegible] والمواساة [illegible] [illegible] [illegible] وأهل الخير والصلاح

وكان لا يتظاهر [illegible] ولا مشيخة ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .

ولما طلب منه أهل مكة أن يلقى دروسا فى المسجد الحرام ، [illegible] [illegible] أن يلقى دروسا فى الحرم النبوى [illegible] [illegible] ذلك ، وقال [illegible] [illegible] [illegible] العلم والصلاح [illegible] فى بلدانا ، وخرجنا منها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكانت وقفة عرفة تلك السنة يوم الجمعة التى [illegible] [illegible] [illegible] على سائر الأيام . ولما كان بعرفة وقف فى موضع مخصوص [illegible] [illegible] من باب الكشف [illegible] الموضع الذى وقف [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا الموضع الذى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رسول الله

صلى الله عليه وسلم . وفي يوم الأضحى جمع الشيخ أصحابه لشيخه ،
وشيخ الإسلام [illegible] سيدي محمد بن جعفر الكتاني [illegible] من
المدينة المنورة الوقوف بعرفة . كان [illegible] مشتملا على جماعة من
[illegible] والفقراء الصوفية [illegible] فشرعوا في الإنشاد [illegible]
[illegible] شيخ سيدي محمد بن جعفر [illegible] متواجدا
وقام الشيخ رضي [illegible] الحاضرون كلهم [illegible] وأخذوا الذكر الله تعالى
[illegible] من [illegible] ساعات

ثم في [illegible] الحجة [illegible] في المدينة المنورة [illegible] هلال المحرم ،
فاتح سنة [illegible] في المدينة [illegible] المكان الذي [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم [illegible] الله تعالى [illegible] كان [illegible]
صلى الله عليه وسلم [illegible] وسكان [illegible] المنورة . وكان [illegible]
رضي الله عنه [illegible] قوي [illegible] ودرس
علومهم

ثم [illegible] دخل إلى [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] ثم
خرج إلى [illegible] من
[illegible] الأخيار . ثم رجع [illegible] المدينة
المنورة ثلاثة شهور [illegible] الأوقات [illegible] مرة [illegible] ولاجتمع
بأفاضل الوقت وعلمائه في المذاكرة بأنواع العلوم . وكان [illegible] بحضور
شيخنا سيدي محمد بن جعفر الكتاني [illegible] علماء
المدينة ، ومن كان بها من علماء الأقطار وفرحوا به ، [illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible] والإصلاح ، [illegible]
فكانوا يجتمعون به في [illegible] الأوقات ، وكل المناسبات ، وعملوا له ولائم

وعزومات . ثم في أواخر ربيع الأول غادر المدينة ، متوجها إلى الشام . وفي اليوم الثاني لقدومه شاع خبره بين العلماء والأفاضل . فسارعوا إلى زيارته والاجتماع به ، وأكثروا من استدعائه إلى منازلهم مع أصحابه وأتباعه . وتمتعوا بمذاكراته وأحبوه ومالوا اليه . وكان كثير منهم لا يعرفونه

ثم بعد مدة توجه إلى بيروت ، وفي اليوم الثاني من دخوله شاع خبره بين أهلها أيضا ، فجاؤوا لزيارته وفي مقدمتهم العلامة الشهير ، صاحب المؤلفات الكثيرة في جناب الرسول صلى الله عليه وسلم الشيخ يوسف النبهاني . فزاره وتبرك به ثم توجه منها إلى القاهرة وأقام بها نحو عشرين يوما اشترى بها كثيرا من الكتب ، وزار ضرائح آل البيت والأولياء المشاهير وشد الرحلة إلى طنطا لزيارة القطب سيدي أحمد البدوي وتعرف به شيوخ الأزهر وعلماؤه ، وفي مقدمتهم عالم الديار المصرية الشيخ محمد بخيت رحمه الله فأحبه كثيرا وأجله واعتقد فضله ، وصار بعد ذلك يحبه ويذكره في المجالس والمحافل .

ووقع للشيخ مع بعضهم مناظرات في مسائل فقهية وأخرى [illegible] فيها السنة والشريعة كحلق اللحى وشرب الدخان والملابس الافرنجية .

وكان يقول في حق أهل مصر : ان هؤلاء القوم كادوا يرجعون الى قبطيتهم الأولى ولم يبق لهم من الاسلام إلا الأسماء واللغة العربية . ثم توجه راجعا إلى المغرب من طريق بورسعيد ، فلم يتهيأ له الركوب ، فأقام به نحو شهر في انتظار ورود البابور ولد له فيه مولود ، سماه محمد الزمزمي ، وذلك يوم الأربعاء ، خامس عشر جمادى الأولى سنة ثلاثين . وفي الشهر الذي بعده وصل إلى صحة

فصـــــل

ووافق عند رجوعه من الحجاز أن تمت المعاهدة بين السلطان عبد الحفيظ ودولة فرنسا على احتلال المغرب بعد أن سبق احتلال بعض مدنه قبل ذلك ، فلما أمضى معهم الاتفاق على ذلك تنازل عن الملك لأخيه يوسف ، ثم توجه الى الحجاز . فلما وصل الى المدينة المنورة أظهر التوبة والانابة ، وأكثر من الصدقات والبر لأهل المدينة . وكان يتظاهر قبل ذلك بمحبة شيخنا سيدى محمد بن جعفر الكتانى وتعظيمه ، فأتى اليه وأظهر له من الأدب والتواضع ما غره به ، لسلامة نيته وحسن طويته . فأقبل عليه وأكرمه ، وجعله من خاصة أصحابه .

ثم لما عزم عبد الحفيظ على الرجوع الى المغرب طلب من الشيخ المذكور أن يرشده إلى عالم يقتدى به ويهتدى بهديه ، ويعول فى أمور دينه عليه ، فأرشده الى الشيخ رضى الله عنه ، وقال له ليس بالمغرب اليوم مثله . لا سيما وهو بطنجة التى اختار عبد الحفيظ الاقامة بها . ثم كتب سيدى محمد بن جعفر رضى الله عنه الى الشيخ كتاباً قال فيه .

أما بعد . فموجبه تجديد العهد بكم والسؤال عن أحوالكم أدامها المولى سبحانه على وفق مرادكم واعلامكم بأن سلطان مغرب الشريف العلامة . مولاى عبد الحفيظ بعد ما زار جده المصطفى صلى الله عليه وسلم واستسلم اليه وانقاد بين يديه متضرعا خاضعا وجمعنا الله سبحانه وتعالى به جرى ذكركم بما نعهده منكم فاشتاق اليكم ، وأحب أن يكون له اجتماع بكم واخوة مع جنابكم ، وارشاد منكم إلى ما فيه الصلاح لدينه والنجح فى أخراه ، وعليه فنحب منكم ، بارك الله فيكم أن تعملوا على ذلك ، وتقبلوا اخوته ، وتعاملوه معاملة أخص إخوانكم اليكم محبة وارشاداً ونصحاً ، ولا تقصروا فى ذلك ، والله

تجاريكم ، وقد علق في هذه الحجة عما عن به الأوابون . ثبت الله وإياه
على ذلك ووفقنا على العمل به وعلى تحكيم الخ . وهو مؤرخ بيوم الأربعاء
تاسع عشر المحرم سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف .

ولما وصل الكتاب الى الشيخ قدس سره قابله مولاي عبد الحفيظ بما يظاهر
حاله ثم كتب جوابا له وعرفه بشرح حاله وحقيقة أمره . وأن ما تظاهر به
من الخونة والإهانة هو مجرد صورة لا حقيقة لها . ثم لما قدم الى صحبة
أرسل الى الشيخ مع الشريف الصالح سيدي المأمون السفياني . وكان مجاورا
بالمدينة المنورة . ليأذن له عبد الحفيظ معه الى المغرب . ولكنه رجع عند
ذلك اليه . فلما أتى الى الشيخ وأخبره بأن السلطان يريد الاجتماع به منع
من ذلك كل الامتناع فرجع اليه وأخبره بمنع الشيخ . فأراد أن يغريه
بالمال . فأرسل اليه أربعة آلاف ريال مع الشريف المذكور ، فردها اليه
وصمم على عدم الاجتماع . فرجع اليه بالمال فرده ثالثا ، وبعد ما رده وأمره
أن يسلك معه كل مسلك ويتوصل اليه بكل وسيلة . فصار الشريف يتردد الى
الشيخ في شأن هذه المسألة كل يوم ، ويتوسل اليه بشرفه وقرابته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستعطفه بكل ما في وسعه والشيخ مصر
على الامتناع . ثم صار عبد الحفيظ يبعث بعض الواردين عليه من أهل سند ممن
يخدمه الشيخ ويستحيي منه فأرشده الى بعض الفقهاء . وكان الشيخ يحبه
ويجله ، فأرسل اليه وأعطاه أربعة آلاف ريال وطلب منه أن يتوسط له عند
الشيخ في الاجتماع به فجاء اليه ومكث معه من الضحى الى الظهر . وهو
يحاول من الشيخ المساعدة فلم يجبه اليها ، وقال له لا أجتمع على سلطان المغرب
الى قبره ، ووقتئذ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني حيث ولو فعل ما فعل
ثم تعقب غيرهما بعد ذلك فلم تنجح ، فعند يأسه من الوسائط أرسل اليه يوما مع
الشريف السفياني يقول له اني سأقدم غدا الى منزلك ، فاذا وصلت الى باب
دارك ، وظهر لك أن تردني فافعل . فأرسل الشيخ في الحال الى بعض

تلامذته ممن كان يتصدر عنده للاستشارة وأخبره الخبر ، وأمره أن يصرفه
عنه ويعرفه بأنه لا يقابله أصلا ، وأمر أربعة من أصحاب الشيخ أن يلزموا
باب الدار بعصيهم ليردوه إذا جاء بالقوة . ثم ذهب إلى بعض من كان متصلا
بعبد الحفيظ ، وقال له اذهب إليه ، وقل له إن الفقراء مجتمعون بباب دار
الشيخ ليمنعوه من الوصول إليه . وعليه فالواجب أن يتأخر عن التوجه إليه
خوفا من وقوع ما لا يحمد . فبلغه الرسول ذلك ليس مرة واحدة وأرسل
إلى الشيخ يقول له : إنك لست أفضل من عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأنا
لست شرا من الحجاج بن يوسف الثقفي وقد كان عبد الله بن عمر يجتمع
به . فقال الشيخ للرسول إن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان عنده من
الفضل وقوة الحال رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته ما يحمي دينه
من التأثر بالاجتماع بالحجاج وأنا ضعيف الحال ، أخاف على ديني أن يتأثر
ويضعف بسبب الاجتماع به وهكذا صرفه الله عنه ، ولم يجتمع به . ثم بعد
هذا بنحو سنة وقعت الحرب العظمى وحصل لعبد الحفيظ ما أوجب سفره
إلى إسبانيا ... وصل إليها اتصل به سفير دولة ألمانيا التي كانت في حاجة
إلى من يثير الحرب على فرنسا في المغرب وطلب منه بصفته كان ملك المغرب
وقد انتزع الملك من يده أن يحارب فرنسا ليعود إلى ملكه ، وأن دولته
مستعدة لمساعدة على ذلك بالمال والسلاح ، وأظهر رغبته في ذلك ، ولم يكن
قصده في الواقع إلا أن يبتز منهم الأموال ليصرفها في شهواته ويبذرها في
ملذاته ، لكنه رأى أن ذلك لا يتم إلا بالشروع في العمل ، ولم ير من يصلح
لذلك ويقوم به إلا الشيخ رضي الله عنه فأرسل إلى وكيله بطنجة ، وهو
عبد الهادي السلاوي وأمره أن يذهب إلى الشيخ ويصحب معه الجزء الأخير
من صحيح البخاري ، ويتوسل إليه بالنبي صلى الله عليه وسلم وبرجال
ذلك الجزء في أن يرضى عنه ، ويقبل معاملته في شأن القيام على فرنسا
ومحاربتها ، ويعرفه بأن دولة ألمانيا هي التي ستتولى المساعدة بالمال والسلاح

على ذلك ، فأجابه الشيخ لما علم أن الأمر متعلق بالدين ، وأنها دعوة واجب تلبيتها والخوض فيها . لأنه لعدم تحققه من الأمر والنتيجة كلف بذلك ابن أخيه الشريف سيدي الغالي بن أحمد بن لصديق . وكان الألمان قد اتصلوا أيضا بعبد الملك بن الأمير عبد القادر محي الدين وطلبوا منه القيام أيضا ، وأمدوه بالمال وواعدوه بالسلاح . فاتصل بالشيخ رضي الله عنه وطلب منه المعونة والمساعدة . فأجابه الى ذلك ، وأمر ابن أخيه أن يذهب اليه ويتفقا معا على الأمر . فاستمرا على ذلك مدة الى أن هيئا شئون الخروج ، وخرجا معا . ووقعت لهما قضايا غريبة وألقي القبض عليهما بقبيلة أنجره . وصارت فرنسا ترسل الى بعض زعماء القبائل الجبلية وتعده بأموال تطير لها الألباب أمثاله ان هو سلم اليها المذكورين ، وكتب له الشيخ يأمره باطلاق سراحهما .

وأرسل الى بعض أهل القبائل الغمارية فمروا وتدخلوا في القضية ، وسلم الله الرجلين بعد أن كانا بين مخالب الموت

ووصلا الى بعض قبائل الحدود الفرنسية المغربية وقاما بالدعوة الى الجهاد وشرعا فيه مدة الحرب كلها الى أن وقعت الهدنة واستشهد ابن أخي الشيخ المذكور .

ولما شرعا في القتال عزم الشيخ على السفر من طنجة الى غمارة . وكان والده قد توفي قبل ذلك بنحو سنتين أو ثلاث . وبقي أمر الميراث بين العائلة الكبيرة موقوفا على حضوره فأراد إنهاء مسألته مع النظر في بعض مصالح تلك القبائل وامكان اتصالها بقاعدة المحاربين .

فلما علم الفرنسيون بذلك أرسلوا يطلبون منه التأخر عن السفر لملابسة الحال الحاضرة خوفا ان يلتحق بالمحاربين ويقع الاجتماع العظيم لاقبال الخلق عليه . فامتنع من التأخر ، وأصر على السفر . فالتجأوا الى القوة وفرقوا البوليس في ضواحي المدينة وأحدثوا لهم مواضع خاصة لم تكن من قبل

حصروها على جميع الطرق المؤدية الى جهة تطوان لكونها طريق غمارة وعزموا الشيخ بأنهم مستعدون للقوة ان خرج بغير إذنهم ، فأصر على المخالفة لأمرهم وتنفيذ ما أراد . فصار الفقراء يشترون السلاح ويعدون العدة ليوم خروج الشيخ حتى يقاتلوا البوليس بالقوة ان تعرضوا للشيخ .

فلما رأى الفرنسيون تفاحش الأمر أرسلوا من الرباط الوزير عبد القادر ابن غريط . وكان له معرفة بالشيخ ثم قدمه لنصحه ليكلمه في التأخر عن السفر ويسعيه الى فرنسا والرجوع لها ويعده ويمنيه بكل ما يريده ، فلم ينجع فيه شيء من ذلك ، والحالة كل يوم تزداد خطورة ، وصارت تحصل قضايا وحوادث يصطدم فيها الفقراء مع البوليس والشرط وأعوان الحكومة مما يطول شرحه .

ثم لما لم يجدوا بدا من مساعدته أرسلوا اليه يقولون ان أمرك قد رفع من السعدن ، ولم يبق للحكام صلاحية فيه تدخل سوى تنفيذ أمر السلطان ، وأثناء ذلك ورد عليه مكتوب من الوزير محمد لحص . قال فيه

وبعد فقد بلغ الجناب المخزني أنه أنكم تريدون السفر من هنا كم لقضاء بعض أغراضكم الشخصية بين قبائل المملكة . وهذا أمر لا بأس به . لو كان في غير هذه الظروف الوقتية حيث إن الانسان لا يخلو من أعداء كما أنه لا يخلو من أصدقاء فكما أن أصدقاءه يلاحظون حركاته بعين العطف والاحترام فكذلك أعداؤه يراقبون أعماله ويسيئون اليه ما لم يكن له به إلمام ، على أن المخزن والحمد لله يعتقد فيكم الخير والصلاح ويرى جنابكم من الخوض في هذه الأعراض الدنيوية الخارجة عن منهج الصلاح لما سلفه عنكم دائما من إرشاد الخليقة والاعراض عن سوى الاشتغال بوحدة الحقيقة ، ولذلك لم يرض الجناب الشريف بتحرككم في هذه الظروف الحاضرة ، ويختار سكونكم بمحلكم لما فيه من مصالحكم الباهرة ولعله ربما تنقشع هذه

لسفينة التجارية التى لا تمكث طويلا ، ولا تستقر من السير الا قليلا .
وحينئذ تتمكنون من السفر معززين بالأوامر الشريفة ، معتمدين على الله سبحانه وعليه فى قضاء أغراضكم الحضرة العلية .

وأما الآن فلا يجب لكم ما يترتب على ذلك من نقص ونقصان ، ومن يمكن أن يتسبب لكم فى هذه السفرة من الأخطار كما لا يخفاكم ما هو وارد شأنها وخفت فى تسكينها وتخفيفها فى عدم الراحة بكل ما أمكن لهم وإن كان ذلك سبب وحيث عليكم السفر من ذلك الثغر فخوفا عليكم من ذلك نقبله وتحمل المشقة ، ومن بعد ، والمواساة هناك تجرى الضرورة ويكون مؤنة ، ومرادكم نحو الله

هذا وقد بعث لكم حضرة مولانا الشريفة ، ومن وجود حوائجكم تحقق لمولانا أيده الله ما ذكرتموه فى جوابكم من الشهادة الحسنة من صلاح أحوالكم ، وحسن سيرتكم الخيرية ، محتسبين على الله ثواب الخدمة فى دار النعيم ، وعلى ما تقصدونه من الخدمة الأكيدة ، والسلام فى ١٥ رجب الحرام عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف ،

وذكره صاحب الترجمة أن شرفا إليه وورد عليه كتاب الإذن بالسفر ، ولما فعل ذلك خرج من الثغر قاصدا الحج وتفقد مرتبة من الحجاز ونص الكتاب : محب الأمر لأخينا الشريف الأجل النقيب المرشد البركة سيدنا محمد بن صديق ، أكرمكم الله . وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره الله

وبعد ، وصلنا جوابكم عما كتبناه لكم عن الأمر الشريف ، أسماه الله فى شأن تأخركم عن السفر من طنجة ، مراعاة لهذه الظروف الحاضرة وعلمنا ما تضمنه من الأسباب الموجبة لتأخركم ، وأنهيناه لمولانا أيده الله . وسنعطفنا جنابه الشريف فى إجابتكم لمطلبكم لما نعلمه فيكم من صح [illegible]

في الطول والعرض ، ويكون عندكم [illegible] يوم [illegible]

وقد قص مولانا [illegible] [illegible] على [illegible]

[illegible] على [illegible] بسلامة [illegible] ولا [illegible]

[illegible] عكم [illegible] روح [illegible]

[illegible] وحص [illegible] [illegible] ورد في

[illegible] على يدكم المباركة لما فيه

من صلاحهم [illegible] [illegible] رجلا واحدا خير لك مما

[illegible] عليه الشمس [illegible] والسلام [illegible] ثلاث [illegible]

[illegible]

[illegible] الشيخ [illegible]

[illegible] وكان [illegible]

[illegible] الخلق [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] وكله [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] كان [illegible] من ذلك [illegible] من [illegible]

[illegible] في بين الملائكة [illegible]

[illegible] [illegible] الاحمر

[illegible] عن [illegible] الى [illegible] ،

[illegible] الاستراحة شرع في قراءة صحيح البخاري ، وصار يتعرض للجهاد

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

حاضرون في درسه ، وكل ما يقوله يصل الى [illegible] بواسطة [illegible]

فيحاولون منعه من ذلك ، فلا يجدون اليه سبيلا ، ثم كثر الخلاف [illegible]

والمناوشات بين الفقراء أصحاب الشيخ وبين الحكومة وأعوانها ، وحصلت
قضايا متعددة عارض فيها الفقراء إرادة فرنسا وحكامها . فانتصروا عليها .
وكانوا دائما يحصلون مقصودهم ويفوت مقصود الحكومة وروادها وكان
يتعصب لفرنسا ويبالغ في رضائها حاكم طنجة إذ ذاك عبد السلام بن عبد
الصادق . فعاطى الأمر وأكثر الخلاف وإن لم يظهر النصح التام ، وقدم الخدمة
الجليلة ليتوصل في نظره إلى مرتبة أعلا مما هو فيه . وكان يطمع في ترقيته
إلى نائب السلطان ، فصادف أن وقعت دعوى لبعض الاشراف الكتانيين
المنتسبين إلى الشيخ رضي الله عنه مع قاضي طنجة وقتئذ الفقيه علال المرابط
التمسماني وليسه في محكمته ، وأتى الحاكم المذكور القبض على الشريف
الكتاني ، وتوهم أن الفقراء سيتعرضون له في شأنه فأوحى إليه ظله ونفسه
للشيخ والفقراء أن يصدر بهم مكيدة من أجل منفعته في تشتيت شملهم وتمكن
فرنسا من نفيهم ونشر دعوتهم وترسل في جمع عيون البلد ، ولم يقدر منهم
أحد . فقد جمعوا المجمع عصبة أقرب من محكمة خرج لهم ربعه ،
بعد عدة أيام المساجين ، حصلت شكاية من أهل البلد الشيخ والفقراء . وبعثوا
إليهم عدة مضرات واستدعاءات وشوشت الأمن وراحته ، وطلب من
الجميع أن يوافقوا عليهم بأن يزال خطرهم في أقرب وقت ، ووافق ذلك هوى
في نفوسهم ، وكانوا أسرع له من بينه

ثم وجه الكتاب المذكور إلى السلطان ووقع في الشأن ورود النتيجة
ولم يظهر ما على جانب الشيخ والفقراء كلمة واحدة ولكن ظهرت النتيجة
في القائد وأهل مسحة . فأخذهم الله بعقوبته وسلبهم ما كانوا فيه من العز
والجاه ، وسلط عليهم الذل والمهانة والفقر والاضطرار والحاجة ، وسقطوا
من عين الناس ومن عين فرنسا التي أرادوا إرضاءها بفعلهم الشنيعة .

وأما القائد المذكور فأوقعه الله في بعض الحفرة التي حفرها لبني الشيخ

والفقراء . فأخرج من بلده ووطنه عقب ذلك بقليل وصار متغربا فى نواحى الدار البيضاء ، وخربت أملاكه بطنجة ، وانقرض منها ذكره وشتت شمله . وجمع الله شمل الشيخ والفقراء ، ولم يصب أحد منهم بسوء ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

ولما صدرت هذه الفعلة الشنيعة من أهل طنجة دخل الشيخ رضى الله عنه داره ولزم بيته ، وقطع التدريس والخروج الى الزاوية ، وقال كانت على ظهرنا أحمال وأثقال لأهل طنجة ، والآن قد نزعناها واسترحنا من تقدم

وقال أيضا : كنت نريد لأهل طنجة العز والرفعة بين الناس وأبوا إلا الذل والمهانة فليفعلوا ما شاءوا . وبقى فى بيته من سنة سبع وثلاثين إلى أن توفاه الله تعالى سنة أربع وخمسين لم يخرج فيها إلا مرات معدودة

منها سفره الى القاهرة سنة خمس وعشرين لحضور مؤتمر الخلافة إذ استدعاه المصريون ، وألحوا عليه فى الحضور بكتب متعددة ، فرأى أن إجابة دعوتهم واجبة لوجوب نصب الخليفة ، وكان يرجو حصول فائدة للاسلام من ذلك الاجتماع .

فلما حضر المؤتمر وجد القوم يلعبون ويمرحون ووجد المؤتمر عبارة عن إلقاء الخطب ، والتشدق بما يظهر لكل واحد مزيته فى الخطابة ، والتفصح مع ضعف الرأى ، وعدم التمسك بالشريعة فى الأقوال والأعمال ، فترك الحضور معهم قبل أن ينتهى المؤتمر . وأقبل على شأنه من زيارة ضرائح أهل الله وشراء الكتب .

ثم توجه إلى الشام لزيارة بيت المقدس ، وإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام . ثم منه إلى زيارة شيخه سيدى محمد بن جعفر الكتانى الذى كان وقتئذ مقيما ببيروت عقب خروجه من دمشق لوجود فتنة الدروز مع فرنسا فزاره .

ثم رجع من طريق البحر على الإسكندرية لزيارة ضريح أبي العباس المرسي رضي الله عنه

ثم رجع إلى القاهرة وشد منها الرحلة إلى دسوق لزيارة سيدي إبراهيم الدسوقي . وإلى طنطا لزيارة سيدي أحمد البدوي رضي الله عنهما .

ثم رجع إلى طنجة بعد أن غاب في هذه المرة ثلاثة أشهر ، ولزم بيته بعد . فكانت وفود الزوار تتوارد عليه من كل جهة كما هي العادة ، بل زاد الأمر وعظم بانقطاعه عن الخروج فكان يعمر معظم أوقاته بالمذاكرة بأنواع العلوم والمعارف مع عنايته بحقوق المسلمين وقضاء حوائجهم

بالتوسط والشفاعات عند حكام الدولتين الفرنسية والإسبانية في المنطقتين الشريفية والخليفية . وذلك بالمراسلة تارة ومع بعض أصحابه وأحيانا بالمكاتبة فيقضي عن قرب وتقبل شفاعته مع شدة تعصبهم من الجهتين ، والله غالب على أمره

الباب الرابع

في وصف حالته العلمية وموهبته [illegible] وما يتعلق بذلك

كان الشيخ رضي الله عنه [illegible] في سائر العلوم محققاً للمنطوق منها والمفهوم حافظاً متقناً واسع الاطلاع [illegible] قوي الحجة [illegible] فصيحاً فطناً ذكياً [illegible] في الاستحضار [illegible] فيه ما رأيت من [illegible] في ذلك ، إلا شيخنا الإمام سيدي محمد بن جعفر الكتاني في [illegible] تراجم الأولياء ومناقبهم [illegible] وشيخنا الإمام [illegible] محمد [illegible] في مسائل الفقه والمعقول خاصة .

وأما الشيخ رضي الله عنه فكان شأنه في الاستحضار [illegible] يقول بحيث كانت مجالسه العادية [illegible] كأنها دروس [illegible] الذين [illegible] في جمع ما يقولون [illegible] ما رأيت درساً جامعاً [illegible] العلوم [illegible] الأدب [illegible] الفوائد كمجالسه الدائمة مع ضيوفه وزواره [illegible] حضراً وسفراً في داره [illegible] وخرج للبستان في فسحة ونزهة ، فإن مجالسه [illegible] لم يكن [illegible] ولا يتعرض لزيد ولا لعمرو [illegible] مذاكرة [illegible] والحاضرون كلهم سكوت كأن على رؤوسهم الطير يستمعون إلا إذا سأل سائل عن مسألة أو استفهم عنها . وما كان يتعرض لحديث إلا [illegible] من جلسائه الذين هم جرأة على الكلام معه . وكانت مجالسه تطول على هذه الحالة الساعات الطويلة وربما استمر مجلسه من بعد العصر إلى ما بعد العشاء بساعة وساعتين لا يقوم فيها إلا للصلاة ثم يعود للمذاكرة . وربما جلس من بعد الطلوع إلى صلاة الظهر ، لا سيما مع الضيوف من أهل فاس وسلا ونظرائهم الراغبين في سماع

العلوم والمعارف . وكان المرء يسمع منه في المجلس الواحد من غرائب العلوم ونوادر الأخبار والنقول ما لا يهتدي إليه بعد البحث الطويل . والاطلاع الشديد إلا في الأزمنة المتطاولة .

وقد وصف مجلسه بعض أهل العلم ، فقال

ومن أكبر شيوخنا وأفضلهم العارف الأكبر ، والكبريت الأحمر . مرشد السالكين ومربي المريدين . الدال على الله بالأقوال والأفعال الناهج أحواله منهج الكمال مأوى الضعفاء ومعينهم ، ومرشد الأقوياء ومقويهم منبع المعارف والأسرار ، ومحيي الذكر آناء الليل وأطراف النهار . من إذا تكلم كفى ، وإذا صحب صفا ، وإذا عاهد وفى وإذا قدر عفا .

شبيه في أخلاقه بجده المصطفى صلى الله عليه وسلم بحر المعارف والعلوم ومبدي الدرر من الكلام في الفهوم . الجامع بين المعقول والمنقول العالي في محبة الرسول الشريف المنيف شيخنا حسا ومعنى وجسما وروحا وجسما سيدي الحاج محمد ابن العارف الكامل سيدي الحاج الصديق ابن القطب المربي سيدي الحاج أحمد بن عبد المؤمن جمعنا عليه رضي الله عنه وقدس روحه علوما جمة مذاكرة منه لنا في جميع الفنون العلمية وأكثرها في التصوف وحكاية الصالحين وعجائبهم في سلوكهم إلى الله تعالى وأسرار في أحوالهم في مواجيدهم وأذواقهم ، بحيث لو كتبنا ما نسمع منه في جميع العلوم من المسائل مع تحقيقها والقول الفصل فيها وما يتبع ذلك لجمعناه مجلدات ، ولكن حالنا حال الكسالى وآفة العلم عدم التقييد ، فندمنا حيث لا ينفعنا الندم اهـ .

ووصف مجلسه صاحب سلوة التحقيق ولم يكن ممن يجالسه إلا قليلا على انفراد ، فقال :

وكانت مجالسه قدس سره لا تخلو من الفوائد . ولا بد لمجالسه أن ينال من فيضه أبدع الصلات وأنفع العوائد إلى أن قال .

وباطنه فتبحره في العلوم ظاهر ، وباطناً مما عليه الخاص والعام وفضله وكماله مما أقر به القاصي والداني . وقد كانت ترد عليه المسائل حتى من الخارج في مذاهب أخرى فيجيب عنها .

وكتب إلى الشريف الجليل العلامة الأديب الشاعر الأثري سيدي محمد الناصر الكتاني يقول

اتصلت بالشيخ حفظه الله وأنا فتى يافع أشرفت على العشرين ، وظللت مقيما عليه نحواً من شهرين كنت أجالسه في حلقاتها في الصبح والمساء . وكان مجلسنا لا ينتهي حتى تمر عليه ثلاث ساعات كاملة ، وربما تحاورت مسائله فيتدفق في الجواب بفصاحة نابعة وأسلوب عربي مبين وعلم جم عن مادة كثيرة يتدفق منها حوته كتب مسائله في الحديث والفقه والتصوف والتاريخ والأدب والفلسفة وعلم الاجتماع والسياسة . فكان يبهرني منه استيعابه بالجواب عن المسألة التي يسأل عنها فلا يترك في نفسي مكانا فارغاً للتعقيب على السؤال اهـ .

والعلوم التي كانت له فيها اليد الطولى هي :

الفقه . والأصول . والكلام . والتصوف . والتفسير . والحديث والنحو . والصرف . والمنطق . والتاريخ . والتراجم . والطب . والأنساب والسياسة الشرعية . وسر الحرف . وخواص الأسماء مع المشاركة القوية في سائر العلوم .

أما الفقه ، فكان يستحضر جميع فروعه الخفية والجلية ، لا سيما الفقه المالكي فإنه كان نصب عينيه بعجره وبجره ، وقواعد القضاء ، والدعوى ، والقوانين التي قسمها المالكية في هذا الباب ، واختص بها المغاربة من بينهم وتوسع فيها المتأخرون ، وسموها فقهاً مع أن تلك المسائل لا يحفظها ويبرع فيها إلا الحذاق من الفقهاء الراغبين في الدنيا ، المخالطين للقضاء والفتوى

والشهادة المدرسة من ذلك في الأعمال الكثيرة والأزمان الطويلة . والشيخ رضي الله عنه كان أخص شيء [illegible] والشهادة والفتوى والتعرض [illegible] ومع هذا فكان من أزهد الناس وأحفظهم لهذه الفروع حتى كان [illegible] في الاستفادة منه عند [illegible] والفتوى [illegible] حرر لهم النازلة ويكتب لهم الحكم والفتوى [illegible] [illegible] شيء من ذلك [illegible] [illegible] وقد [illegible] وصحيح [illegible]

[illegible] الأصول [illegible] ويقبل ويرجح [illegible] من كل [illegible] لا يوجد [illegible] الأصول [illegible] [illegible] الأقوال [illegible] الشيخ [illegible] دلائله ورجح [illegible] الأعراب فكان [illegible] الشيخ [illegible] الأصول [illegible]

ورآه مرة أشهر علماء [illegible] الأصول وهو [illegible] فذاكره الشيخ في مسألة [illegible] الشيخ [illegible] هو بذلك

فقال له [illegible] الدرس [illegible] في الدرس [illegible] المسألة [illegible] منه [illegible] ولم يبق منها شيء .

وأما الكلام فكان إليه المنتهى في تحقيق دلائله وبراهينه مع الاطلاع التام على جميع المذاهب والنحل والأقوال ، بل كان في بدايته شغوفاً [illegible]

فيه منتصرا لمذهب أهل السنة و[illegible] تحقيق . ولما رحل إلى الحج
جرت له فيه مناظرات بالحجاز ومصر و[illegible] وقد رحلت إلى
القاهرة رحلتي الأولى وفي بعض من كان [illegible] الشيخ [illegible]
في طريق رجوعه من الحج ، وقال لي إن والدك إمام ما رأيت مثله [illegible]
لما كان [illegible] وتحققت فضله و[illegible] في علم الكلام واستفدت منه [illegible]
هذا [illegible] من مشهوري [illegible] وعلم الكلام

وأما التفسير فكان آية [illegible] لا [illegible] آية [illegible] ذكرها في
[illegible] فلا يستطيع ذكره
إلا من كان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من علماء [illegible]

وأما الحديث فكان حافظا لمتونه [illegible]
لاسيما فتح الباري [illegible]

وأما التصوف فهو [illegible]
الإرشاد [illegible] التصوف [illegible] وأهل الله [illegible]
لأنه كان [illegible] والتحقيق أكثر وكان
لا يتكلم في الثاني إلا [illegible] كان
[illegible] الحقائق [illegible] كان [illegible] سيدي محمد بن إبراهيم
رضي الله عنه

وأما النحو والصرف فكان [illegible] من لم يعرف غيرهما وكانت
دروسه في الخلاصة بشرحي المكودي وابن هشام من أعجب الدروس

وأمتعها في هذا الفن من كان يحبه على الخصوص ويتعشقه ويحث على قراءته والتطلع منه كثيراً ويقول إنه مفتاح فهم العلم لاسيما البلاغة والأصول

وأما المنطق فكان يتقنه غاية واقتنى كثيراً من كتبه ودرسه بتوسع واطلاع وتحقيق وبحث لم ير الطلبة مثله

وأما التواريخ والتراجم فشأنه فيها عجب وأغرب من كل مسبق فإنه لايكاد يذكر دولة من ظهور الإسلام إلى عصره إلا ويحدثك عمن حدث من حضرها وكان واحداً من أعيانها ورجال دولتها لاسيما دول المغرب والأندلس وكذلك تراجم العلماء والشيوخ والأولياء ووفاتهم في سني كذا وتراجمهم وأخبارهم مع تلامذتهم وما في ذلك من جميع الأشياء وتعتبر هذا ربما تحصل في موعظة أو مذاكرة لاستشهاد بواقعة وحكاية تتم للبيان أحدها من وقع لشيوخ كبيرين من مشرقة ومغربية في عصور متقدمة ومتأخرة كأنه كان يبحث عن ذلك ويحفظه منذ زمان دونه فيقول مثلاً وقع للجنيد أو الشبلي مع فلان كذا ومثله وقع للزرعي أو الجيلاني مع فلان وكذلك للشولي مع ... الخواص والبكري مع أخيه وسيدي يوسف الفاسي مع أخيه وصاحبه فلان وهكذا يسرد الأشياء والنظائر من الحكايات والوقائع التي يرويه في كل مناسبة حتى أن بعضهم يرد عليه يستشيره أو يستشير عليه عن وجه رشده ورودها في ذلك الحكايات ووقائع المتقدمين في نفس المسألة

وأما السياسة الشرعية ومعرفة الطرق والوسائل التي تقوم بها مصالح الدولة وتبنى عليها أسس العمران وعزة وترقية الأمة إلى مصاف الدول العظام وكيفية استثمار الأموال بالوجه الشرعي المباح الذي لا ظلم فيه ولا جور على أحد من الرعية وكيفية حفظ البلاد وحراستها ومعاملة الدول الأجنبية بما لا مخالفة للشرع فيه ونحو هذا فكان إذا تكلم فيه تخال أنه لا يفكر دائماً إلا فيه ولا يشتغل بغيره كأنه أحد كبار الوزراء القائمين بأعباء الدولة ومصالح المملكة مع مراعاة الحال الحاضرة وتغير الوقت وتبدل الأطوار حتى كان إذا اجتمع

بأهل السياسة وما كانوا في الجرائد يرون منه ما لم يخطر لهم على بال ويتعجبون
منه غاية العجب لكونه من علماء الدين وشيوخ الصوفية المقبلين على علوم
الآخرة والمعرضين عن علوم الدنيا لاسيما وهو لا يقرأ الجرائد فضلا بل ويحذر
من قراءتها ويستهجن إضاعة الوقت في الاشتغال بها ولما ظهر بعضهم بالزعامة
بمصر وشاع خبره قدم إليه بعض المشتغلين بالسياسة ممن كان مقيما بالبلاد
التركية ليكون مصيباً له وناصراً ومؤيداً فلما اجتمع به خاب ظنه ورأى خلاف ما كان
يؤمل ويسمع ثم توجه من هناك إلى صفحة فزار الشيخ وذكر معه في مه
ومر عقبه وقال هذا هو الزعيم على الحقيقة وهكذا يجب أن يكون الزعماء
أما الفتى الذي شددت الرحلة إليه خصوصاً فإني لما جلست أمامه معه في
القضية مدة يوم أو يومين فهمت أنه غير زعيم ولا مخلص في قضية وطنه

وأما علمه في الطب فلم يشاركه فيه من عرفوا فيه اتكالا على أطباء
الفرنج والمتخرجين على أيديهم فيه أما الشيخ فكان شأنه فيه شأن مهرة
أطباء العرب الأقدمين بحيث يداوي المريض على الوصف من بعيد بل من
مدن أخرى ولا تحصى كم مريض حكم أطباء الإفرنج بموته وعدم إمكان
علاجه فشفاه الله على يديه بالأدوية التي كان يصفها للناس وقد وقفت على
بعض مكاتيبه لأصحابه في العلاج أحببت إيراد بعضها لتعرف منها حقيقة الأمر
مع الاستفادة

فمن ذلك قوله في كتاب والرجل الذي أصابه في جنبه الأيسر ما أصابه
مرة صعب في أكله فإن الجنب الأيسر علاجه صعب كثيراً ولكن مره أن
يدهن جنبه المذكور بزيت الزيتون بعد النوم ويدلكه دلكاً جيداً وعلى رأس كل
ثلاثة أيام يدخل الحمام فيمكث فيه نحو ساعة فإنه يعافى إن شاء الله تعالى
ولا تخبره بصعوبة مرضه لئلا تتغير طبيعته فيزداد مرضه اهـ .

ومنها أما دواء ابن عمك فليأخذ شيئاً من السمن وليجعله على النار
مع مثله من الماء وليتركه حتى يذهب الماء ويبقى السمن ثم يأخذ مثله من

العسل ويزيل رغوته على نار لينة ثم يأخذ مثله من السكر الأحمر ويجعل الثلاثة على نار لينة وتحرك تحريكاً جيداً حتى تنعقد وتصير ذاتاً واحدة في قوام الحلواء ثم يجعلها في آنية فاذا أراد نومه أكل منها مقداراً واحداً فان نومه يرجع كما كان ويزول يبسه ويكثر رطوبته ويقل عنه تلك الأفكار التي تضره إن شاء الله تعالى .

ومنها وصلت كتب الشريف وعرفت ما شربه ثم بعد ذلك من البرد والعرق الخ . عند سيدي أن ما يعتريك من شرب اللبن سببه ضعف القلب لاضعف معدتك كما قاله لك بعض الأطباء فانه لم يهتد لما عندك كما هي حالة أطباء الوقت فانهم يحكمون على غير الداء اللهم الا اذا كان داء من الظاهر وكيفما كان الحال فدواؤك قريب إن شاء الله تعالى وذلك أن تأخذ من اللبن وتغليه وتجعل فيه شيئاً من السكر وشيئاً من القرفة بعد دقه وتشربه فانه كائناً ما كان من أن يقوي القلب ويرجع إلى حالته وذلك لا يخفى عليك والماء إذا اضطررت اليه لا بأس أن تصلحه بشيء قليل من شربه ولا تداوم عليه أما اللبن فأكثر منه وعما قريب يظهر الأثر إن شاء الله تعالى

ومنها أما ما كنت تستعمله من البيض فاستعمله وأما الاسهال فلا تهول منه فانه جيد والقرنفل قلل منه وأكثر من اللبن وإن أمكنك أن تستعمل معجون العسل بالحبة السوداء فهو جيد للغاية ولو مرة في اليوم والشح الذي يبطنك سببه رطوبة الأمعاء وريح محتبس فيها واعلم أن ما تزيل به تلك الرطوبة معجون العسل الذي ذكرناه فاستعمله ولابد وأضف اليه شيئاً من الأدوية المقوية كالمصطكى كل يوم ولو رغيف وقراءة حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع صباحاً ومثلها مساء فلا ترى بأساً إن شاء الله تعالى .

ومنها واعلم أن الدوخة التي تحصل لك سببها انعقاد البخار الذي يصعد من المعدة الى الرأس ممزوجاً برطوبة وبرد وعجز الرأس عن تحمله تصعده

وكثرة برده وتظهر أن زوال تلك الدوخة ربما يحصل بشرب ماء الليمون
ممزوجاً بشيء من السكر وقليل من الماء بعد شرب الملح وليكن الشرب
قليلا لئلا تنتشر الرطوبة الموجودة في المعدة انتشاراً لا تقدر ذاتك عليه
لرداءة كيموسها الذي هو عبارة عن الدم المستخرج عن الغذاء فإذا اعتدت
لذات المسهل المذكور فلا بأس أن تزيد منه شيئاً على القدر الأول فإذا
صعب عليك من أول مرة فادهن رأسك دهناً جيداً بالزيت بشرط أن يكون
من الزيتون وإن كان عتيقاً فهو أحسن لكي تحفظ وقت الدهن وبعده من
أريح جهاتك والله هو الشافي ثم الأكل فمداره على الطبيب وإن صعب عليك
أمر فاتركه أسبوعاً أو أسبوعين ثم عد إليه إلى أن تكمل راحتك فإن
اضطررت إلى الأكل فكل الحريرة أو مرق الفراريج الصغار بغير سمسم
وإن وجدت لحماً من خروف صغير فلا بأس أن تتناول منه قرصاً أو قرصين
بشرط أن يكون منقى من الجلود والعروق متوسط السمن وعليه أن تستعمل
هذا عرفنا ما يحدث بالسكون على ذلك وربما لا يمكنك سواه لأن
الحيب الضعيف ينهضم سريعاً والجوع يحدث لك منه ضرر كبير معنوي
وأنت تعلم أن الصوم يحرم في هذه الحالة فإياك إياك أن تصوم والملح أكثر
من شربه ولا تمل منه ولا يخفاك أن الصدقة من الأدوية التي يسرع نفعها
فبادر إليها ولو رغيفاً أو نصفه كل يوم لتجمع بين الدواءين الحسي والمعنوي

ومنها والذي أشرت إليه من النفخ يظهر لي أنه نوع من الاستسقاء
غير أنه خفيف فتشرب الماء المطفى فيه الحديد بعد احمراره جيداً بالنار
وادهن بطنك من خارج بشيء من القطران فإن أمكن أن تشرب لبن الإبل
إن وجد هناك فبادر إليه فإن لم تجده مخلوطاً فإنه من أنفع الأشياء لنفخ البطن
ويكفيك أنه دواء نبوي كما في صحيح البخاري وقد عملنا نحن ذلك في
حق أقوام من الإخوان فصحوا في الحال ومنهم من أخبره الأطباء بأنه

لا يمكن علاجه الا بعد تناول دواء صعب وضعه له طول مدة كاملة فوصفنا
له هذا الدواء فصح بعد ثمانية أيام .

ومنها ومن الوقت الذي جاءني كتابك وأنا أردد النظر فيه لأستخرج
منه حقيقة حالك وقد ظهر لي ظهوراً بيناً أن حالك طيب غاية و الحمد لله
وما أصابك إنما هو من كثرة الدم ورقته عملا في مائية يسيرة بسبب عدم
أكلك الإدام الخشن كاللحم والزيت والخبز الخ ومن رقته يصيبك ما يصيبك
من البرد الشديد عند شرب المرق وأكل الخبز والحريرة لأن ما به من الماء
يريد أن ينتشر في الشرايين العصبية وهذه الأمور تقويه وتزيده غلاء فيحصل
لك ذلك ودواؤه إن شاء الله تعالى يكون بدوام أكل التمر والسحتر مع السكر
وقليل من السمن الذي مر عليه العام أو أكثر إن وجدته وما تيسر منه
مع المداومة على شرب الشاي بالقرنفل الى أن ترجع طبيعة المركز الأول
أفضل جميع المأكولات ونرجو الله أن يكون ذلك سريعاً بحول الله

ومنها والذي أصابك من الوجع الشديد الذي أقعدك في الفراش ومنعك
من الحركة الخ خفيف للغاية وسببه برودة عصبية في المعدة حدثت من علالة
الأكل ووصلت الى الأعصاب فوقفت بها عن سيرها الطبيعي و سبب ذلك
قلة العرق ودواء ذلك يحصل إن شاء الله تعالى باستعمال ماء الرند الحار
والجلوس فيه في الحمام المرة بعد الأخرى مع شرب ماء اليانسون حاراً عند
النوم وإدخال شيء من بخاره الى الحلق وبعد حصول الراحة خذ أوقية من
المصطكي و خذ عليها مقدار خمس حفنات من الماء واجعلها على نار الفحم
الخالصة من الدخان واتركها حتى يفنى نصف الماء ثم صفه واجعل عليه عسلا
منزوع الرغوة واجعله على النار واتركه حتى يصير في قوام الأشربة ثم ارفعه
واجعله في زجاجة وخذ عند كل صباح قدر أوقية واجعل عليها قدر حفنة
من الماء و اشرب ذلك على الريق فإنك تعافى من جميع أمراض المعدة بحول
الله تعالى .

ومن بعد والمعدة حتى كلها أن يخضب أطرافه اليدين والرجلين والرأس بالحناء المعجونة بشيء من الزعفران مع شرب شيء من الليمون الممزوج بماء الورد وقليل من السكر ولتنتجر صباحاً ومساء شمع العسل حتى يعلق ريحه بالجوف ثم [illegible] فإن شاء الله تعالى فإن نفعت [illegible] وإلا فليعمل لها دواء آخر حتى يحصل الشفاء بحول الله تعالى

قلت ومن عجيب شأنه في المداواة أنه كان لا يصف في الأدوية شيئا غريباً نادر الوجود كما نجده في أدوية القانون والمنهاج وشرح الأسباب والعلامات والتذكرة وغيرها بل لا يصف إلا ما هو [illegible] [illegible] الحصول عليه [illegible] بما كان وكان يرى [illegible] في المعالجة من [illegible] على الأدوية المفردة ويستقبح الاتكال على الأدوية المركبة المجلوبة من بلاد الخارج لأنه [illegible] العلاج والمداواة لعجز الطبيب عن معرفة غيره ولذلك لما [illegible] إلى [illegible] مؤتمر العلامة [illegible] المدرسة الطب الكبرى الموجودة بالقصر العيني لظنه أنه يدرس [illegible] على طريقة جامعة بين القديم والحديث وأنه وجد بالمدرسة [illegible] فيه ساعات والأعشاب وأن المدرس [illegible] بكل [illegible] وما [illegible] من كلام الشريف [illegible] [illegible] وجده يدرسون على الطريقة الإفرنجية والمدرسون [illegible] لا يدرسون بالآلة عربية [illegible] ذلك لأنه لا يفيد في معرفة الصنائع والأدوية وأسباب الأمراض ولا [illegible] كل [illegible] من العلاج وإنما هي أمور صورية غير محققة ولا مجربة ولذلك يقل النفع والعلاج بعدوه [illegible] في ذلك أنهم لا يعتمدون إلا على المركبات والمواد المجلوبة من الخارج ولا يعتمدون على نباتات البلاد ومعادنها ومسوحاتها فقد [illegible] المجربات وكان [illegible] لا [illegible] عدم النفع به ولكن هو كالحاد [illegible] إلا في الشيء التافه الذي لا يذكر

فصــــل

وأما الإخبار بالمغيبات فكان إليه المنتهى في تلك الأقطار حتى كان يخبر أناساً بأسمائهم وكناهم من غير سابقة معرفة من غير أن يكون عنده علم بذلك

وكانت له المشاركة التامة في سائر [illegible] كان أعرف [illegible] وذكائه [illegible] ومن عقائد [illegible] لا يكاد [illegible] من [illegible] الا [illegible] ومما حكاه من أصحابه السيد أحمد بن زيد الأنجري وهو من تلامذته في الطريق أن [illegible] الرحل وامتنع أدبا مع الشيخ فقال لا بد أن [illegible] ملك [illegible] في [illegible] وذكر له أن جده العارف الكبير سيدي أحمد بن عبد المؤمن [illegible] على [illegible] فلما [illegible] الكتاب [illegible] للرجوع [illegible] وشرع في القراءة مع الشيخ [illegible] بالكلام في [illegible] الشيخ [illegible] وقواعد [illegible] في [illegible] الكتاب [illegible] الشيخ وقال له [illegible] لا [illegible] ودخلت [illegible] يوما [illegible] الملوك [illegible] محمد [illegible] قال [illegible] الشيخ محمود [illegible] يقول في حق سعد زغلول إنه سيموت في هذا العام [illegible] إلا شهران أو ثلاثة حتى ورد الخبر بوفاته وقضاياه في هذا الخصوص [illegible] بالأوراق [illegible] كثيرة أضربنا عنها صفحا وقد ذكرنا جملة منها في الأصل

وأما دروسه [illegible] في [illegible] لا يسكت لحظة ولا يفكر فيما يقول كأنه يقرأ من صحيفة الكتاب ولا ينطق إلا باللغة العربية الفصحى لا ينطق بكلمة واحدة عامية أصلا سواء في ذلك درس الفقه والحديث و[illegible] والنحو والمنطق لأن درس الحديث والتفسير [illegible] عن غيره

دؤدة وأبهة وهيبة زائدة مع صيغة جميلة ونغمة مصرية [illegible] المرء ودام
درسه اليومي جمعه كان يورد الحديث من الصحيحين بسنده ثم يتكلم عن تراجم
رجاله وأحوالهم ومقالاتهم إن كانوا من أهل الزهد والورع ومواليدهم
ووفياتهم ثم ينتقل إلى متن الحديث فيذكر طرقه ومخرجيه وألفاظه ثم يعرب
ألفاظه مشكل إعرابها ويتكلم عن غريبه ومعناه والأحكام المأخوذة منه
ومقسمه كل مذهب في المسألة ودليل كل قول ومايرد عليه من الاعتراضات
والأجوبة ويسوق بعد ذلك نص خليل على الحديث إن كان موافقاله ثم يختم
باستخراج الفوائد والمسائل وإذا كان في معنى الحديث أحاديث أخرى في
الباب أملى جميعها بمخرجه [illegible] وكان مرة [illegible] حديث [illegible] حديث
سبعة يظلهم الله في ظله أملى كل الأحاديث الواردة في الخصال الموجبة لظل الله
يوم لا ظل إلا ظله وإذا قرأ حديث ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له
ما تقدم من ذنبه أملى كل الأحاديث الواردة في غفران ما تقدم من الذنوب
وإذا قرأ حديثا فيه [illegible] أملى كل الأحاديث الواردة بذلك
وهكذا لا يكاد يخلو درس من الإملاء مع فصاحة وطلاوة ونور وحلاوة
[illegible] في مجلس [illegible] فكان يدرك الدروس الكبيرة [illegible] ويقف
[illegible] ويرجع مع [illegible] المعنى بدون تكرار
ولا إعادة كلمة ولا توقف ولا سكوت لحظة واحدة [illegible]
في درس [illegible] [illegible] التقرير [illegible] [illegible] من [illegible] يوما
[illegible] التقرير [illegible] الأخرى [illegible]
[illegible] صوت [illegible] كان [illegible] من [illegible] على [illegible] لفرط [illegible]
[illegible] لذة [illegible] وتقريره ولم يكن يطيل إلا قدراً قليلا مع أنه كان [illegible]
[illegible] يجمع ثلاثة دروس في مجلس واحد يمكث فيه ثلاث ساعات تقريبا
فكان يخرج للدرس قبل الظهر بساعة ونصف فيشرع في قراءة الخلاصة بشرحي
المكودي وابن هشام ثم بعد مدة يشرع في قراءة المختصر [illegible] الظهر

وبعد قليلا قام وصعد الكرسي وشرع في قراءة صحيح لأن درس الخلاصة
والمختصر كان لا يحضره إلا الطلبة ونجباء العوام ممن له رغبة في التفقه وأما
الصحيح فكان بعد الظهر تجتمع الخلائق من سائر الطبقات لسماعه فكان
يصعد على الكرسي وقتئذ بمسمع الناس وكان قبل ذلك يخرج صباحا ليدرس
لامية الأفعال والمنطق معا في درس واحد كل ذلك من حفظه بالقريحة السريعة
بحيث ما يلقيه في ساعة يلقيه غيره في عدة ساعات ويعمر به عدة مجالس

قال في النسمات كانت دروسه رضي الله عنه محكمة ودوامه قراءة بحث
وتحقيق وتحرير وتدقيق وتخليص للمسائل وتحريرها مع ما ينضم إلى ذلك
من الإيراد والأجوبة عند ما كان عليه رضي الله عنه من حلاوة المنطق
وحلاوته وبلاغة اللسان وفصاحته وحسن التأدية والسبك ورونق العبارات
والإفهام البالغ حتى إن [illegible] من لقيه كان يحوز من الفهم والإدراك
حظه أما حفظه وإملاؤه فكان لا يجارى فيه ولا يبارى ويكفي برهانا على
ذلك ما كان يجمعه من الدروس المختلفة فضلا عن [illegible] في مجلس واحد
فكان يقرأ [illegible] ولا أخته ابن [illegible] بشرح المكودي ولا يقتصر عليه بل في
الكثير من المسائل النحوية ثم يتبعه بقراءة مختصر خليل مفصلا وهو في
مجلسه كان يقرأه بشرح الخرشي ولا يقتصر عليه بل يأتي بكلام الزرقاني
وحواشيه للشيخ البناني والرهوني وغيرهم من شراحه الكثير وربما أخذ نحوا
عشر ثقلة وقوله

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام

ثم بمجرد الفراغ منه يشرع في قراءة صحيح البخاري [illegible] من يقوم من
مجلسه الأول فيصعد على الكرسي تعظيما لحديث رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وكان يحضر درسه في الصحيح الجم الغفير من العلماء والطلبة وأعيان
البلد وغيرهم حتى إن أعلا صوته لا يبلغ منتهى مجلسه لكثرة الحاضرين
وكانت قراءة مدهشة للعقول آخذة بمجامع القلوب لما كان عليه رضي الله

عنه من عجيب الحفظ وغريب الإملاء والتحقيق وحسن الترتيب وبديع التنسيق
وكان يملي في الزمن القليل من الأحاديث ما لا يملي غيره في الزمن الكثير
وكان عند قراءته للحديث يكسى حلة البهاء ويعلوه نور وبهجة وسناء حتى
يفيض على قلوب الحاضرين ولا يمل أحد من مجلس قراءته ومذاكرته وإن
طال ما طال وحتى إن من حضر مجلس قراءته لم يقنع بغير مقعده وإن بلغ في الفهوم
والتحقيق ما عسى أن يبلغ لأن علمه كان علم فتح ووهب لا علم كسب وقراءته
كانت قراءة مجتهد لا قراءة مقلد اهـ

وقال صاحب العمدة وغيرها في الدين فهو لا شك الفرد الأول من
المسلمين ممن لا يبارى في ميدانه ولا يجارى في شأنه حتى هو ممن لا تأخذه
في الله لومة لائم ولا يلتفت فيه لذي سطوة لا سيما في مجلس وعظه ودروسه
إلى أن قال وإذا تم درس ازدحم الناس على محلات القرب منه وغصت
المحافل بهم وفتح مرة صحيح البخاري فشهدت كثيرا من أدلته ما بهر العامة
والخاصة وتجد الأعناق حول القراءة مشرئبة لسماع نفثات مشكاته ومشاهده
مما لو قدرت على كتب ما يمليه لكان شرحا حافلا مع كون إلقائه من غير
تلعثم ولا تمتمة مما يستلذه الأسماع وتصغي إليه القلوب ويغص المسجد
بالحاضرين لا سيما من أهل الفضل والدين لما يسمعونه كل يوم من رقائق
المواعظ وحقائق العلوم والعرفان مع بيده أشكل تحقيقه مكانة الرجل في الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر اهـ

فصل

وكان الشيخ رضي الله عنه عاملا بالسنة وما صح لديه من الدليل من غير
نظر إلى مخالفة المذهب ولا ما جرى عليه العمل امتثالا لأمر الله تعالى وأمر
رسوله صلى الله عليه وسلم كما هو واجب على كل مسلم موحد لا سيما في النصف
الأخير من عمره، فإنه كان يصدع بذلك ويدعو إليه، وأمر بكثير من السنن

المحفورة في مذهب مالك كالتعوذ والبسملة والجهر بالتأمين ورفع اليدين في
الانتقال ووضع اليمنى منهما على الشمال والسلام من الصلاة مرتين مع زيادة
ورحمة الله والأذان بين يدي الخطيب يوم الجمعة وغير ذلك وكان يعظم مخالفه
لخصمه بذكر الاجتهاد والعمل بالسنة ، ويبدي عجبه من المقلدة الجامدين
الجهلة المعرضين عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويناظر
في ذلك ويبالغ في تقريره ، لاسيما مع كبار الفقهاء ، وشيوخ المقلدة وقد
ناظر مرة [illegible] فقيه المغرب سيدي المهدي الوزاني صاحب المعيار والحواشي
المتداولة وألزمه الحجة ، [illegible] وقصر عن [illegible] ويتكلم الاجتهاد ،
ونحوه العمل بالكتاب والسنة ، ووقعت له مناظرة بالمدينة المنورة مع محمد بن
عيسى الجزائري في مجلس عظيم من علمائها فيهم شيخنا الإمام سيدي محمد
بن حمزة المكي والشيخ [illegible] الأيوبي الشامي والشيخ [illegible] سويد
الدمشقي [illegible] والشيخ عمر حمدان المحرسي والسيد [illegible] ونحو من [illegible] ومايقرب
من عشرين عالما كانوا مجتمعين بضريح سيدنا حمزة رضي الله عنه وبعضهم
[illegible] فجرت مسألة [illegible] وبينهم في مخالفة المذهب
[illegible] ونسي الكلام [illegible] التشكك عن سيدي أبي القاسم الدباغ لأنه
كان من [illegible] العمل بالسنة [illegible] بذلك
من بين الحاضرين . فانبرى له الشيخ رضي الله عنه وناظره مناظرة بهرت
عقول الحاضرين ، ومكثوا يتحدثون بها طول عمرهم كلما جرى ذكر الشيخ
رضي الله عنه حتى ذكره كل من السيد أبي القاسم الدباغ والشيخ عمر حمدان
في الانفراد في أوقات مختلفة ، قالوا ما كنا نظن الونيسي أمام الشيخ إلا كهر
صغير بين يدي أسد عظيم ، ولما ألزمه الحجة ولم يجد من يد الشيخ مفرا ،
قال في حمية وغضب للتقليد والشيطان ما قاله الله ورسوله أضعه تحت قدمي
وما قاله خليل أحمله فوق رأسي ، فقال له الشيخ الآن سقط الكلام معك
ولو أخبرتنا بهذا من أول وهلة ما ناظرناك لأننا كنا نظن أنك تناظر عن جهل

بالمسألة وبحث في النص والاعتقاد وبحث وصنف في حد السكر وارده ولعند
فلا كلام لنا مع من هذا حاله .

وحضر الشيخ مرة في وليمة ومعه بعض الفقراء وكانوا صائمين صوم تطوع فلما
حضر الطعام أمرهم بالإفطار عملا بقوله صلى الله عليه وسلم « الصائم المتطوع
أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر » فقام جماعة المقلدة لذلك متعجبين على
عادتهم عند رؤية العمل بالسنة وأكثروا القيل والقال انتصارا لما عليه الذي
يسمونه المذهب فاجتمع بهم الشيخ وألزمهم الحجة وأبان جهلهم وعنادهم .
وهكذا كانت طريقته رضي الله عنه العمل بالسنة ويعتمد في مناظرته مع المقلدة
على المذهب لوجود قول فيه أو قاعدة تقتضي ذلك لعلمه أن أهل [illegible]
لا يرضخون إلا لما لديهم ولا يدينون إلا لشركائهم نعوذ بالله من الخذلان وكان
يأمرني إذا كتبت في مسائل من السنة أن أنصرها بقول المقلدة حتى يمكن
نشرها والعمل بها لا بالدليل من الكتاب والسنة الذي لا يقيم له المقلدة
وزنا ويعتقدون أن العمل بهما ضلال وبدعة نعوذ بالله من الضلال

وسافر الشيخ [illegible] إلى [illegible] مسيرة ثلاثة أيام ، ولما قرب من
بلده وكان يوم جمعة [illegible] قربه فدخل المسجد [illegible]
[illegible] والصلاة فخطب ارتجالا
وصلى بهم ثم رجع إلى [illegible] فشاع الخبر بين فقهاء غمارة فانقسموا قسمين قسم
[illegible] على الشيخ لأنه خرج عن المذهب وخرق [illegible] وقسم حكم
ببطلان الصلاة ، فلما بلغه ذلك [illegible] فحضروا بحضرته
في المسألة وعرفهم ما لم يكن عندهم به علم من مذهبهم فاعترفوا إلا واحدا
[illegible] والخذلان [illegible] على [illegible] وأكل [illegible]
بالباطل فإنه أصر على العناد لفرط جهله إلى أن توجه إلى فاس ووقف على
رسالة مؤلفة في المسألة للشيخ [illegible] المعروف [illegible] ، فعند
ذلك انقمع تحت جهله .

ومع هذا فان الشيخ رضي الله عنه كان يحب موافقة الفقهاء فيما رآه ويعمل به ولو خارج مذهب مالك كراهة منه للتفرد والاستقلال ولو أدى لا للتوقف في الدليل أو شبهه في العمل به بل فرارا من دعوى الاجتهاد والظهور بما فيه فخر وتبجح وأنانية ، فكان يستتر في جميع ما يختاره باتباع مذهب من المذاهب أو قول فقيه من الفقهاء حتى لا يخشى سائله أو يحتج على معارضه بأن هذا رأيي ومذهبي بل يقول اعتمدنا في هذه المسألة على مذهب الشافعي أو ابن حنبل أو أبي حنيفة أو على قول في المذهب حكاه فلان عن فلان أو نص عليه فلان في كتاب كما تقتضيه سنة الجامدين في التقليد الجاحدين لفضل الله على خلقه . ولذلك درج أكثر الناس بل كلهم حتى أقرب الناس إليه وأشدهم ملازمة له يعتقد فيه التقليد والتمذهب بمذهب مالك وصاروا يحتجون علينا إذا دعوناهم إلى العمل بالسنة ونبذ الأقوال المخالفة لها من مذهبهم بأن الشيخ الوالد لم يكن على ذلك وأنه كان طول عمره مقلدا ناصرا للمذهب وحاشاه من ذلك ومعاذ الله أن يكون كذلك ونحن ما أخذنا الاجتهاد في العمل بالسنة إلا من أمره وتعليمه ولا نبذنا التقليد وراءنا ظهريا إلا بإشارته وإرشاده ، ولا هدانا الله وأنقذنا من بدعة التقليد إلا باتباعه والاقتداء به والاهتداء بهديه ، ولولاه لكنا من جملة المقلدة المعاندين ، والحمد لله على فضل الله ونعمه ، وسبب وقوعهم في اعتقادهم ما ذكرناه مع كونه كان في بداية أمره وعنفوان شبابه وأيام قوته في تدريس المختصر ينتصر لمذهب مالك ، والراجح المشهور منه على غيره ، حتى أنه لما بلغ إلى موضع سدل اليدين في الصلاة انتصر له غاية وأبدى اتباعا لما عند الشروح لكنه لما اتسع في العلم وتبحر في السنة واطلع على الحقيقة رجع عن ذلك وأمر أصحابه بوضع اليمين على الشمال وأمرنا بالتأليف فيه والانتصار له وكان هو ينتصر له في مجالسه حتى صار بعض من كان يقرأ عليه من الطلبة قديما يعترض عليه ببعض كلامه السابق في درس المختصر وانتصاره للسدل وما درى الجاهل أن ذلك هو أكبر دليل

على فضل الشيخ رضي الله عنه وكذلك وبلوغه رتبة الاجتهاد لأنه لا يتغير رأيه وتختلف أقواله إلا المجتهد يبحث عن الحق العامل بالدليل كما يوجد عن أئمة المذهب الأقوال المتعددة في المسألة الواحدة ولا يوجد لمقلد في مسألة قولان فأكثر ولو بلغ في العلم على ما مالم يصل رتبة الاجتهاد لأن النظر في الدليل هو الذي يوجب التغير وتبدل الرأي كلما استبان له دليل أقوى مما عنده تبعه بخلاف المقلد فإنه يقول ما يقوله إمامه ولا يعرف حقاً ذلك من باطله بل هو لاعتقاده حقيته يلتزم العمل به ولا يخرج عنه والشيخ رضي الله عنه لم يكن كذلك فلذلك كانت أقواله تختلف وآراؤه تتعدد

وكان يحب أكثر المذاهب بعضها معجوب جميع لأئمة رضي الله عنهم من جهة اجتهادهم وجلالة منصبهم وعدم مكانتهم في العلم والدين فكان يمدح مذهب الشافعي للعمل بالحديث ويمدح كتب أهله لاعتنائهم بالدليل ويمدح مذهب مالك لكونه مذهب علماء أهل المدينة إلا أنه يذم صنيع المتأخرين من المالكية في الإعراض عن الدليل وكثرة الاختصار المجحف وعدم نسبة القول وتعليله ويشهد للحنفية بالبراعة في الفقه وكثرة الفروع ودقة النظر في استخراجها ويقول هم الفقهاء على الحقيقة إلا أنه يشهد عليهم بالتعصب المفرط الذي اختصوا به من بين أهل المذاهب ويتعجب من نوادرهم فيه غاية ويحكي عنهم نوادر في ذلك ويمدح مذهب أحمد بن حنبل بوقوفه على الوارد غالباً ويحب مذهب الزيدية ويعترف بفضلهم وبراعتهم في الفقه واستنباط المسائل وذكر الدليل في كتبهم وكان يحبها ويرغب في الحصول عليها ويسأل عنها بتلهف لا سيما البحر للإمام المهدي والسيل الجرار ونحوهما من الكتب التي يكثر الشوكاني من النقل عنها والإحالة عليها من مؤلفاته ومؤلفات غيره

وكان يطالع كتب سائر المذاهب كبيرها وصغيرها لا سيما الأم للشافعي وشرح المهذب للنووي وشروح المنهاج للرملي وابن حجر والخطيب والمحلي

وفتح القدير لابن الهمام وحاشية ابن عابدين على الدر المختار ، ويقول إن
عمله حاشية الرهوني في مذهب مالك بحث وتحريرا وجمعا ، والفتاوى
العالمكيرية ويجمع كثيرا منها للافتاء ، من فتح القدير لابن الهمام فكان
يبدي إعجابه من صنيع الشارح وأنه يستدل ويورد طرق الحديث مع
الكلام عليه وكان يتمنى أن لو تمت له ثمرة فأكمله على ذلك المنهاج لأنه
كان لا يرى لتكملته قيمة مثل أصله . وكان يعتني من كتب الحنابلة بكشف
القناع قبل أن يطبع المغني والفروع لابن مفلح ، فلما طبعا كان مغرما بهما
على أنه زاد عنه خاصة في تحرير مسألة لا يدع في مكتبته كتابا في مذهب
من المذاهب إلا وراجعه ويعلم قول صاحبه في المسألة إلا كتب الشيعة
الإمامية فإنه لم يكن بمكتبته من كتبهم شيء ولا يعدها في المذاهب ومعرفته
بحقيقتها كان لا يرى الاشتغال بها على أنه كان ، وكنت في بداية حتى
اخترت لا أتقيد بأي مذهب ثم لم أر كتابه يعرض لأدلة كل
مسألة بخلاف كتب المالكية فهي خالية عن الدليل ، وعدت من صغري
لا أقبل قولا إلا بعد معرفة دليله خصوصا الأحاديث به وصار ذلك عن تعصب
منه وبرهاني في السكت نفسه ويعني لي ما تقدم وما وأخره
منها ، ولم رحل بحوائج إلى أعمره أسف لعدم حضور حديثه لانتقل إلى
مذهب أحمد بن حنبل فمكتبته إنه يحسن له ذلك ووثقه على بدايته مع
معرفة مذهب مالك الذي هو مذهب البلاد والمشترك في سيره .

ولما وجه إلى شيخه زيارة شيخه سيدي محمد بن جعفر الكتاني رحمه
الله وكنت معه قال له ومالك مولاي أحمد ترك مذهب مالك واشتغل في
مذهب الشافعي كأنه يريد من شيخه أن يمنعني من ذلك ، فقال له هو حر
في نفسه يختار من المذاهب ما يشاء فسكت ، وكان عند شيخه الكتاني رحمه
الله نوع من معرفة ومثل إلى المذهب ... والحنفية مع أنه كان يعمل بالسنة
في كثير من المسائل لكن بشرط موافقة لمذهب ، وفي بعض الأحوال

وشرط أن يكون المسألة في الآداب والرقائق لا في الحلال والحرام كما شافهني
به مرارا وذكره في كتابه [illegible] السبيل الواضح في أن القبض في الصلوات
كلها مشهور [illegible] ورجح مع أنه لو صح سنده [illegible] تقدم قول الله تعالى ورسوله في
ما كل ورد عنهم لا فرق بين سنن وآداب ولا بين حلال وحرام وهو في هذه
الطريقة أيضا مقلد لغيره فإن المؤلف نقل في سنن المهتدين عن بعض شيوخه
أنه كان يقول نحن صوفيون محدثون في الرقائق والآداب فقهاء في الأحكام
والحلال والحرام أو نحو هذه العبارة فاقتدى به فيها وذلك من الغلط
البين والخطأ الواضح والسلام

وكان الشيخ رضي الله عنه محبا للكتب شديد الرغبة في اقتنائها وتحصيلها
ولو بالأثمان العالية التي يستغرب من دفعها في مثل ما دفعت فيه ولو لم يكن
ذلك الثمن متيسرا لديه بل كان يستدين أو يبيع شيئا من الأمور الضرورية
ليشتري ما احتاجه من الكتب بل قلما يعرض عليه كتاب فيوجد عنده ثمنه
إلا اشتراه خصوصا في أواخر عمره حيث كان لا يصبح عنده شيء من المال أصلا
ومع ذلك فكان لا يفوته كتاب يمكنه الحصول عليه ووقع له في الحصول على
الكتب وشرائها نوادر وحكايات يطول شرحها وقد ذكرت جملة منها في
الأصل وكان إذا اشترى كتابا لا يكاد يضعه في خزانته حتى يستوعبه جميعه
أو أهم مقاصده على الأقل وكان لا يدع كتب [illegible] المتشبهين
[illegible] الفرنج ولا [illegible] وكذلك الجرائد فإنه كان ينهى عن قراءتها و[illegible]
الوقت فيها ويقول [illegible] الأخلاق الفاسدة ومعتقدات
المبتدعة ومتفرنجة [illegible] الجرائد فهي والمدارس الافرنجية العامل
الوحيد في فساد المسلمين وحدثني بعض أصحابه أنه سمعه [illegible] يقول

وكنت أكتب لألفت كتابا في ذم الجرائد والتحذير من قراءتها تأسفا جيدا أسميه الضرب بالحدائد لقراء الجرائد .

قلت ولعل الله يوفقني لتبييضه عما قريب كما يسر عليّ في غيره والحمد لله . فإن الشيخ رضي الله عنه لشدة نفوره من الظهور وما فيه رائحة فخر وتبجح لم يؤلف كتابا مع أنه لو تصدى للتأليف لكان أسهل عليه من جميع أهل عصره لكثرة حفظه وسعة اطلاعه وشدة استحضاره بحيث يمكنه املاء الكراسة والكراستين في المسألة الواحدة ومتعلقاتها دون مراجعة كتاب كما كان يفعل ذلك في بعض مذاكراته وبحث به في مكاتبه لمن كتب إليه .

وقد قال له مرة بعض أصحابه لم لا تؤلف يا سيدي ، فقال له لم يبق شيء تحتاجه الأمة إلا وقد ألف فيه من سلف وعلى الخلف الآن إلا أن يشتغل ويقرأ ويعمل بما كتبوه وحققوه .

وسمعته مرة يقول كنت ألفت كتابا في الصدقة في مجلد ثم أحرقته

وذكر العبادي فيما جمعه من ترجمة الشيخ رضي الله عنه قال كنا في مجلسه الشريف يوما فذكرنا تأليف لعله مولانا أحمد فقلت له يا سيدي إنه يقولون عنكم في التأليف ، فقال وهو كذلك إن شاء الله فقد سئل القطب أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه عن عدم كتابته ، فقال كتبي أصحابي ، ثم قال رضي الله عنه . وقد كنت مولعا بالكتابة قبل هذا ، ثم رأيت الوقت لا يساعد فتركت ذلك وأحرقت بعضها ، وكنت ألفت كتابا في السيرة النبوية أيام الشبيبة حينما كنت أدرس الهمزية مع الطلبة بتهرة وأنه لا يزال عند بعضهم إلا أن فيه أحاديث موضوعة كنت قلدت فيها بعض المتأخرين كالصفاني ، ثم بعد ذلك اتضح لي أنها موضوعة . قال العبادي وله خطب السنة كلها ورسائل في الطريق تحتوي على غاية الجودة في جمعها وله رسالة أسوار الإلاح في تكفير

الذنوب والقبائح لغيرها بسبب خطيئة حطها ذكر فيها صلاة التسبيح وأحكامها
وفضلها فطلب منه بعض عباد شرفاء وران كتابة ما سمعه منه فكتب له
تلك الرسالة في صلاة التسبيح وضم إليها غيرها من المكفرات اهـ.

قلت وقد عثرت على بعض المكاتب التي أجاب فيها أصحابها عن أسئلة
قدموها له أذكرها لتتميم الفائدة.

منها وهو مسألة الجهة التي ذكرها في الغنية شيخ العارفين وقطب الكاملين
من ليس له في مقامه ثان سيدنا ومولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه
ونفعنا ببركاته وليعلم سيدنا أني قبل أن أراجع الغنية المذكورة
صرت أبحث عما يمكن أن يكون جوابا عن الشيخ رضي الله عنه فراجعت
ما يمكنني الوقوف عليه من كتب موضوع المسألة كاليواقيت للعارف
الشعراني والفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي والمحاسن البهية الشافعي
المطبوعة بهامش كرامات الأولياء للنبهاني فوجدتهم ثلاثتهم برؤوا الشيخ
من اعتقاد الجهة وصرحوا برجوعه أو دس ذلك عليه في كتاب الغنية وذلك
في المبحث السابع من اليواقيت ومبحث الكلام من الفتاوى الحديثية وآخر
المحاسن البهية، ولما رأيت ذلك في هذه الكتب الثلاثة كفاني عن تطلب
غيرها حيث لم يبق داع للجواب عنه برجوعه عن ذلك المعتقد أو دسه عليه
ثم راجعت الغنية فوجدت عبارته رضي الله عنه لا تقتضي ما نسبوه إليه
غاية ما في المقام أنه ينكر تأويل الآيات والأحاديث التي تقتضي بظاهرها
إثبات العلو والفوق والجهة من غير أن يعتقد معناها الذي تقتضيه اللغة
فاعتقاده رضي الله عنه فيها أنها صفات أثبتها الله تعالى لنفسه وأوجب على
عباده أن يصدقوا بها ويكلوا بعد ذلك علم حقيقتها إليه سبحانه من غير أن
يؤول الفوق بالعلو والمرتبة والقهر كما هو رأي الأشعرية ولا بالعظمة والاستيلاء
كما هو رأيهم أيضا مع المعتزلة بل ينبغي أن يترك تفسير ذلك والخوض فيه
رأسا مع تنزيه الله تعالى عن ظاهر معناها، وهذا الذي قاله رضي الله عنه هو

معتقد الصحابة والسلف الصالح قاطبة . وفى مقدمتهم الأئمة الأربعة وهذا
أيضاً معتقد أكابر الأولياء الذين جعل الله الشيخ فى مقدمة صفوفهم فلم
يأت الشيخ فى المقام بما يخدش فى عقيدته ولا بما يشين عرض ديانته وقد
خالف المتأخرين من الأشاعرة والماتريدية فى عدم التأويل تبعاً للإمام أحمد
بن حنبل فإنه كان شديد الإنكار على المؤولين ويأمر بمرور ما ورد كما ورد
من غير اعتقاد معنى يخالف الربوبية وعظمتها والمؤولون كإمام الحرمين والغزالى
والباقلانى رضى الله عنهم لا ينكرون هذا بل يقولون به الأخص والأولى ،
وإنما أولوا خوفاً على العامة أن يفهموا تلك الآيات والأحاديث على ظاهرها
فيقعوا فى ورطة التجسيم ، وذلك يؤديهم إلى أن يكون الخالق كالمخلوق
وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فإن الله كان ولا فوق ولا جهة ولا عرش
ولا سماء ولا أرض ولا زال سبحانه كما كان فكيف يكون فى جهة من
الجهات وهو الذى خلقها وكيف يحتاج إليها وهو الذى أوجدها فهو سبحانه
قبل أن يخلقها وبعد أن خلقها هو الله الأحد الصمد موصوف بجميع الكمالات
منزه عن سمة الحادثات لا يشك فى هذا مسلم لا من المتقدمين ولا من
المتأخرين ولم يأت الشيخ رضى الله عنه بما يخالف هذا وحاشاه من ذلك ،
وكيف وهو الرجل الذى لم تدع الأرحام مثله ولم يسمح الزمان بمثله فى
ولايته ومعرفته عندنا رضى الله عنه وعن جميع أولياء هذه الأمة من هذا ونحن
وقد عرفت ذلك من كلامه وفيما سنذكره فى المسألة إن شاء الله تعالى .

قلت ومن جواب الشيخ رضى الله عنه يظهر لك موافقته للسلف ومخالفته
للخلف الذين تجهموا فضلوا وأضلوا من قلدهم واعتقد سبيلهم حتى صار
يستشكل كلام أكابر أهل الله الموافق لما نطق به القرآن وتواتر عن الرسول
صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه الصحابة والتابعون والسلف الصالح من
الإيمان بالصفات وإمرارها كما جاءت من غير تكذيب ولا تعرض لمعنى التأويل
إذ لو أراد الله سبحانه وتعالى تأويله لما أنزل تلك الألفاظ الموهمة للتشبيه

والجهة والتجسيم والموقعة في الضلال والكفر والبدعة على زعم المتأخرين والله تعالى أنزل القرآن هدى للناس وشفاء لما في الصدور من الريبة والشكوك والوسواس والأوهام لا ضلالا وحيرة وشكا وريبة يحتاج الى إصلاح زيد وبيان عمرو وتعقب بكر وشرح خالد فقبح الله العقول التي تتقدم بين يدي الله ورسوله وترى أنها أولى بالهداية والبيان والنصيحة الصادقة من الله ورسوله.

ومنها قاعدة مسائل الحيض التي أفادها الشيخ لأبي عمران فإن من تعرض لها فقد راجعت الديباج لابن فرحون والطبقات للشعراني فلم أر ذكراً لما فيهما على أن اجتماع أبي عمران بالشيخ فيه ما فيه وذلك أن أبا عمران ولد بعد ما توفي الشيخ بنحو ثلاثين سنة فكيف يجتمع وهو لم يوجد بعد اللهم إلا أن يكون أبو عمران المذكور في القضية غير أبي عمران الفاسي وكيف كان الحال فلا غرابة في إفادة الشيخ أبا عمران تلك المسائل ولو كان أبو عمران من كان في العلوم الرسمية لأن أهل الكشف والعيان يعلمون من الأشياء ما لا يعلمه منها أهل الرسوم والأفكار لتبصر أهل الكشف للأشياء بعين الحقيقة التي هي عليها في نفس الأمر حتى أنهم يدركون بنور كشفهم حقائق المحدودات على ما هي عليه بخلاف أهل الرسوم والأفكار فإنهم لا يدركون إلا رسومها وخواصها وحدودهم كلها رسوم في الحقيقة وعند التأمل حسبما أفصح بذلك رئيس أهل الأفكار المعلم الثالث ابن سينا بعد ما أفنى عمره في تطلب حقائق الأشياء وادراك ما هي عليه في نفسها وارتكب لإدراك ذلك كل طريق يمكن للبشر ارتكابه فلم يحصل من ذلك على طائل بل في آخر عمره اعترف بأن العقل والفكر لهما حد لا يتعديانه إلا بقوة معاضدة عليهما من الخارج، وطلبه لإدراك الحق في الأشياء بنفسه هو الذي تركه متذبذباً في دينه فإنه كان يريد أن يعرف الحق ويصل الى ما ينبغي من معرفته بعقله وفكره من غير طريق الأنبياء وسيدهم وإمامهم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ظناً منه أن العقل يفي بذلك وخصوصاً إذا

كاملا في بدنه كمقلة فخاب ظنه وخرج من الدنيا كما دخل اليها من غير
فائدة تنفعه في معاده كما وقع ذلك لغيره من الفلاسفة المتقدمين عليه والمتأخرين
عنه وهذه القوة التي أشار اليها هي القوة الفائضة على الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وعلى أتباعهم الأولياء لكن من غير مساواة بينهم فيها اذ الأولياء
لا يشاركون الانبياء في شيء من خواصهم أصلا ولأجل هذه القوة الفائضة
عليهم كانت علومهم كلها ضرورية لا نظرية ولا تقبل خطأ أصلا بخلاف غيرهم فان
علومهم كلها نظرية محوجة لمقدمات وأفكار لا تخلو في الغالب عن أغلاط
وأوهام لقصور الأفكار عن الاحاطة بذاتيات الاشياء ولذلك يقع بين أهل
الشرع والمتشرعين فترى هذا يقول الحق معه وهذا يقول الحق معه في المسألة
الواحدة بخلاف علوم الأولياء فان الاشياء منهم من ذلك لاستيلاء الواجهة المفيضة
على الانوار التي كان منها بروز الاشياء فتعطيهم الاشياء [illegible] ذلك عن
من نفسها بما هي عليه في الواقع ولا يتطرق لهم غلط والحالة هذه وهذا قد
الاصوليون لا يقع التخالف بين قاطعين أبدا ولما ذكرناه من استيلاء الواجهة
على الانوار التي كان منها بروز الاشياء كانت الاشياء في نظرهم كالشيء
الواحد لاتحاد منشئها عندهم فالماضي والحال والمستقبل نقطة واحدة
ما يعرف من أولها يعرف من آخرها ولا يعزب عنهم من أمرها شيء حتى ان لو أحد
منهم لو أراد أن يخبر بما هو آت على ما هو عليه وقت ظهوره لفعل ويخرج
كما أخبر من غير زيادة ولا نقصان مع أنه ما وجد بعد وما ذلك إلا لأنه ينظر
بعين الروح المحيطة بالزمان وما فيه [illegible] ولولا تحجير الشرع عليهم
لأمكن أن يخبر الواحد منهم بما كان وما يكون وتعيين أهل الجنة وأهل
النار وأهل السعادة وأهل الشقاء وغير ذلك من شئون الأكوان ولكن لما
تتعلق مصلحة العالم بذلك أمروا بكتم ما يعلمون من شئونه الا من أذن
له في افشاء شيء من ذلك وان وقع وأفشى أحدهم شيئا مما علموا عوقب
بعقاب لو عوقب به جبل لذاب وبهذا اذا عرفت هذا تبين لك يقينا أنه يمكن
للشبلي ومن كان على شاكلته أن يعيد لعمران وغيره ألف مسألة من الحيض

مثلا من غير أن تخطر على باله ولا مفهوم الحيض بل سائر أبواب الشريعة وفروعها له أن [illegible] لا يخطر له على بال ولا يحس له بخاطر لعدم المناسبة بين [illegible] وعلومهم هؤلاء [illegible] تحدث وإلقاء الروع من غير فكر [illegible] إحاطة بنور السوى [illegible] ثلاثة مخصوصة من [illegible] ذلك [illegible] وشتان ما بين [illegible] علوم الطائفة الأولى لا [illegible] ولا وهم ولا غلط لأحدهم من طرق [illegible] من ذلك وعلوم الطائفة [illegible] وعامها أغلاط فالطائفة الأولى علومها كالشمس في [illegible] وكمال إشراقها لا يبقى معها [illegible] في المدركات بوجه من الوجوه ولا يمكن الظلام أن يسلط عليها وقت [illegible] أبدا والطائفة الثانية علومها كالضوء في الظلام [illegible] كان في الإشراق [illegible] لا يبقى [illegible] ظهور [illegible] الشمس مع مكان [illegible] [illegible] ولا [illegible] الكتاب لأتيت من [illegible] بما ترتاح له الأفئدة [illegible] الأسرار [illegible] [illegible] موفق

و[illegible] من [illegible] الطريقة وهل كان [illegible] الوحى [illegible] فلتعلم أن الطريقة [illegible] الوحى [illegible] الدين المحمدى إذ هى بلا شك [illegible] الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] واحدا دينا فقال هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم [illegible] الطريقة ونشير اليه هو مقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان [illegible] والمدعو إليها مقامات الدين الثلاثة [illegible] والقائم بها [illegible] السعادة [illegible] في الدنيا والآخرة [illegible] كمال الدين [illegible] في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة فمن أخل بمقام الإحسان الذي هو الطريقة [illegible] ناقص بلا شك لتركه ركنا من أركانه [illegible] المحققون على وجوب الدخول في الطريقة [illegible]

طريق التصوف وحثوا عليها واستدلوا على ذلك ، هو ظاهر نقلاً وعقلاً
ولسنا الآن بصدد بيان ذلك ، وقد بين القرآن العظيم من أحوال التصوف
والطريقة ما فيه الكفاية وتكلم على المراقبة والمحاسبة والتوبة والإنابة
والذكر والفكر والمحبة والتوكل والرضى والتسليم والزهد والصبر والإيثار
والصدق والمجاهدة ومعاملة النفس وتكلم على النفس اللوامة والأمارة
والمطمئنة وعلى الأولياء والصالحين والصديقين والمؤمنين وغير هذا مما
تكلم فيه أهل التصوف والطريقة رضي الله عنهم .

وأما هؤلاء فلم تمس الحاجة إلى [illegible] لأنهم كانوا [illegible]
من الدين بل هي أشرف أركانه وكان يوحى إلى قلبه وكانت الصحابة بالحالة
التي كانوا عليها من المسارعة إلى العمل [illegible] وكانوا يعرفون أول
داخل فيها [illegible] ودقائق الأمور [illegible] ولهذا كانوا على غاية
ما يكون من الزهد في الدنيا والإعراض عنها لا غيرهم ومحبة الله تعالى ورسوله
والدار الآخرة والصبر والإيثار والرضى والتسليم وغير ذلك من الأخلاق
التي يحبها الله ورسوله وتوصل إلى قربهما وهي المعبر عنها بالتصوف والطريقة
ولما كانوا رضي الله عنهم على هذه الحالة الشريفة كان من بعدهم أيضاً عليها
ومن كانوا دونهم فيها وكذلك إلى أن [illegible] الأتباع وهلم جرا إلى أن ظهرت
البدع وأخرت الأعمال ونقص الدين في الدنيا [illegible]
فخرب بذلك [illegible] القلوب [illegible] ما وقع في الدين ، وكادت الحقائق
تنقلب وكان ابتداء ذلك في أواخر المائة الأولى من الهجرة ولم يزل ذلك
يزداد سنة بعد أخرى إلى أن وصل إلى حالة تخوف منها السلف الصالح على
الدين فانتدب عند ذلك العلماء لحفظ هذا الدين الشريف فقامت طائفة منهم
بحفظ مقام الإسلام وضبط فروعه وقواعده ، وقامت أخرى بحفظ مقام
الإيمان وضبط أصوله وقواعده على ما كان عند سلفهم الصالح ، وقامت
أخرى بحفظ مقام الإحسان وضبط أعماله وأحواله فكان من الطائفة الأولى

الأئمة الأربعة وأتباعهم رضي الله عنهم وكان من الطائفة الثانية الأشعري وأشياخه وأصحابه وكان من الثالثة الجنيد وأشياخه وأصحابه فعلى هذا ليس الجنيد هو المؤسس للطريقة لما ذكرناه من أنها وحي إلهي وإنما نسبت إليه لتصديه لضبط قواعدها وأصولها وتدوينه بعض ذلك عندما ظهر التأخر عنها وبهذا السبب عينه نسبت العقائد إلى الأشعري والفقه إلى الأئمة الأربعة وغيرهم مع أن الجميع وحي من الله تعالى

وأما إذعان ابن عبد السلام للشاذلي فلما ذكرناه سابقا من اتساع علوم الأولياء رضي الله عنهم إلى حد لا يخطر على بال عقيه ولا يطمع في شم رائحته وكيف يشم رائحته أو يعثر على باله وهو من وراء ألف ألف حجاب وذلك أن الأولياء رضي الله عنهم يصلون في مقام أحدهم وهو العلم بالله ورسوله الى وسعة ولا يصلون في ذلك المقام حتى يقع لهم المرور على مقامات علية ومراتب سنية كل مقام منها وحده بعمقه وتوسعته يرى ما بيده من العلوم الرسمية لا اقرانه [illegible] جهلا وعالة بالنسبة لما رأى ولو كان [illegible] على وجه الأرض [illegible] الى علمه [illegible] جميع [illegible] في حكمه حكمة جميع الحكماء [illegible] في ذلك المقام كلا شيء وهذا بالنسبة لمقامات مطلق الأولياء [illegible] وكبراؤهم كالشاذلي رضي الله عنه فان عندهم ما يقف العقل عن [illegible] ولا يؤثر وجود ذلك عندهم وإذا كانوا بهذه المثابة فكيف لا يخضع ابن عبد السلام وغيره للواحد منهم وعندهم من معرفة الله والمعرفة به [illegible] على حمل لذلك [illegible] بل يصلون من هذه المقامات الى مقام يستخرج أحدهم جميع العلوم الموجودة على وجه الأرض من أي حرف شاء من حروف القرآن حتى أنه لو انقطعت العلوم من الدنيا لوجدت عند الواحد منهم كما ينبغي وفوق ذلك لا فرق فيه بين العلوم التوراتية والفلسفية والدينية والدنيوية من غير مراجعة كتاب ولا مدارسة مع أحد [illegible] على قلبه لو ظهر شيء منها

الحيوان البهائم وللعمى القلب ولا أعمى لا يبصر في الظلام وتأمل قوله تعالى لو
أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية يظهر لك ما قدمناه فلما تقدمهم من هذه
وأمثاله مما لا يعرفه إلا هم رضى الله عنهم خصوصا ابن عبد السلام والشاذلى
وغيره لغيره .

وأما ما سألت عنه من الخارج من أقسام الشيوخ الخمسة فإن الأربعة بعد الأول
كل واحد منهم يصدق في التسليك والوصول إلى الله تعالى وإن كان بعضهم أعلى من
بعض في ذلك أما الأول فإنه يصدق بتعليم الفروج بنور تنبسط بسببه أشعة العلم
على معنى التوحيد فيستفيد خوارجه بالعمل بمقتضى العلم الذي يتعلمه وبذلك
يفارق غيره من هذه المعاني ما يسلكه مريده وأخذه بيده ورفعه الحجاب
عنه حتى يقول للمريد ها أنت وربك فلا تحتاج له بعد لأن هذه الحالة لا تكون
إلا لمن سلك الطريقة على أيدي الأشياخ العارفين بالله تعالى أما من لم يسلك
فلا مطمع له في التسليك والتربية ولو عبد ما عبد وعمل من الأعمال ما عمل
[illegible] الشيوخ المذكورين عند ابن الحاج
وهم المربى والمرقى والخرقى والكامل هو المرقى إذا كان [illegible]
[illegible]
[illegible]
وكثافة حسه ورضاه عن نفسه [illegible] الأوقات فلا يبعد أن
يقال أن الأكمل هو المرقى لأخذه بيد مريده من غير تعب ولا مشقة ولكن
قلما تسلم طاقة المرقى [illegible] والكامل مندرج في
المرقى فلا يقال كيف وقع [illegible] هذا مقام يحتاج إلى بسط وطول
كلام والمقصود الاقتصار على [illegible] جواب ما سألت عنه على
سبيل الاختصار

ومنها [illegible] وحزب البحر وحزب النووى
فاذكرها وواظب عليها [illegible] وحصل لك منها مثل في بعض

الأوقات فاتركها حتى يعود اليك نشاطك لتذكرها باستحضار تام وتوجه
تام لتحد ركنها وثمرة ذكرها فان الذكر من حيث هو لا ينتفع به صاحبه
الا اذا أقبل عليه بكليته وتوجه اليه بخالص قلبه وما يعتريك من الكسل
عن العبادة فى بعض الأوقات سببه برودة حرارة الروح وتقبضها عن
الانتشار فى أعضاء الجسد وموجب ذلك اما حرص فيما لا يعنى واما تناول
ما فيه حرام أو شبهة واما طمع فى الدنيا وشهواتها وحب البقاء فيها فتحدث
بسبب هذا ظلمة وبرودة على القلب فتنقبض حرارة الروح من أجلها فيحصل
الكسل والملل من العبادة وتميل الذات بطبعها الى البطالة ودواء ذلك أولاً أن
تلتجىء الى الله تعالى بالاستغفار وتطلب منه أن ينقذك من وحشة الغفلة الاعراض
والادبار مع ملازمة الاستغفار، وثانياً أن تستحضر وقت ما يقع لك ذلك
ما أنعم الله به عليك من النعم الجليلة التى لا تحصى لك فى تحصيلها كالايمان
بالله تعالى الذى تحققت به وحصلت لك به العز ومعرفتك باحكام شريعة
دينه ومما أعطاك من سمع وبصر والعافية وغير ذلك من النعم التى لا تحصى
وتشكره عليها فى نفسك وترجوه أن يتحفك بجميع ما تحبه كما تحفك به
ذكره وتدوم على هذا الاستحضار وعلى هذا الرجاء حتى تمتلىء قلبك من
الفرح به سبحانه فاذا امتلأ من الفرح به امتلأ أثر ذلك محبته فاذا أحست
الروح محبة لله فى نفسها حيث تدين لله تعالى وانتشرت حرارتها فى الذات
كلها فتزحل بسبب ذلك تلك البرودة وتعشق الذات بطبعها عبادة الله تعالى
فلا تشبع ولا تمل منها حتى أنه ربما تمر عليها الأوقات الكثيرة ولا يقع فى
شعور مقتضياتها من باب الأكل والشرب والنوم والكلام وغير ذلك من
أوصاف البشرية المقطعة للعبد عن وصول الأمداد الالاهية اليه ولا تزال
الذات تترقى فى هذا الحال من عبادة الى عبادة ومن مفضول الى فاضل ومن
فاضل إلى أفضل حتى يستولى عليها النور ويحيط بها ظاهرا وباطنا فتتحلى
العبودية بعد ذلك ولا يبقى للذات ميل الى شيء من الأكوان الظلمانية

والنورانية فإذا تمكنت في هذا المقام رفع الله عنها الحجب في الحال وأشهدها
من جلاله وجماله ما تقر به عينها وتتم به سعادتها إلى أبد الآبد ثم يفاض
عليها من مقامات الولاية والمعرفة به سبحانه ما يناسب قدرها وصدقها إلى
آخر ما يقع لك أرشدني الله وإياك جعلنا الله وإياك منهم بفضله وكرمه آمين فقدم
في هذه ثم إياك والالتفات الى غير الله على أي حالة كنت

وإذا عرفت ذلك فإياك ثم إياك أن تتأخر عنه فإنه من أرفع العبادات وأشرف
الحالات وكيف ترضى أن تقضي يومك وليلك تعلم كتاب الله لأولاد المسلمين
وتعلمهم الصلاة التي هي توحيد الله تعالى وعبادة رب العالمين مع ما تستمع من
ذلك من ملازمة بيت الله الذي قال الله تعالى فيمن يلازمه إنما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية وأداء الصلوات الخمس في أوقاتها والأذان
خمس مرات في اليوم الى غير هذا من العبادات التي يوصل الإنسان لو وجدة
منها مكنته يوم القيامة فكيف بها إذا اجتمعت

وأما ما يقع للفقهاء الذين يقرئون الصبيان من عدم الالتفات الى العبادة
والتخلق بالأخلاق النبوية التي لا بد منها وهي الشرط هو الذي أوجب لهم ذلك
والذي أوجبه لهم عدم تشوفهم الى العبادة وعدم تشوقهم الى معرفة الله ومعرفة
أخلاق حبيبه صلى الله عليه وسلم إذ المعرفة بالله ورسوله لا يسقط إلا من
شوق إليها وطلبها وترك ما سواها التي أشرنا إليها سابقا ولمن أنف منها
فهؤلاء يعرفون الله كتبه ورسالاته وأما من يعبد الله تعالى ويتلو القرآن
ولا همة له في معرفة الله ولا عبادة ميل إليها كحال أحوال المدرّرين فهو
لا يسقطها ولو بقي على عبادته الدهر كله فاعرف هذا واعمل عليه والسلام.

وأما الحديث فنحن لا إشكال فيه إذ لا يأتي الإشكال إلا لو أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالآية الشريفة على سبيل التلاوة وهو إنما
أتى بها على سبيل الاستشهاد لما ذكره من حكم تلك المسألة والقرآن إذا استشهد
به المستشهد لحكم من الأحكام أو أتى به تمثيلا لوعظ أو تذكرة لا يلزم أن

يؤتى به على وجهه من غير زيادة ولا نقص لا تعلق للحذف والخلف على
جواز ذلك بالحذف والزيادة عند استعماله ويسمونه ضرب مثل وتمثلا وربما
سموه اقتباسا بحسب اختلاف المورد، وقد كثر ذلك في كلام النبي صلى
الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأتباعهم وهلم جرا، ولم ينكر
أحد منهم نقص حرف أو زيادة إذا لم يقصد التلاوة وحكى الآية ثم ذكره
فما ورد من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم مع نقص حرف من التلاوة
قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الترمذي إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته
وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير بحذف هاء من تفعلوه
مع أن التلاوة بإثباتها وما جاء عنه مع إبدال حرف من كلمة قوله صلى الله عليه
وسلم من تكلم والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفارا مع أن التلاوة
كمثل إلى غير هذا مما يطول جلبه من الأحاديث وما ورد عن الصحابة من
هذا فشيء يفوق الحصر وكذا ما ورد عن التابعين وتابعيهم إلى وقتنا هذا
وقد [illegible] هذه المسألة الحافظ السيوطي في كشف الالتباس عن جواز ضرب
المثل من القرآن والاقتباس أو كما هو اسمها فإنه غاب عني اسمها وأشار إلى
شيء منها في آخر عقود الجمان وشرحه وسبقه إلى ذلك بإيراد نصوص الأئمة
[illegible] في شرح [illegible] فإذا [illegible] عرفت هذا [illegible]
لك أنه لا إشكال في الحديث وأنه غير [illegible] فيه من غير [illegible] ولا زيادة
وأن لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد به التلاوة وإنما قصد [illegible]
الحكم كما سبق فلا [illegible]

ومنها وأما رؤيا الشيخ أحمد [illegible] الحجرة [illegible] الوصية
فلا يحملك أن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق لا شك فيه [illegible]
كذلك وإن أمر بما هو متعلق بالدين من غير دخل في الدين فلا شك في [illegible]
ذلك وتعين العمل به على الرائي ولا بد أن يجد ما أمره به صلى الله عليه وسلم
وإن أمر بما هو متعلق بالدين فإن أمر بواجب أو مندوب أو ما يخرج [illegible]

بعين قبوله والعمل به ودل امره بذلك على مصلحة تامة تحققت بذلك المأمور به في الحال للرائي ولمن صدقه واراد ان يعمل بعمله لأن امره صلى الله عليه وسلم بمثل هذا لا يهدر وان امر بما هو محظور في شرعه الشريف وجب تأويله وصرف الرؤيا عن ظاهرها لانه صلى الله عليه وسلم لا يأمر بغير الحق وبما يخالف الشرع الشريف اصلا هذا حكم ما يأمر به صلى الله عليه وسلم في الرؤيا لكل احد كائنا من كان اما رؤيا للشيخ احمد بالخصوص فيجب ان يعلم انه لا يقبل رواية احد في الدين الا اذا عرفت عينه وتحققت عدالته ، اما اذا جهلت عينه وعدالته كحال الشيخ احمد هذا فانه مجهول العين والعدالة فروايته مردودة اجماعا كما في كتب الأصول ووصيته ما وافق منها الشرع الشريف قبلناه لا لرؤياه بل لموافقته لما هو معروف من الشرع وما خالفه منها رددناه عليه وعلى غيره لأن الدين قد تم وكمل فلا يحتاج الى رؤيا احد ولا وصيته هذا ما يتعلق بتلك الرؤيا في الحال على سبيل الاجمال والاختصار وان اردت بسط العبارة عليها وتتبعها كلمة كلمة فعرفنا نرسل لك ذلك حالا ان شاء الله تعالى .

ومن ... الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ... فيها ... الا ... ابن اسحاق في جماعة من اهل العلم ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كانت ... ولا ... من الدعوات المعروفة في صلاة الجنازة وانما كان الصحابة رضي الله عنهم يدخلون افواجا افواجا فيقفون ويدعون ويصدقون ... ثم يخرجون وتدخل طائفة اخرى ثم تفعل كذلك وهكذا ... من قال هذا امرين اولهما ان الصلاة المشروعة في الجنائز ... شرعت شفاعة للميت وهو صلى الله عليه وسلم غني عن شفاعة غيره له ثانيهما ان الله تعالى اخبر انه يصلي عليه وملائكته وطلب من المؤمنين ذلك ، قال السهيلي وهذا الطلب يشمله صلى الله عليه وسلم حيا وميتا فالصلاة عليه اذا كانت ... يقول كل واحد اللهم صل على سيدنا محمد ... الصلاة

الإبراهيمية ، ثم يدعو لنفسه ويصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في رسالته ثم
ينصرف إلى حال سبيله . وذهب الجمهور إلى أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كانت
كالصلاة المعهودة في الجنائز . قال القاضي عياض والنووي وهو الصحيح الذي
لا يلتفت إلى غيره ، لكن اتفقوا على أنها لم تكن بإمام لقول سيدنا علي
كرم الله وجهه كما رواه ابن سعد والبيهقي هو إمامكم حياً وميتاً ، فلا يقدم
عليه واحد ، وكذلك اتفقوا على أنهم لم يدعوا في صلاتهم بدعاء الجنائز .
وإنما كانوا يقولون كما رواه ابن سعد والبيهقي أيضاً « السلام عليك أيها
النبي ورحمة الله ، اللهم إنا نشهد أن سيدنا محمداً قد بلغ ما أنزل عليه ونصح
لأمته وجاهد في سبيلك حتى أعز الله كلمته ، فاجعلنا نتبع ما أنزل إليه وثبتنا
بعده ، واجمع بيننا وبينه » ثم يقولون « آمين » يفعل هذا كل واحد
منفرداً مدة كبيرة من البكرة للربع ، والحال أنهم صفوف
صفوف كما قدمنا ، هذا هو الصحيح في الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم

وأما الخرطال فالذي اشتهر من مذهبنا ومذهب الشافعية أنه لا زكاة
فيه لأنهم وإن عللوا ما فيه الزكاة بالاقتيات والادخار ، فقد اشترطوا فيه
أن يكون القوت معروفاً عند الخاصة والعامة ولو في بلد المقتات
أما ما كان مختلفاً فيه هل هو مقتات أم لا كهذا فالذي ينبغي الجزم به
عدم الزكاة فيه ، ولهذا اتفق شراح المختصر ومحشوه على تخصيص الزكاة
بالأنواع العشرين المعروفة للاتفاق على وجود الاقتيات بها وأخرجوا
الكرسنة من الأنواع العشرين ، وقالوا إنها إلى العلف أقرب
واختلفوا في البسيلة . والمشهور عدم الزكاة فيه مع أن الاقتيات فيه محقق
بلا شك ، حتى قال الشيخ الرهوني في حواشيه على كبير ميارة
إن القول بالزكاة فيه هو الذي ينبغي التعويل عليه . إن قال وكان عنده

منه نصاب الزكاة ، ومع هذا لم يتفقوا في قوله لاحتمال ما وقع فيه
من الخلاف وهل هو مما يقتات أو لا ، وإذا كان هذا في البن
المشاهد اقتياته عند القبائل الحاملة ، فما بالك في الحرمل الذي لم
يصل اقتياته في درجة الشك فضلا عن الظن فضلا عن التحقيق والقطع .
وبالجملة فالذي تحصل لنا من مراجعة كتب المذهب هو عدم الزكاة في
الحرمل فينبغي هذا ولكن منه على بال . نعم على مذهب الحنفية الذين
لا يشترطون اقتياتا ولا ادخارا ولا نصابا ففيه الزكاة ولا إشكال
ولولا خشية الطول لذكرنا دليلهم ودليلنا ومع من الحق في ذلك .

ومنها ما يذبح عند ضريح أو ولي حسبما جرت به عادة المسلمين في هذه
الأعصار ، وقلما لا تجد حيا [illegible] من يعتقد أن الولي المذبوح عنده يضر
وينفع بذاته ، فهذا حكمه حرمة أكل ذبيحته لكونه كافرا باعتقاده أن
لله شريكا يضر وينفع ، وإما أن يعتقد أن الولي لا يضر ولا ينفع بذاته ،
ولكن جعل الله فيه قوة بها يضر وينفع ، وحكم هذا كراهة أكل ذبيحته
وهو فاسق باعتقاده أن ثم قوة المودعة في المؤثر ، وإما أن يعتقد أن الولي
لا يضر ولا ينفع لا بذاته ولا بقوة مودعة فيه ، ولكن جرت عادة الله
بقضاء الحوائج عند الذبح والتعلق بالأولياء ، وهذا حكمه جواز أكل ذبيحته
من غير كراهة ، فإن جهل حال الذابح ولم يعرف من أي قسم هو حمل على
قسم [illegible] لكن الغالب على أهل [illegible] حينئذ [illegible]
[illegible] به الموحد وغيره فالورع ترك أكل الذبيحة ، هذا هو الذي يؤخذ
من شراح المختصر وشرح الرسالة في ذكاة [illegible] ، ونصيب كل قسم من
هذه الأقسام موجودة من هذه [illegible] لأن يهتدي لمعرفة من
أي قسم من هذه الأقسام هو حتى يعرف حكمه أولا .

ومنها وجد حديث لا يبطل حق امرئ مسلم وإن قدم ، مقتضاه أن
حق المسلم لا يضيع بتقادمه فمن كان له مثلا حق على شخص بحجة ثابتة

شرعا وسكت عن صحته مدة اعوام كالثلاثين والاربعين سنة ثم قام بعده
من يستحقه ولا يهدر حقه سكوته عن طلبه المدة المذكورة وأما رتبته
من الصحة والحسن والضعف ومن خرجه من المحدثين فلم أر من الحفاظ
ذكره ولا شاهدت من شرحه على مختصر [illegible] عن [illegible] ولم يعزه
لاحد ولا تكلم على رتبته وكيف [illegible] من [illegible] مذكور
ولشيخ الرهوني في حواشيه عليه و [illegible] مختصر [illegible] من
شرحه على المختصر و [illegible] وجميعهم [illegible] الاستدلال به على المعنى
الذي قرراه [illegible] في كتب الحديث فلم يوجد له أثر ولا ذكر فيما رأيناه منها

ومنها وحديث [illegible] ذكره ابن الحاج في حواشيه
على المكودي حديثا وتبعه على ذلك سيدي المهدي الوزاني في حواشيه على
الاستعارة وغيرها من حواشيه [illegible]
وهما تبعا في ذلك [illegible] في حواشيه على [illegible]
لكتاب من الكتب الحديثية على عادته في ذكر [illegible] من
الاحاديث من كتب السنة المعتمدة التي هي عمدة كتب السنة فلا يوجد في
شيء منها

ومنها وقد [illegible] شرح [illegible] والاجهوري
على المختصر [illegible] وهو مكتوب [illegible] من وقف في [illegible] الاوراق وإن كان
ذلك لا [illegible] شرحه [illegible] فقد اوقف على كتب
من [illegible] لا يجمع من [illegible] وتقله عنه جماعة من المتأخرين [illegible]
كان هلال [illegible] في [illegible] المتن وشرحه والحمد لله على خلاف [illegible]
فيه رحمه ومثل ما قاله [illegible] فان الوقف عندهم لا يثبت حتى يحكم
به الحاكم

ومنها ما الحديث الذي [illegible] فهو بلا شك مختلق موضوع
ومخترع مصنوع ليس عليه أثر من طلاوة النبوة ولا [illegible] من حلاوة الرسالة

لفظه في غاية الركاكة ومعناه في غاية السماجة وقد عد علماء الحديث من
علامات وضعه ركاكة لفظه وبرودة معناه بحيث إذا سمعه السامع لا يخضع
له سره ولا يقبله عقله ولهذا قال ابن الجوزي إن الحديث المنكر إذا سمعه
الطالب يقشعر منه جلده وينفر منه قلبه وقال الربيع بن خثيم إن للحديث ضوءا
كضوء النهار ولحديث ظلمة كظلمة الليل نعرفه به. صحيح الاشكال فقد
ورد في هذه المخترعات العصرية من الأحاديث مثلا ما لا يدخل تحت حصر منها
ما هو صحيح وحسن ومنها ما هو ضعيف الا انه منجبر بكثرة شواهده
ومنها ما هو من المقبول المستحسن فما من شيء من هذه المخترعات العصرية
الا ويوجد حديث يشير اليه ويصرح به وما ذلك الا لأنه من معجزات صلى الله
على هذا الرسول العظيم الذي أخبر أمته بما كان وما يكون ووضعه على ما لم
يطلع عليه غيره من السر المكنون.

قلت والحديث المذكور [illegible] من أرسل به الشيخ هذا الجواب
فسكت لي به كان وحده [illegible] بعض علماء الجزائر [illegible] في مخترعات
الوقتية [illegible] ورد ذلك [illegible] حديثا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
إذا نطق الحديد وقرب البعيد فالأمر [illegible] وهو حديث موضوع
كما قال الشيخ رضي الله عنه ومثله حديث افتراه بعض علماء الأزهر
وادعى أنه في صحيح البخاري وهو ما نسبه للنبي صلى الله عليه
وسلم من أنه قال لكم ستحشون وستقعدون في المدينة على صفائح من
حديد وفولاذ

أما ما أشار إليه الشيخ من ورود الأحاديث بالإشارة إلى المخترعات
العصرية فقد يستغرب القارئ ذلك ويتشوف إلى الوقوف عليها. فيعلم أن
الأحاديث في ذلك على قسمين قسم إجمالي وقسم تفصيلي ووردت الإشارة إليها
في القرآن العظيم

أما الإجمالي فروى الطبراني من حديث سمرة قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها وترون الأمور العظام التي لم تكونوا ترونها [illegible] في هذا الحديث اشارة الى سكة الحديد التي [illegible] الجبال من أماكنها في سائر البلاد [illegible] في تمديدها شرائطها وأشار بقوله وترون الأمور العظام التي لم تكونوا ترونها الى سائر المخترعات الغريبة من [illegible] والبواخر [illegible] والتلفون والتلغراف والراديو والكهرباء وغير ذلك مما حدث أو سيحدث بعد

ومن عجب العجب أن كثيراً من الناس بالمشرق والمغرب سألني مراراً عن [illegible] حدث [illegible] على هذه المخترعات العجيبة المدهشة [illegible] ورد في ذلك شيء في [illegible] ببعض [illegible] حدث [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم تساؤلهم هذا أيضاً عن هذه العجائب وهو ما [illegible] صلى الله عليه وسلم فيما رواه البزار والطبراني في حديث سمرة المذكور [illegible] يقولون هل [illegible] ذلك فاذكروا الله تعالى واعلموا أنها أوائل [illegible] لحديث فصلى الله [illegible] عظيم [illegible] الكريم المؤيد بالمعجزات الباهرة والخوارق الظاهرة

ومما [illegible] نوع جديد بالتجارة والبريد وركوب البحر [illegible] ونوع جديد بالحرب [illegible] القتال.

أما [illegible] بالتجارة فقد روى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا [illegible] وحتى يبعث [illegible] بريداً بين الأفقين وحتى يبلغ التاجر بين الأفقين فلا يجد ربحاً

وفي رواية لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة وحتى تتخذ المساجد طرقاً لا يسجد لله فيها وحتى يبعث الغلام الشيخ بريداً بين الأفقين

وحتى يبلغ الشاجر بين الأفقين فلا يجد ريحاً رواه الطبراني وأصل الحديث
في مسند أحمد فأرسل الله الشيح بريداً بين الأفقين ووقع شاجر بين الأفقين
إنما هو بطائرة وهو واقع بكثرة فإن غالب التجار اليوم يتنقلون في حركات
التجارة بالطائرات ومنهم من لا يربح شيئاً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
وأما الطائرات الحربية ففي قوله تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم
عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم الآية إشارة إلى الطائرات الحربية
والغواصات بل هي صريحة في ذلك لا سيما وقد ورد عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال في تفسيرها أنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد رواه أحمد من حديث
سعد بن أبي وقاص بل مع هذا الحديث يجزم بأن الآية واردة في هذا لا في
غيره مما ذكره المفسرون وهي أيضاً شاملة للألغام التي تزرع في الأرض
وتنفجر من تحت الأرجل .

وكذلك قول الله تعالى (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات
نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذراً أو نذراً إنما توعدون لواقع) فإنه
وصف للطائرات الحربية بجميع حركاتها وفعلها تعصف بقنابلها وهي تحمل
معنيين في اللغة تترك الناس كعصف مأكول وتميل أحياناً عن هدفها وهذا
معنى العصف في اللغة وتنشر المنشورات في ميادين القتال على الجنود وفي
المدن على الأهالي والسكان بالدعاية والأخبار عن الحقائق التي سترها عنهم
حكومتهم كما هو الواقع اليوم وتفرق بين الجموع والكتائب فرقا لأن الرعب
بها والحربية أشد من غيرها بحيث لا تثبت تحتها فرد ولا جمع بل تجعل دروبها
يقع الفرار والتجمع تحت الكهوف والملاجىء وتلقي ذكراً في المنشورات
عذراً أو نذراً تنذر وتخوف وتهدد وتوعد وربما اعتذرت عن بعض ضرباتها
للأمم كالحربية كما هو واقع ومشاهد وربما أرسلتها بين يدي هجومها وضربها
إنذاراً وطلباً للخضوع .

وأما السيارات على اختلاف أنواعها فوردت فيها أحاديث كثيرة مصرحة

ومن الأحاديث المصرحة ما رواه أبو يعلى بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاحتراق الحزمة فهذا حال السيارات وقدر جسم المسافات

وورد في بعض الاحاديث الأخبار بتقارب الأسواق وذلك بسبب السيارات أيضاً وزعم العلماء أن ذلك بكثرتها وقرب بعضها من بعض والواقع خلاف ذلك لأنهم لم يكن في زمنهم سيارات حتى يحملوا الأحاديث عليها كما هو الواقع لان الأسواق لم تكثر بل كانت عنده كثرة بقرب بعضها من بعض بل لم تكثر أصلا ولا تزال كما كانت وإنما قربت بسبب السيارات

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها والقلاص الإبل وقد ترك السعي عليها استغناء عنها بالسيارات وقد ظهر أثر ذلك في الحجاز فإنه مع عدم تعبيد الطرق لسير السيارات وكون السير فيها لا يزال متعباً ومعرضاً للخطر بسبب كثرة الرمال والأحجار لم يبق أحد يركب القلاص إلا القليل ممن لا يستطيع دفع ثمن السير فيها فإذا ما عبدت الطرق وسهل السير فيها ورخص ثمنه فإن السعي على القلاص يترك تماماً في الحجاز كما ترك في غيره طبقاً لما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم

ويشير الى هذا أيضاً قول الله تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فإن مثل الفلك المشحون الذي يركبه هو السيارات وبابور السكة الحديد لا الجمل كما يقوله المفسرون المعذورون لعدم وجود ذلك في زمانهم .

ومن الاحاديث المشيرة إلى ذلك حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه

وسلم قال إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفي لفظ الخاصة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وحتى يخرج الرجل بماله إلى أطراف الأرض فيرجع فيقول لم أربح شيئاً رواه أحمد والحاكم واللفظ له . وعند أحمد وأبي نعيم في التاريخ من حديث عمرو بن تغلب نحوه فقد فشت التجارة حتى دخل فيها النساء بكثرة وصرن يعن أزواجهن فيها لا سيما بظهور الوابور والسيارات كما هو مشاهد الآن في تنقل النسوة بالبضائع من مأكولات وملبوسات من مدن إلى أخرى لسهولة ذلك عليهن مع ركوب السيارات والوابور الحديدي ولم يكن يرى ذلك من قبل لأنه كان يمشي على البهائم ولا كان يخطر ببال امرأة أن تسافر في تجارة مسافة تقطع في يومين وثلاثة وهكذا صار يخرج الرجل إلى أطراف الأرض فلا يربح شيئاً لكثرة التجار والصنائع ووجودها في كل الأماكن بواسطة السيارات خلاف ما قبل ذلك

وقال الديلمي في مسند الفردوس أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن المظفر أخبرنا الكسائي حدثنا يعقوب بن ابراهيم الـ حدثنا علي بن مسلم ثنا ابن أبي فديك عن عبد الله بن أبي يحيى عن سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يخرج ناس من المدينة إلى الشام يسيرون في الصبحة فهذا لم يقع إلا في زمن وصول وابور السكة الحديد من الشام إلى المدينة المنورة فإنه كان كثير من أهلها يسيرون إلى الشام ضحوة وصبحة وهكذا يعودون منه في صبحة وصولهم إلى بلدهم فلا يتصور الخروج من المدينة إلى الشام صبحة مع وجود المهالك والمفاسد وأنواع المصائب من حر وبرد وعطش وجوع وألم مع ركوب ظهور الخيل ما يقرب من شهر ذهاباً ومثله إياباً إلا أن أصحاب الصحة بل ما كان يتوجه إليه في الحاجة اللازمة إلا أصحاب الضرورة الأكيدة في بلادهم الذين هم غير محتاجين إلى صحة كالأعراب الذين في الأرض من البدو الذين اعتادوا ذلك .

وأما الرادية والنمدون فيشير إليهما قول الله تعالى ويقذفون بالغيب من
من مكان بعيد [illegible] فيهما [illegible] لفلات [illegible] والرادية
[illegible]

فقد قال [illegible] أخبرنا [illegible] عن [illegible] بن محمد عن
[illegible] عن أبي [illegible] قال
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible] كثرت [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فصل

ومن رسائله الى الفقراء رسالة فى اهل صحبة ارسلها اليهم فى [illegible]
[illegible] الأهلة
الذاكرون الله [illegible] صغيراً وكبيراً السلام
عليكم ورحمة الله [illegible] وعن كافة
احوالكم [illegible] عن [illegible]
[illegible] عليه لا [illegible] من [illegible] الله
[illegible] كان
[illegible]
التى هى [illegible] حقاً
فى [illegible] التى هى الخير [illegible] والصدق [illegible]
[illegible] ذلك من اخلاق [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان [illegible] الله [illegible] فى
شهود عظمة الله [illegible] فى الله كل شىء
[illegible] من كل شىء [illegible]
[illegible] شىء سوى الله ولا [illegible]
على شىء [illegible] الحق سبحانه [illegible] والاستتار [illegible]
ولا [illegible] الحق [illegible]
من كل شىء ولا [illegible] شىء يتقرب الى الله بكل شىء ولا يحجبه عن
الله شىء [illegible] من سبيل لأنه
عبد الله ومن كان عبد [illegible] ومن مولاه [illegible] عبادى ليس لك
عليهم سلطان [illegible] عليهم ولا هم يحزنون [illegible]
[illegible] عن [illegible] كله .

وحيث فقدت عقد الخيركة ، [illegible] عرف أحد ما ذكرنا إلا وكان من الأولياء
الكاملين لأنه تخلق بسنة سيد المرسلين ، ولا اعرف [illegible] إلا وكان من
الشياطين ، ولو كان عند الناس من الصالحين و[illegible] جواب لكم إن شاء الله
المعرفة الكبيرة والولاية العظيمة بحسب ما لكم من الصدق في العبودية التي
هي سبب للعلوم الالهية ، [illegible] الله [illegible] ذلك أم لا .
و[illegible] ذلك ، ولا بد لكل واحد منكم أن يكون معه ما يكون [illegible]
ثبت في باب الله وفي صحبتنا ، إذا [illegible] يكون [illegible] ولكن من كان
[illegible] عن اليمين [illegible] على دين
حبيبه [illegible] العبودية [illegible] ولا [illegible] شيء من
الأشياء [illegible]
المعرفة [illegible] الخصوصية
[illegible] الشروط [illegible] الشروط
[illegible] في حين تعرفون ربكم
و[illegible] وهو أن [illegible] يكون لكم [illegible] صحيح
والصدق الصحيح والأدب [illegible] الأحوال الزكية وحفظ الحرمة وحسن
الخدمة ورفع الهمة [illegible] والانكسار والذل
والإيثار وصحبة [illegible] والأذكار . أما
القصد الصحيح فالمراد به أن تكون نيتكم في صحبتنا تحقيق العبودية
ومعرفة الحق سبحانه لا طلب كرامات ولا [illegible] درجات [illegible] حتى
على كل حال . وأما الصدق فالمراد به أن تصدقوا [illegible] الخصوصية والولاية
و[illegible] لأهلها من المعرف [illegible] في شيخكم والصدق
بهذه الكيفية هو [illegible] وكل من صدق و[illegible] وذاق ومن لا فلا
ولو [illegible] مع الشيخ [illegible] لأن الشيوخ [illegible] لا [illegible] الله
وإن [illegible] بعد [illegible] المريد من بحر المعرف ولو

كان ضعيفاً عن المجاهدة، ولولا [illegible] التعرض لذكرها لكم من فضل هذا
المقام من تحير فيه الألباب. وأما الأدب [illegible] فالمراد به حفظ الجوارح
من غوائله والتوقي من الأعراض والتدبير والاختيار والمحافظة على أسنى
السوء وصحبة الأحداث ومعظم الشيوخ

وأما [illegible] فالأدب [illegible] [illegible] [illegible]
أكلا وشرباً [illegible] و [illegible] [illegible] وكل من [illegible]
وخرق عوائدهم [illegible] [illegible] [illegible] لله [illegible]
وأن [illegible] كيف يحقق [illegible] [illegible] [illegible]
الأذى عن الناس وحمل الأذى منهم.

وأما حفظ الحرمة فالأدب [illegible] حرمة الشيخ [illegible] وغائباً حياً وميتاً فلا
[illegible] في موضع [illegible] [illegible] وكذلك حفظ حرمة الإخوان
[illegible] [illegible] وكذلك حرمة
المسلمين فلا يذكرهم بسوء.

وأما حسن الخدمة فالأدب [illegible] الشيخ والإخوان [illegible]
إخلاصاً لله.

وأما رفع الهمة فالأدب أن يكون [illegible] معرفة الله والتعلق [illegible]
[illegible] لا [illegible] عنه [illegible] من كل شيء.

وأما [illegible] فالأدب [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible]
شاهد [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible]

وأما [illegible] فالأدب أن [illegible] الأوصاف المذمومة كالكبر والحرص
على الدنيا [illegible] وصف محمود [illegible] والذوق والزهد ويخلع
لباس العز والاستكبار ويلبس [illegible] الذل والانكسار

وأما الذل والانكسار فالمراد به الخضوع لله سبحانه ولا [illegible] ذلك لا

بالخضوع لعباده .

وأما البذل والإيثار فالمراد به الجود بالنفس والمال محبة في ذي العظمة والجلال ، والجود شرط في الطريق أقبح من كل قبيح صوفي شحيح .

وأما صحبة العارفين فالمراد بها [illegible] الأشياخ ، وصحبتهم وخدمتهم لله ، وهو [illegible] في الطريق ، وليست المعرفة [illegible] المعرفة [illegible]

وأما [illegible] في [illegible] ولا ذكر [illegible] لا تمر عليه ساعة إلا وهي في طاعة الله . وهذا هو المقصود من الطريق ، والأهم عند أهل التحقيق ، وكل ساعة مرت على الفقير [illegible] كانت [illegible] وقت الفقير [illegible] ذكر وهذا [illegible] من هذا فهو في غفلة [illegible] إلا الاسم ، لا يذوق للولاية طعماً ولا يجد لذكره حلاوة [illegible] وشروطه [illegible] المعرفة الكبرى [illegible] هو [illegible] المطهرة فحافظوا على ذكر [illegible] واستمسكوا [illegible] ذلك بالله [illegible] عن قريب [illegible] إلى [illegible] عن الله [illegible] عنكم وصف [illegible] ونحى [illegible] وصف [illegible] للحضرة القدسية ولا [illegible] شيء من الأشياء [illegible] عندكم سواء ، ومن لم يسلك [illegible] فقيره [illegible] الأكوان عن [illegible] فاذكروا الله ولا [illegible] على ذكر الله وتواصلوا [illegible] واعلموا أن أمركم عند الله عظيم وقدركم جسيم ولا بد أن [illegible] الله [illegible] هذا الذي [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] والسلام

ومنها إلى [illegible] في الله [illegible] كافة فقراء العرائش حفظكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى أما بعد : [illegible] الله ورسوله [illegible] الدينية

القالبية والقلبية سبب للسعادة الأخروية والراحة الأبدية . فمن
الوظائف النطق بالشهادتين مع اعتقاد معناهما الذي هو ثبوت الوحدانية لله
ذاتا وصفة وفعلا وثبوت رسالة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع تصديقه فيما جاء به من عند الله واتباع أوامره ونواهيه . فمنها وهو
أهمها بعد الشهادتين أداء الصلوات الخمس في أوقاتها المعينة لها مع
الطمأنينة والخشوع والاتيان بجميع شروطها من الطهارة الكبرى والصغرى
واستقبال القبلة وستر العورة وتعلم الوضوء واتقان الاستبراء الذي هو
استفراغ ما في المخرج من الأذى مع الاستجمار بالأحجار إن أمكن واستعمال
الماء بعده والاتيان بجميع الفرائض والسنن والمستحبات ، ولا تدعوا هذا
من المحافظة على النوافل كالورد والفجر والضحى والرواتب قبلية وبعدية .
ومنها [illegible] ان وجبت عليكم ولا بد ولا بد [illegible] الطهارة
[illegible] ، واحفظوا مع هذا جوارحكم التي هي الأذن والعين
واللسان والبطن واليد والفرج والرجل من المعاصي . فلا تسمعوا إلا وعظا
وذكرا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا تنظروا إلى ما لا يحل
لكم من النساء والصبيان والأمرد . واحفظوا ألسنتكم من الكذب والغيبة
والنميمة والزور والبهتان وأيديكم من اذاية الناس في أبدانهم وأموالهم
وبطونكم من الحرام وفروجكم من ملامسة ما لا يحل لكم وأرجلكم من
المشي في غير طاعة الله وقلوبكم من العجب والكبر والرياء والحسد والبغض
والغل والحقد والغش والخديعة والمداهنة وحب الرياسة والتقدم وحب
المدح وخوف الذم والاهتمام بالرزق والخوف من الخلق . وتفكروا في
مصنوعات الله واستحضروا اطلاعه عليكم في جميع الحالات ولا تستعظموا
هذا فانه سهل ان استعنتم عليه بالله . ثم المؤكد عليكم الاجتماع لذكر الله
وقت فراغكم من الأشغال ، وخصوصا فيما بين المغرب والعشاء ، وفيما بين

صلاة الصبح وطلوع الشمس حتى ذكر الله في هذين الوقتين من الفضل والثواب شيء عظيم؛ وتزاوروا في الله وتحابوا فيه، وواسوا محتاجكم، وصلوا أرحامكم، وعودوا مرضاكم، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، واحتملوا أذى من آذاكم، ولا تجالسوا من يقطعكم عن ذكر الله ولا تخالطوه فإنه يميت قلوبكم وفي موتها فساد الدين وضعف اليقين، وفي ذكر الله ذكره ورحمته ومجالسته ومصاحبته لعبده وفي الاجتماع عليه رياض الجنة وغشيان الرحمة ونزول السكينة وحفوف الملائكة حسبما وردت به الأخبار وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآثار، وإياكم أن تصاحبوا من يعذلكم أو يلومكم فإنه شيطان مارد ومطرود شرد، ولا تستندوا لأحد من عباد الله ولا تخافوه ولا ترجوه في الأمور كلها سوى الله، فلا يملك أحد لأحد منهم ضراً ولا نفعاً، ولا خفضاً ولا رفعاً، وصونوا قلوبكم من الطمع في الخلق فإنه الفقر الحاضر والذل الظاهر، واعلموا أنكم إن فعلتم هذا نلتم خصوصيتكم وبلغتم مقصودكم من ربكم، نفعكم الله وقواكم ومن نزغات الشيطان حفظكم، ووقاكم والسلام.

ومنها: الى كافة اخواننا في الله السادات الفقراء المعروفين بالكرماء أهل الزاوية [illegible] من الحضرة الفاسية دفع الله عنها كل فتنة وبلية، سلمكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى.

أما بعد تجديد العهد بمحبتكم والسؤال عن أحوالكم وبعد صحيح دعيتكم فإني أعلمكم أنه ما قامت الطريق ولا حصل طالبوها على التحقيق إلا بدوام الاجتماع مع أهلها والمذاكرة في شروطها وحسن تعلمها ولا تعطل أمرها وحرم منها طالبوها إلا بالإعراض عن أهلها وعدم الاعتناء بشروطها فاجتهدوا وفقكم الله تعالى في تقييد شرائع الدين، والتحقق بأخلاق سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، واجتنبوا ما يبعدكم عن الله من ارتكاب المناهي الشرعية، وارتكبوا أداء ما يقربكم إلى الله من النوافل على اختلاف

أنواعها بعد أداء الفرائض العينية والزموا طهارة الثياب والبدن والمكان
والوضوء دائماً وصلاة ركعتين بعده فإن له سراً خاصاً في تنوير الباطن ونفي
الخواطر الرديئة عنه، وركعتين لزوماً تحية المسجد والزاوية وصلاة الضحى
وأقلها ثمانٍ، وأكثرها [illegible] ركعات وقيام آخر الليل والدعاء عقب
الصلوات، وفي وقت السحر وخصوصاً إن وجدتم رقة ونشاطاً فيه فإن ذلك
من علامة الاستجابة، ولا تخصوا أنفسكم بالدعاء، بل عمموا ليكون أنجح
وأقرب للإجابة، وواظبوا على حلقة الذكر صباحاً ومساءً ما أمكنكم ذلك
ولا [illegible] جمعة [illegible] بركة [illegible] في الضحى
[illegible] رحمة الله لأهلها [illegible]
[illegible] وفي الأحاديث [illegible] ولا
[illegible] ولا تكرهوا [illegible]
فإن ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الأفعال [illegible]
[illegible] في حركة وعلانيتكم واستحضروا [illegible]
عليكم، [illegible]
يصرفها كيف يشاء وفيما يشاء لا [illegible] ولا تشغلوا [illegible]
الوقت وما هو جار فيه فإن ذلك يتلف قلوبكم ويبعدها عن ذكر الله
وعبوديته، وبعد ذلك لا يكون إلا مراد [illegible] من الدنيا بما
تيسر من غير كلفة ولا تعب ولا مزاحمة، ولا [illegible] يؤدي إلى
رؤيته ونسيان الله تعالى لأن ذلك نوع من أنواع الشرك، ولا تتناولوا من
المأكول والمشروب والملبوس إلا ما [illegible] لاحتياج من

سير إسراف ولا مبالغة فإن من أخذ فوق ما يكفيه نهى الله عن تبذيره .
ومن تناول شهوة فعليه بصدقة [illegible] وتزاوروا في الله وتحابوا فيه فإن ذلك من
أعلى شعائر الدين الموجبة لمحبة رب العالمين وعظموا المسلمين واحترموا من
انتسب للمولى الشريف وأحسنوا ظنكم [illegible] لأنفسكم واشغلوا عيوبكم
عن عيوبهم واستعملوا [illegible] كل شيء سوى [illegible] الكتابة ولا
تنظروا إلى من فاقكم [illegible] في الدين من غير حسد
ولا حقد [illegible] ووقروا [illegible] وكبراءكم في الطريق وفي السن
واحترموهم [illegible] واستعملوا [illegible] يعرفون [illegible] فاق
[illegible] في [illegible] وحينئذ [illegible] علمتم عما
[illegible] وأسكم وذكركم
[illegible] تكشف الحقائق و[illegible]
[illegible] في [illegible] بدوام سيركم
ويكمل أمركم ، والله [illegible] ويتولاكم ويحفظكم ويرعاكم ،
والسلام .

[illegible] فقد بعثت وجميع الاخوان لازلتم متمسكين [illegible]
[illegible] في [illegible] كما [illegible] الأخ الصالح [illegible]
عنه [illegible] في الطريق ولا يسلمون عليه ولا يصافحونه [illegible]
[illegible] استنشاق [illegible] الأخ المذكور [illegible] استقبحه
غاية الاستقباح أما [illegible] فلا يخفاك أنه اتفق على تحريمه علماء [illegible] قاطبة
والصوفية [illegible] علماء الظاهر لا خلاف بينهم في ذلك حتى قال العارف
بالله القطب شيخ شيوخنا سيدي محمد بن ناصر إن من يستعمله في أنفه أو
يتدخن [illegible] لا حظ له في طريق أهل الله ولا ينال منهم شيئا وكذلك
قاله شيخ شيوخنا مولاي العربي الدرقاوي في [illegible] كثير من الأولياء يطول
ذكرهم وفي [illegible]

وحرموا طابا للاستعمال والتجارة على المنوال

ولا تغتروا باستنشاق من تنشقه من فسقة العلماء المتوفين المارقين فإنه لا دليل معهم فيه ولا نور بصيرتهم يتطلعون به إلى الاطلاع على قبائحها فالفرار الفرار منه والبدار البدار عاجلا في تركه، إن أردتم سلامة دينكم وصلاح معاشكم ومعادكم .

وأما دأبكم بالأخ المذكور فلا يخفى عليكم ما ورد في توقير مشايخ المسلمين واحترامهم فضلا عمن كان منهم من أهل الفضل والصلاح والدين وذوى الشيبة والوقار المتين ، وكفاكم قوله عليه الصلاة والسلام « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره » وقوله عليه الصلاة والسلام « ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق الامام المقسط والعالم العامل وذو الشيبة في الاسلام » إلى غير هذا من الأحاديث الكثيرة في هذا المقام ، وفي القرآن العظيم « ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » ومن أعظم حرمات الله المسلم الصالح ذو الشيبة في الاسلام ، وإذا كان هذا في مطلق حق المسلم على المسلم فكيف يكون حق الأخ على أخيه في الله الأخوة الصالحة التي جعلها الله بابا من أبوابه وطريقا موصلا إلى رضوانه فشأن أخوتكم مع الأخ المذكور طبق مقتضى شريعة الدين أنه يجب عليكم أن تعظموه وتحترموه وتوقروه وتحبوه وتعفوا عما عسى أن يصدر منه وتقابلوا إساءته بالاحسان إليه في مقابلة سوءه وتتخلقوا بأخلاقه صلى الله عليه وسلم وأخلاق أكابر أمته فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وكان لا ينتصر لنفسه من مظلمة ظلمها كما في صحيح وكان يصل من قطعه ويعطى من حرمه ويعفو عمن ظلمه ويقول اهد [illegible] وقد نبه على هذه الأخلاق الكريمة سلف هذه الأمة وكبراؤها من العلماء العاملين والأولياء الكاملين عملا بقوله تعالى « قل إن كنتم تحبون الله

فلعلكم تحسنون بذلك فما لوا هنالك ، [illegible] من سعادة الدارين ، وتفوزون
بمعرفة الله ورضاه في السكون ، ونعمت الطريق لي فيه بكثرة الصلاة
والتسبيح في الغيب [illegible] واجتناب [illegible] وحسن خلق مع الأنام
والإعراض عن النفس ومن تبعه من [illegible] المقام فبهذا بلغوا ما بلغوه
من الولاية الكبرى والفلاح والنجاح [illegible]

وقد قال شيخ شيوخنا [illegible] مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه
من [illegible] شيخ [illegible] من [illegible] الإخوان وليحذر من [illegible]
الإخوان يخرج له [illegible] من طريقه على مذاكرة الذكر ومطالعة
الدفاتر [illegible] وقرب [illegible] الإخوان [illegible] لي الأخ
المذكور [illegible] واستعملوا [illegible] وقدموه في
الصلاة وغيرها [illegible] واقتدوا به ولا تتبعوا في أنفسكم
وأهوائكم وكونوا [illegible] في [illegible] ولا تسمعوا فيه قول قائل ولا
إنكار منكر فإنه [illegible] لا [illegible] من [illegible]
واجتهدوا في [illegible] والتحقق [illegible]
مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] من غير
كلفة ولا تعب ووقروا الكبير وارحموا الصغير واعتمدوا على الله في
جميع أموركم وقدموا أمره سبحانه وتعالى على شهوات أنفسكم يقرب
عليكم الطريق وتحصلوا في أقرب [illegible] على التحقيق [illegible] تحوزون
وتنالوا في الآخرة ما تطلبون [illegible] وتمسكوا بالمسكنة في هذه الدار
سبب للنجاة من [illegible] ومن العذاب ودخول النار وارضوا بما يبرز من القضاء
يرضى الله عنكم واحفظوا أمر الله في [illegible] يحفظكم في الشدة و[illegible] في اليسر
يذكركم في العسر وحافظوا [illegible] وابذلوه [illegible] يكرمكم والله يعينكم
ويحفظكم اهـ

ومنها رسائل أخرى مذكورة في الأصل

الباب الخامس

في سرد جملة من أخلاقه الطيبة السنية وأحواله الزكية المرضية التي انفرد بها في دهره وندر وجودها مجموعة في غيره ولا سيما بين أحد من أهل عصره لا من الموصوفين بالولاية والمشار إليهم بالخصوصية ولا من المشهورين بالمشيخة ورسوخ القدم في التسليك والتربية فضلاً عن غيرهم من أهل العلم لشهرة مع اجتماعه بكثير من شيوخ المغرب والمشرق ووقوف على أخبار جل من لم يره منهم من طرق أصحابهم وكتب تراجمهم وأخبارهم بل لم نر أخبار الشيخ رضي الله عنه مجموعة إلا في أشياخه مدونة وتراجم كبار أفراد الأمة المحمدية وكمل رجالها من السلف الصالح والخلف الناجح رضي الله عنهم وعنا بهم وسلك بنا طريقهم بمنه وحشرنا في زمرتهم آمين .

فصل

في ذلك شدة تعظيمه ومحبته واحترامه لشيوخه الذين أخذ عنهم ولو دروساً قليلة من العلم فكان يبالغ في الأدب معهم ولا يتقدم أمامهم في شيء من المسائل ولا يشهر عنده بحضرتهم وإن كان أعلم منهم ولا يحادثهم ولا يناظرهم في شيء إلا على سبيل الندرة مع كمال الأدب والاحترام

وكان يشد الرحلة من طنجة إلى فاس في مدة غيابه ثم لزيارة شيوخه . ولما توجه إلى القاهرة لحضور مؤتمر الخلافة شد الرحلة منها إلى الشام لزيارة شيخه سيدي محمد بن جعفر الكتاني رضي الله عنه . وكان وقتئذ ببيروت قبيل رحلته إلى المغرب ، فلما وصل إلى الباب واستأذن خرج الشيخ لمقابلته فلما وقع نظره عليه انكب على رجليه يقبلهما والشيخ يحاول منعه

من ذلك وهما في الشارع خارج الدار ومكث بعده ثلاثة أيام طلب منه فيها أن يذهب لزيارة الإمام الأوزاعي ، فقال له : والله لو كان حياً ما ذهبت إليه لأني قصدت زيارتك فلا أزور أحداً بعدك . وكان لا يتكلم في مجلسه كأنه لا يعرف شيئاً من العلم أصلاً . وكذلك كان حاله مع غيره .

وكان شديد التعظيم والاحترام لجلسائه ولو كانوا حساده وأعداءه الذين يطعنون في دينه والمجاهرة بعداوته . وكان للأذكياء والنبغاء منهم أشد احتراماً ومحبة وإكراماً ينوه بقدرهم ويشيد بذكرهم وينشر فضائلهم بين أقرانهم . وكان لا يأتي إليه أحد من أهل العلم إلا وينهض لملاقاته بمزيد فرح وسرور ويقضي حوائجه بغاية همة ويكسوه إن كان محتاجاً ويمنحه ما يحتاجه من كتب ونحوه . ويصله بالمال إن كان من الفقراء المحتاجين ويبالغ في توصية تلامذته وأحبائه بمن هو مكلف بالضيوف في زاويته إن كان من الغرباء الوافدين عليه وهم الأكثرون لأن صيته قد ملأ أهل العلم لا سيما إذا سمع لأحد منهم ذنباً في حقه أو كان يتظاهر بعداوته ويتكلم فيه بما لا يليق في غيبته فإنه يقربه ويدنيه ويكرمه بما لا يكرم به أحب الناس إليه . فمنهم من يحمل ذلك منه لسابق عناية من الله به فتنقلب عداوته محبة وبغضه براً واعتقاداً . ومنهم من يغلب عليه طبعه اللئيم فيصر على ما كان عليه ، وربما خالف ظاهره باطنه . فقد بالغ بعض القضاة في عداوة الشيخ إرضاء للفرنسيين وتقرباً إليهم إلى أن مرض مرضاً أعيا الأطباء دواؤه وأيس منه من العلاج الأهل والحبيب . فأرسل إلى الشيخ يقول : قد عجز الأطباء وانقطع الرجاء ولم يبق إلا الالتجاء إلى الله تعالى في أن يتم ثواب الله فعالجه الشيخ بأدوية وصفها له فشفاه الله في الحال وبعد قيامه استدعاه الشيخ وعمل له وليمة فاخرة .

وجاء بعد انتقاله قاض آخر وأظهر من العداوة للشيخ إرضاء للفرنسيين

أشد من كان يظهر له الود وداوم على ذلك مدة إلى أن جمعه بالشيخ مرة فلاطفه وأكرمه فانقلبت عداوته محبة ومدحه للشيخ وصار لا يصدر إلا عن رأيه وإذنه في غالب مهامه إلى أن مات .

ومنهم [illegible] بعض المدرسين [illegible] وشرع في التدريس و[illegible] أ[illegible] بالعداوة الشديدة للشيخ حسداً منه وبغضاً كما هي عادة [illegible] الوقت وصار يعرض بالشيخ في دروسه ومجالسه وشهرت عداوته [illegible] كافة لكثرة ما كان ينطق لسانه في الشيخ رضي الله عنه إلى أن [illegible] اضطره إلى القدوم إلى الشيخ والتملق له كما هي عادة الله مع غالب أعدائه فأكرمه ونال في ذلك وأعطاه كتباً جليلة [illegible] له وأخذ عنه الطريق وصار يلازم مجلسه ويستفيد منه مدة إقامته بطنجة . ثم لما رجع إلى بلده صار يتردد منها بقصد زيارة الشيخ واستشارته والاستمداد منه في [illegible] وطلب منه أن يعلمه الاسم الأعظم ويأذن له في علم الحروف و[illegible] فأجابه [illegible] الأمر [illegible] من سنة عشرين وسبع[illegible] الإذن [illegible] في سنة [illegible] هذا حصل الإذن فلما [illegible] في [illegible] سنة أربع وخمس كتب الشيخ إليه يخبره أن الإذن قد حصل ويقول له [illegible] حصلت ذلك [illegible] . قال فشغلني عن القدوم شأن الوظيفة الحكومية وأشغالها و[illegible] بالدوام و[illegible] إلى أن [illegible] فحصل من الندم والحسرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى وكم هؤلاء من نظير

وكان يحترم حملة القرآن العظيم لا سيما حفاظ السبع والمتقنين لعلم القراءات بل كان يتعشق هذا الصنف من الناس ويظهر فرحاً عند رؤية أحد منهم ويكرمه بكل ما لديه ويمجد رتبته وأخباره ويتحدث بها عنه في غيبته تشويقاً للسامعين إلى الاشتغال بتحصيل القراءات وعملاً بالوارد في إكرام حملة القرآن . [illegible] ذلك في بعض الأحيان بقوله إن هذا العلم كاد ينقطع وقد كان جده سيدي الحاج أحمد [illegible] ، فكان

الواجب عليه الاقتداء به والاعتناء بهذا العلم ، فقد فاتت فصحبت أهله ولبست بهم .

وكان يبالغ في إكرام معلم أولاده القرآن ويحترمه احتراماً زائداً ويبره مبرة — ... ويغدق عليه من العطاء ما لم يعهد له نظير من غيره ولا ينازعه في شيء يفعله بأولاده ولو ضربهم الضرب المبرح الخارج عن الحد الشرعي الأدنى ، إلى والذي لا يكاد يقبله أكثر الناس فكان لا يكلم المعلم في ذلك بكلمة ولا يوافق من يريد أن يكلمه من الفقراء ، بل يرد اللوم في ذلك على الولد ، ويقول لولا أنه مشتغل باللعب غافل عن حفظ سورة ولوحه لما فعل به فقيه ذلك مع أنه كان إذا رأى معلماً يضرب أولاد الناس رفق بكثير من ذلك يعظه ويزجره ويذكر له ما ورد في العلم والتعدي ، ويحدد له الأدب الجائز شرعاً من عشرة أسواط ونحوها . أما معلم أولاده فلا يسمعه شيئاً من هذا إكراماً له وقياماً بحقوقه وهضماً لحقوق نفسه وعياله وحباً في القرآن العظيم .

وكان يحترم أولاد الشيوخ وحفدتهم ويبالغ في إكرامهم قياماً بحقوق آبائهم وأجدادهم ، وكان إذا قصده واحد منهم يبادر إلى لقائه ويظهر مزيد الفرح والسرور به والاعتناء بشأنه ولو كان غير ظاهر الاستقامة ، ويجلسه بين يديه ، ويلاطفه ويسأله عن أحوال والده وجده وعن كتبه ومؤلفاته ، وربما كان الشيخ هو المفيد له ترجمة والده وجده وذاكراً له منها ما لا علم له به

وكان يوصي أصحابه وقرابته بمثل ذلك ويقول لا تنظر لظاهر حال أولاد أهل الله فإنهم كالرماد لا تدري ما فيه ، ومن داسه بقدمه أحرقه . فذرية الأولياء وإن لم يكن لهم من الفضل والصلاح ما كان لآبائهم فإن من آذاهم يصيبه بعض غيرة من الله لأسلافهم ، وكذلك كان يذكر في حق أولاد العلماء ما يحمل على إكرامهم واجتناب إذايتهم واحتقارهم ، هذا كان حاله

رضي الله عنه مع أولاد مشايخ العلماء والشيوخ أما أولاد شيوخه هو وخدمتهم فكان إذا ورد عليه واحد منهم يظهر له من الإجلال والتعظيم ما لا يوصف بل كان ينزل نفسه منهم منزلة التلميذ من الشيخ .

حدثني بعض من كان يجالسه قال : حضر شابان من حفدة شيخه سيدي محمد بن جعفر الكتاني من فاس ونزلا عند الشيخ فحضرت معهم ذات يوم وقد أتى بالعشاء فحضرنا الأكل والشيخ يحدثنا عن أدب الأكل وما ينبغي أن يقدم ويؤخر من جهة الشرع والطب ويذكر ما يتعلق بذلك من الحكايات فلما أردنا الانصراف قام إلى باب الغرفة وصار يصفف نعال الشريفين ، فقالا له يا سيدي نستشيرك في الذهاب إلى تطوان . فقال لهما انظرا لكما فإن عزمتما على الجلوس فأنتما في بيتكما أو على الذهاب فالرأي رأيكما وأما أنا فلا أعقلكما .

وكان لأهل البيت أشد احتراماً وتعظيماً ومحبة من كل من تقدم على أي حالة كانوا لا يشترط فيهم صلاحاً ولا علماً ولا عملاً ولا تقوى ، ويقول علينا أن نوقرهم ونحترمهم ونكل أمرهم إلى الله تعالى . وكان لحبهم يحب الكتب المؤلفة في مناقبهم ويبحث عنها ويجمعها ويحب من يحبهم ويؤلف في فضائلهم ويعنف من تصدر منه إذاية لواحد منهم ولو كان من تلامذته وأقاربه ولو أنهم من أهل البيت أيضاً صدر ذلك منه مراراً عديدة مع جماعة كثيرة في وقائع مختلفة

منهم أن شريفاً صدر منه ما يوجب تأديبه من الحكومة فتبعته ففر وجاء إلى الشيخ مستجيراً فآواه وأكرمه وأنزله في منزل محمد ولديه مع بعض أنجاله وجعله واحداً منهم . فلما طالت عليه المدة واشتاق إلى أهله ووطنه ، صار يسعى في ذلك فاتصل ببعض الجواسيس فأرشده إلى أن الطريق التي يمكن رجوعه بها وعفو الحكومة عنه هو التجسس على الشيخ وتقديم أخباره وأسراره إليها ، فأجابه إلى ذلك واستصدر له العفو من

الحكومة فصار يتردد إليهم ويتقول لهم أخباراً مغرباً حتى أدى به الطيش
إلى أن نسب إلى الشيخ أمراً عظيماً في السياسة . ثم جاء به يريد أن يحتال
عليه في الموافقة على أمر يحقق له دعواه وكذبه على الحكومة ففطن له الشيخ
وصرفه بملاطفة وبعده وعتبه مع إكرامه وبره المستمر معه . فلما صدر منه
هذا الأمر العظيم وكان قد سبق منه أمور كثيرة هي أخف من هذه
دخل بعض أصدقاء الشيخ متضجراً من فعال ذلك الشريف طالباً منه
الإذن في طرده وأمره بعدم الوصول إليه فقطب الشيخ في وجهه وغضب من
قوله وقال هو ابن بنت محمد صلى الله عليه وسلم أتتصور في
ذهنك أنه يؤذي شريف وعرقه من [illegible] ولو فعل [illegible] من الأذية ما فعل ،
وهل رأيتم [illegible] وخفت من ضرره شيء ، فلم يمكن ذلك
الشخص إلا أن يستسمح الشيخ مما صدر منه في حق ذلك الشريف
وانصرف .

وكان يجلس الأشراف بإزائه ويخصه [illegible] عديدة ويتناول الطعام معه في
أكثر الأيام ويكثر من سؤاله عن أحواله [illegible] وخصوصية فاطلع منه [illegible]
على أمر [illegible] مقصود الحكومة [illegible] ليتوصل بذلك إلى [illegible]
وظيفة وحصل من ذلك الإفشاء فتن عظيمة [illegible] أكثر من عشر سنين ،
ولا يزال [illegible] ذلك الإفشاء منه [illegible]
به بعد ذلك في [illegible] ولا [illegible] والمحبة
[illegible] إلى الختام

وهكذا كان دأبه [illegible] مع أولاده [illegible] على محبة
الأشراف وتعظيمهم وإجلالهم وعدم مقابلتهم بمثل ما يبدو منهم من الإساءة
[illegible] ذلك منهم وبذكر الأحاديث الواردة بذلك وحكايات
الصالحين في تعظيمهم وما نالوه من الفضل عند الله تعالى وعظيم المنزلة عنده
بسبب ذلك حتى كان الصغير من أولاده وخدمه يعرف من قدر أهل البيت

فلا يعرفه أغلبه العالم المدني وكذلك في حق الفقراء المتسببين من أهل
الله لأنه كان يرسيهم على ذلك بنيته وهمته وعزمه ولا تجرد لسانه كما كان يحقر
في أعينهم الدنيا وأهلها ويعرفهم أن تحقير وتصغير أبناء الدنيا وأن فعلهم بعين
الرغبة والاجلال يوجب المقت من الله تعالى والبعد من رحمته ويؤثر الكلف
والبعد من حضرة الله ويحض على بيانه من المقنع من الكلام ولا [illegible]
ما يسمعه المرء من القرآن والسنة والموعظة ويقول لهم كونوا من الأنبياء
ويتخلقوا بما تخلقوا في الغنى لا يصلون إلى درجة الزهود ولعل في ذلك حمى
الناس على الإطلاق فهو كان العلماء وغيرهم من أهل الحضر رفعت من قدر
الزهد والصبر وحرصهم في الفقر وما [illegible] في حرفتهم [illegible]
كان رضي الله عنه من أولاده وأقاربه وأتباعه في كل سنة حتى أن
أولاده وأحفاده من هذا الخلق العجيب الأمر [illegible] من أولياء فلا يرون
لأحد من أهل الدنيا والمراتب السامية في الغنى وأربابه قدراً ولا مزية من
جهة [illegible] وثروته بل يعظمون الله ويشكرونه ولا يعظمون إلا بعظمة
رؤية أهل الفضل والدين والصلاح والخير ولا يلتفتون إلى ما سوى ذلك منهم
ولذا كانوا من المتسببين من أهل الله

فصل

وكان يربي أولاده من صغرهم على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة
وتعلق القلب بالله ومحبته والإقبال على العلم والعمل وترك ما فيه شهوات
النفس وحظوظها ولا يسمح لهم بالتشبه بأهل الدنيا وأولاد الأغنياء في
اللباس لا في جودة الثياب ولا في كيفيته [illegible] يلبسون ما تيسر
من الثياب وعلى الكيفية التي يلبسها الفقراء ولا يسمح لأحد أن يلبس في
رجليه الشرابات أو النقشير ولا غيرها من ملابس أهل الضلال وقد رأى
على واحد منهم شيئاً من ذلك فغضب غضباً لا مزيد عليه حتى رآه [illegible]

[illegible] عنه على ذلك و أخذ منه ذلك الثوب فيقطعه أو يتصدق به في الحال
ويقول لا تضعوا [illegible] في [illegible] و تدخلوا في [illegible] الدنيا [illegible]
فنحن لو أردنا أن نلبسكم الذهب و الفضة . وكان ذلك [illegible] ذلك
والحمد لله . ولكن [illegible] و أمسكنا [illegible] من [illegible]
[illegible] في [illegible] لا يرضى الله ورسوله [illegible]
[illegible] .

ومن غريب أحوال الشيخ رضي الله عنه مع أولاده أنه كان [illegible]
في [illegible] الأولاد [illegible] في [illegible] كان
[illegible] من [illegible] الله
[illegible] الأولاد [illegible]
[illegible] كما كان [illegible] الشيخ
[illegible]
من أقاربه و أصحابه [illegible] لأولاده [illegible] ذلك [illegible]
ولا [illegible] أحد [illegible] أولاده في شيء [illegible] كان و
[illegible] الأولاد [illegible]
[illegible] و [illegible] و [illegible]
ثلاثين سنة [illegible] لأحد من أولاده في شيء أصلا
حتى من [illegible] في [illegible] و [illegible] عامة
من كان [illegible] الذي لا [illegible] أحد
من أهل [illegible] فضلا عن [illegible] و [illegible] فقد
[illegible] المشتكي و [illegible] و [illegible] ذلك
[illegible] امتثالا لأمر الله [illegible] لحقوق الأخوة [illegible]
أن يكون كاملا من [illegible] الأمة لا [illegible] في حقه [illegible]
في [illegible] امتثالا لأمر الله [illegible] الأخلاق المحمدية [illegible] الرجال

والناس اليوم لا يرون لأحد حقاً عليهم ويرون حقوقهم على الغير فعلينا
أن نقوم بحقوقهم ولا نطمع في أن أحداً منهم يقوم بحقنا وإن ساويناهم
في أخلاقهم وطباعهم السيئة الفاسدة وعدم العمل بما فيه تقويمهم فأي
مزية لنا من بينهم ونحن ما شرفنا الله تعالى إلا بتحمل الأذى والاقتداء بأقوال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبروا ولا تضجروا من هذا فهو قريب
تجنون ثمرته وهم سيجنون ثمرة أغلاطهم وإن كنت على الحق فسيرفع الله
قدرك ويورثك بهذا شرفاً وعظمة في الدنيا والآخرة ويعرف الناس فضلك
[illegible]
[illegible] ولم يبق لحقوقك [illegible] الله [illegible]
[illegible] وسلبه حقوقه وعكس [illegible]
[illegible] الشيخ [illegible] الحمق [illegible]
[illegible] الإماء والخدم داخل
الدار [illegible] فقد كانت عنده
[illegible]
لا [illegible] الأمر [illegible]
من أولاده [illegible] لا يوفق [illegible] فكانت
[illegible] أولاده في [illegible] كله
[illegible] كأنه هو
[illegible] ثم يقول
[illegible]
طردناها لما وجدت من يتحمل خلقها و [illegible] وهي لا لوم
عليها في طبعها لأنها جاهلة وإنما اللوم [illegible] والسنة فهو الذي يجب عليه تحمل خلقها .

وكان بعض أهل الأخلاق السيئة و [illegible] الذميمة من [illegible] يؤذي الفقراء

غاية ويجترىء عليهم بيده ولا يكاد يمر عليه شهر بدون أن يؤذي أحدا من الفقراء، ثم زاده حلم الشيخ وكرم أخلاقه غرورا إلى أن ضرب يوما بعض أولاده الصغار لأنه كيبه ضربة منكرة ثم لم يكتف بذلك حتى جاء إلى الشيخ يشتكيه أيضاً فبدلا من أن ينتصر الشيخ لولده ويحسن تربية ابنه وأمره أن يقبل رجله ويستسمحه فصار يقبل رجله أمام الشيخ رضي الله عنه

وكان له تلميذ آخر اسمه المغربي في سوء الخلق والغدر والفسق والفجور والكبرياء والعظمة والخداع والدس والرياء والتصنع وسوء الظن والجبن بالله تعالى والغرور بالنفس والحقد والحسد وأذاية الفقراء والأشراف والعلماء والصغار والكبار وأهل الطريقة وأهل الزوايا وأهل الفضل والدين لا سيما من قرابة الشيخ وأهله فإنه لم يبق من أنواع الأذاية والإهانة ما لا تسمح بشرحه إلا عند الحاجة ولأن الناس لم يخرج معه من الدنيا إلا أن يختم له بخير لفرط أذايته بحيث من عمه جميع الفقراء ولا يلوم أحد إلا أن يتداركه الله برحمته فيتوب توبة نصوحا لأن يرضى الله عنه ذلك الجم الغفير من الأشراف والفقراء والفضلاء الذين يعدون في الأولياء ولا بد له من القصاص

وكان للشيخ رضي الله عنه تعرفه هذه الرجل وكثيرا ما يأتيه "المسلمون والزائرين والفقراء لا يكاد يمر عليه يوم أن يسمع بدون شكاية زوره وشكاية منه ممن يسمعهم ويؤذيهم لأنه لفرط حلم الشيخ وكرم أخلاقه وفرط محبته هو وأقرانه وقلة حيائه وضعفه وجبنه كان يؤذي ولد الشيخ ويسمعه من السب والإهانة أمام الناس ما هو لائق بدينه وبعدم أخلاقه و ابن أخي الشيخ أو صهره أو ابن عمه العالم الفاضل المدرس والأشيب الذاكر المنتسب ثم بعد ذلك يقضي وطره من عرضه وهتكه سبق إلى الشيخ بالشكاية لاعتقاده أن الله أباح له عرض المسلمين والأشراف والفقراء من أصحاب ابن الصديق بل وظهورهم وأموالهم لعرف أعتز روعته وحجبه دنه

تعالى [illegible] فكان الشيخ رضي الله عنه يعتقد [illegible] بين أصحابه
وقرابته لأمره [illegible] الخبر [illegible] والكون تحت أمره ونهيه مع
المبالغة في نصيحته وإرشاده وثنائه عليه فلا يزيده ذلك إلا عتواً واستكباراً
[illegible] الشيخ
رضي الله عنه [illegible]
[illegible]
[illegible] وهكذا [illegible] الشيخ رضي الله عنه [illegible]
[illegible]
[illegible] من طلبه وجوره وفساده
[illegible] الشيخ رضي الله عنه وحده
[illegible] على انفراده في الدنيا
من [illegible] الرجل
[illegible]
[illegible] من
ذلك [illegible]
[illegible] ولا فناه كثير في هذه
[illegible] وقد حكى [illegible] من عشر هذا عن القطب
[illegible] رضي الله عنه ثم قال وهذا حق غريب لا يوجد
[illegible] من الشيخ
رضي الله عنه في هذه [illegible] ولقد رأيت أحد أفراد هذه الأمة المحمدية في
عصرنا ممن لم [illegible] بعد الشيخ رضي الله عنه مثله فكان يميل إلى أولاده
بحكم العاطفة ويقدمهم على غيرهم ولا يقبل كلمة سوء من أحد فيهم حتى إنه
صدر مرة من بعض أكابر أصدقائه ومحبيه الذين كانوا يحبونه ويعتقدون

عنه ويواسونه المدة الطويلة أن فيض بعض أولاده تكلم فيه بسفه حتى
أبكاه فدخل على والده وهو يبكي [illegible] والده لذلك [illegible] وقال
ذلك المحب [illegible] حتى أنه لما خرج من عنده حلف بالطلاق ثلاث
أنه لا يبيت في بلده الشيخ وسافر في الحال [illegible] بينهم
مع أن الرجل من أكابر الأعيان [illegible] في البلد [illegible] وانه يصدر
منه الا كلام قاله شفقة في حالة غيبة فكيف [illegible] على [illegible] الاجلال
وجميع أقارب أولاده من خمس عشرة سنة فلا [illegible] أصحابه وجماعته
فكيف به في أنجاله وأقاربه من [illegible]
والديانات والاهانة بالبعد [illegible] والسعي في الاذية [illegible] وشهادة
الامور القبيحة بالزور والبهتان [illegible]
في مكانه حيث أن أولاده بالمشاهدة المذكورة [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] المذكورة ومع ذلك [illegible]
أمام أعين الناس من [illegible]
هذا [illegible] وأشهد له [illegible] من هو دون الشيخ [illegible]
لم [illegible] فكيف بالشيخ [illegible] أولئك [illegible] من [illegible]
[illegible] حتى يؤدي أولاده [illegible]
قلنا أن هذا [illegible] الشيخ رضي الله عنه في [illegible] والحمد لله
رب العالمين .

وصل [illegible]

وكان رضي الله عنه وصالا لرحمه الديني والنسبي أما الديني فقد ذكرنا
[illegible] وأما رحمه الطيني فكان لا ينسى أحداً
مع كثرتهم [illegible] ويكسوهم كل سنة ويدفع [illegible] من يريد
التزوج منهم حتى تترتب عليه في ذلك ديون عظيمة كل سنة [illegible] بالمال

والجاه والتوسط والشفاعات عند الحكام مع كون الكثير منهم يؤدونه
أنواع من الأذايات وربما جاءه الواحد منهم فلم يجد ما يعطيه وحده من
أولاده وعصبه وكان يحض دائماً على صلة الرحم وبر الوالدين ويبالغ في ذلك
ولا يرخص لأحد في مخالفة من هو أكبر منه من العائلة فضلا عن إخوانه
فضلا عن والديه وهو الذي أمرني بتأليف مطالع السعود في بر الوالدين
عقب ما حدث من أقوام ووقع لبعض قرابته أن تزوج عليه امرأته العجوز
البالغة من العمر ستين سنة عقب طلاقه إياها وولدت منه ولداً ذكراً
لا يدري من أين أتى به فقد ذهب عقلها والنسوة لم يحضرن عندها أثر الولادة
ولم تمس أصلا والولد قد وضع بحضنها فأراد الرجل أن يلاعنها فامتنع أخوه
وكان أكبر منه وقال له إن امرأتي في فمه هذه لا ترضى به فأراد أن يخالفه
والناس يتهمونه بافتراء أمر عليه من وجوه متعددة فجاء إلى الشيخ
يستشيره فقال له حيث إن أخاك أكبر منك وقد أمرك بالتخلي عنه فامتثل أمر الله
ولا تخالف إشارة أخيك

فصل

كان الشيخ رضي الله عنه لا يخرج إلى السوق ولا يمر في الشوارع العامرة
بالناس والدكاكين بل إذا خرج يوماً لزيارة أخ أو إجابة دعوة أو إلقاء درس
يختار الشوارع الخالية وإن كانت بعيدة فراراً من الشهرة وتعظيم الناس
وسلامهم عليه وكان يسرع في المشي ويمشي قصداً لا يلتفت لرؤية من عن
يمين الطريق وشماله حتى كان كثير من الناس إذا رآه مقبلا لا يتهيأ له الخروج
من دكانه للسلام عليه حتى يجده قد فاته وبعد عنه.

وكان لا يتولى شراء شيء بنفسه من أمتعة الدنيا وحاجياتها كيفما كانت
إلا الكتب وكان لا يماكس فيها ولا في غيرها إذا اشتراه على سبيل الندرة
وكان التجار يعرفون منه ذلك فيطلبون في الكتب أضعاف ثمنها فإن وافقه

الكتب أخذه ولا ردّه ولا نقص من الثمن وكذلك إذا كان حاضراً
وقت شراء شيء له لا يدع أحداً يكلمه بل يقول للوكيل ادفع الثمن
وهكذا كان حاله في بيع بضاعته فإذا توقف على ثمن شيء باعه لمن أعطى
فيه ولو كان ربع عشر ثمنه وكم كتاب ثمنه أربعون ريالا واشتراه هو بأكثر
من ذلك وأنا فيه سمسار الكتب أربعة وخمسة فاعله كتاب المغرب وفتح
الباري وشرح عليش على خليل ونحو ذلك وكم كتاب اشتراه بعشرين وأنا فيه
سمسار بثمانين وقد باع بعده أولاده في هذه الأوقات حيث استدان مرة نحو
ألف ريال من رجل فجعل يأخذ منه في أن يشير وأخرج مكتبته وباعها
في ذلك السمسار في كتب من ثمنه ما يدل على حسن ما ذكرناه من
نصف أعشار ورقة وهو يعرف ذلك ويعرف سيرة ذلك السمسار وما يصرف
فيه تلك الأموال في سرفهم في الدنيا لكنه لعرف خيانته وحقارة الدنيا في
نظره لا يوقف في شيء من ذلك وأين هذا من علماء الوقت الأغنياء الذين
يملكون الألوف من الغروش يتكالبون على الغرش ونصفه وربما وقعوا من رذائل
لا تذكر ويستدلون بحديث ينسبونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
ماكسوا الباعة فإنه ... حديث باطل موضوع ويعرضون عن السنة الصحيحة
الواردة بمدح السهولة في البيع والشراء والقضاء والاقتضاء وتحقق بأخلاق
كمل الرجال

وكان لا يمد رجليه لا وحده ولا مع أهله لا في حالة المرض ولا في حالة
الصحة وربما مد خدامه قليلا إذا تعب بحيث لا تخرج قدماه عن حدود
المربع وربما كان يكثر من جلوس القرفصاء لا سيما عند المطالعة وانكبابه
وما رأيته طول عمري مادّاً رجليه ولا مستلقياً على قفاه ولا رافعاً إحدى
رجليه على الأخرى في جميع أطوار حياته وذلك لعظيم مروءته وكمال أدبه مع
الله تعالى وتمام مراقبته .

وكان إذا غاب عنه أحد من جلسائه تفقده بالسؤال عنه وإذا علم مرضه

يتعهده بالشرب و[illegible] من بيوت [illegible] في عيادتهم ووصف الأدوية و[illegible]
[illegible] في [illegible] بواحد [illegible] فلا حتى كأن المرض من أعز أولاده كل
ذلك [illegible] لوجه الله وكسب محبة [illegible]

وكان إذا قصده أحد للسلام [illegible] لا يعطيه [illegible] إلا [illegible] هو في
[illegible] وكلمه [illegible] حتى [illegible] فهو لا يتحرك ولا [illegible]
[illegible] ولا [illegible] حتى [illegible] من [illegible] من
العلماء و شيوخ من يريد [illegible] من غير حرك ولا [illegible]
[illegible] ذلك هو [illegible] حتى [illegible] ذلك
[illegible] لسكن [illegible] حلقه وتمام تواضعه مع الناس .

فصل

وكان [illegible] في [illegible] و [illegible] في [illegible] لا [illegible]
[illegible] دون أن [illegible] خفي [illegible] وعلى يديه [illegible] و
[illegible] على [illegible] حتى كأن بيته من [illegible]
المقصودة [illegible] من [illegible] ومن [illegible] الدوا [illegible]
في دخول المستشفى [illegible] و [illegible] كذلك [illegible] وورقة الجواز [illegible]
[illegible] و [illegible] منه و [illegible] عند الحكام في قضية أو عند قاضي
أو عند بعض [illegible] و [illegible] و [illegible] و [illegible] من [illegible] ونحو
هذا [illegible] كان [illegible] غالب [illegible] في قضائه إما بنفسه أو بإرسال رسل ومكاتب
إلى من يتعلق ذلك به من الحكام داخل [illegible] وخارجها إذا ما كان أحد [illegible] في
ورطة [illegible] من [illegible] و من [illegible] لا و[illegible] نعت [illegible] وتفريج كربته
وكان يحث غيره على ذلك [illegible] ويقول [illegible] ومكابدة الأعمال
الشاقة التي كان [illegible] السلف [illegible] في [illegible] وفتن [illegible] الزمان و [illegible]
[illegible] ولم [illegible] اليوم إلا المحبة والتقرب إلى الله تعالى بالسعي في قضاء حوائج

المسلمين [illegible] مشهورين من ذلك ثم [illegible] الله به أحمد وأخذ بيده كم أحد هو
بيد أخيه ومن أخذ الله بيده فقد أوصله الى كل خير

وكان في مدة حياته [illegible] لحكام المسلمين [illegible] في شفاعات لا تحصى
ولا تستقصى ولا يستطيع أحد من أهل العصر أن يدرك له فيه [illegible] فان الخلق
كانت [illegible] فيرسل ويكتب للحكام بحاجة في
الحاجات ليقضيها في [illegible] ولم [illegible]
والقرى [illegible] وحكام [illegible] ولا [illegible]
[illegible] الدول الأخرى [illegible] علقت المسألة [illegible] كتب
في [illegible] مكاتب [illegible] الى الحاكم الواحد عدة مكاتب أيضاً في القضية
الواحدة [illegible] لا [illegible] من ذلك ولا يمل ولا يرد طلب طالب
فيه ولا [illegible] فقضيت تلك المسألة [illegible] شفاعته [illegible] لا [illegible]
[illegible] عن [illegible] كلامه [illegible] في حقه [illegible] بعض أصحابه [illegible]
اليه أحد [illegible] شفاعته [illegible] ذلك [illegible] لا يعتذر [illegible]
لا يقضي ما يطلبه منه بل يسارع الى إجابة طلبه [illegible] رسول من جهته أو
كتابه [illegible] فلا تحصى [illegible] من [illegible] شفاعته [illegible] حكم
[illegible] من [illegible] الثلاثين والأربعين [illegible]
[illegible] ولا تحصى كم
وظف في الوظائف [illegible] من قضاء وولاية على [illegible] وكتابة وتدريس
وعدالة وغير ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الحصر ولا [illegible] شرقاً وغرباً من
الظاهرين في الوقت بالفضل والرياسة والجاه من [illegible] عشر معشار
ذلك ولعمر [illegible] على الشيخ رضي الله عنه

وكان لا يدعو أحداً من الناس باسمه [illegible] دون سيادة ولا يذكره كذلك
في غيبته ولا يقتصر على ما جرى به عرف الناس من [illegible] بحذف [illegible]

بل يذكر بعض السادة بكامل حروفه كالشريف والمشروف والعالم والجاهل
وكان كثيراً ما يخاطب الرجل بمولاي زيادة في الإكرام والاحترام امتثالاً لأمر
الله تعالى أن نقول للناس حسناً

وكان لا يمزح ويكره المزاح وينهى عنه حتى صغار الأولاد ويتعجب من
أهل العلم الذين يمزحون لاسيما في دروسهم فإنه لما توجه إلى القاهرة سنة خمس
وأربعين وكان يسمع عن بعض المشاهير فيها بالدعوة في العلم والسنة والتقدم
فيها ووصفه أنه يقرأ سنن أبي داود ذهب لحضور مجلسه والتبرك به فما جلس
لم يلبث إلا لحظة وإذا بالشيخ المرئي صاحب الأتباع الكثيرين لما أتى إلى
المسجد فيما زعم شرع يحكي العروس ليلة دخولها ويقلد فعلها وصوتها وصوت
النسوة اللاتي يكن معها وهو بحضرة الجماعة فوق الكرسي يقرأ حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم والعوام والناس منصتة له فقام الشيخ
وخرج مندهشاً مما رآه ولا خطر له على بال أن يوجد مثله . وكان يحكي
ذلك في مجلسه للتعجب من طول حياته ويأسف له مما هو عليه سمعه من
بعض علماء القاهرة أيضاً

وسمعت شيخنا الإمام أبا عبد الله سيدي محمد بن جعفر الكتاني يقول
كنت مرة أذكر الله تعالى فرأيت كأن شخصاً لطيفاً وقف بين يدي فقلت ما الذي
قطعك فلا تعلم عن الله وسمعت بعض من كان في الوقت ينسب إلى الصلاح ويحدث عن
نفسه أشياء فقال كنت في راحة من الناس قال فقلت له ذلك بالشيطان الذي لم يفتر
عن الذكر يعني أنه نطق بالكلام المذكور في حال نطقه بالذكر معاً فكان
رضي الله عنه يحكي أن هذا من الكرامات التي وقعت له

وكان الشيخ رضي الله عنه ينزل الناس على حسب منازلهم التي أنزلهم الله بها
ويعامل كل واحد منهم معاملة في المجاملة والبر والإكرام على قدر منزلته
فلا يسوي بين الشريف والدني ولا بين العالم والجاهل ولا بين أهل السنة والفقراء
المتجردين لذكر الله وغيرهم من عوام الناس امتثالاً للسنة الواردة بذلك وقياما

بالتدبير الذي جعله الله بين عباده فقد درجهم لأحوال من غنى وفقر وعز وذل
ورفعة وضعة وعلم وجهل وقوة وضعف لتقوم بذلك حكمته فيهم فالعاقل عن
الله يعامل أهل وقته على مقتضى تدبير الله لهم فإذا لم ينزل الرجل منزلته التي
أنزله الله بها فقد استهان به وجفاه وترك موافقة الله تعالى في تدبيره وكان
ما أفسد أكثر مما أصلح لأنه عكس تدبير الله على مقتضى الحكمة البالغة فالغني
إذا نقصت مجلسه أو حقرت منزلته حقد عليك وتظاهر بعداوتك وأطلق لسانه
فيك لأن الله تعالى لم يعوده ذلك بما خوله من نعمه وأسبغ عليه من فضله
وإذا عاملت الولاة والحكام بمعاملة الرعية فقد تعرضت لما هو أكثر فساداً
وأعظم شراً لاعتيادهم الأمر والرفعة ونفوذ الكلمة والاقتدار على التصرف
في غيرهم فلا يقبلون المساواة ممن ولاهم الله الحكم عليهم وأعطاهم نفوذ الأمر فيهم
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أنزلوا الناس منازلهم كما في سنن أبي داود من
حديث عائشة رضي الله عنها وفي مقدمة صحيح مسلم عنها قالت أمرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم

وورد من طرق متعددة تزيد على العشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وفي رواية إذا أتاكم شريف قوم قال الشيخ
الأكبر محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه يدخل فيه كل كريم قوم من سائر
الأديان لا من المسلمين فقط لعموم اللفظ وشمول المعنى وعموم الحكمة والدلالة
في الجميع

وكثير من الجهال يظن أن الصلاح والتقوى في التسوية بين الشريف
والمشروف وربما يجعل ذلك ميزاناً يحكم به بالفضل وغيره فيقول لو كان فلان
فاضلاً أو صالحاً لسوى بين عباد الله في الرتبة والبر والإكرام وإذا لم يفعل
ذلك فهو ذو وجوه وأغراض وذلك من فرط جهلهم ووجود حقد في نفوسهم
وتطلع إلى منازل ورتب لم يجعلهم الله من أهلها ولم يقض لهم بشيء منها فهم
شيوعية الجاه والمنزلة يريدون أن يقلبوا حكمة الله في خلقه وسنته بين عباده

والمقصود أن الشيخ رضي الله عنه كان ينزل الناس منازلهم كما امره الله تعالى وذلك بالنسبة الى الظاهر اما ما يتعلق بالباطن والمحبة القلبية فكان محبا لايحبه الا من يحبه لما للاولياء الله تعالى من الكشف ونظر بعين البصيرة والعلم بمراد الله تعالى من خلقه في السر وحقيقة الامر لا ما هو ظاهر عليهم في الظاهر من الحركات والاعمال فان الشيخ رضي الله عنه كان يحب بعض الافراد محبة زائدة ويعتني من شأنهم وقضاء أوطارهم وإعانتهم إلى رغباتهم على فعله مع عدم [illegible] ويبسط لمجالستهم وهم من أهل التخليط في الاعمال وتظهر عليهم بعض الاعمال السيئة والافعال القبيحة وترد اليه الشكايات المتعددة فلا يزيد على أن يتعجب من ذلك أو يضحك منه ولا يكلم ذلك الشخص ولا يوبخه ويرى كأنه لم يرو [illegible] فقط ولا ينقص ذلك من قدره عنده ولا يعرف وجه غفلته عنه ويأتيه من هو مشهور بالتقوى والصلاح والعمل ويشتكي عليه أمره ويقابله ظاهرا بما يحب به ويقضي مآربه ولا يفرح ويبسط كما يفرح لغيره وهذا من كشفه رضي الله عنه واطلاعه على المقامات الباطنة

قال سيدي ياقوت العرشي رضي الله عنه ينبغي للفقير ان يعظم الناس بحسب ما هم فيه بحسب من لا بحسب ثيابهم قال وقد رأيت شيخنا ابا العباس المرسي رضي الله عنه كثيرا ما يكرم بعض العاصين اكثر من بعض المطيعين فقلت له يوما في ذلك فقال انه يظهر لي من المطيع عجب بنفسه والتكبر ومن العاصي ذل النفس والاحتقار فأعامل كل واحد بحسب ما في باطنه اهـ . فحالة الشيخ رضي الله عنه جامعة بين الشريعة والحقيقة وهي اعلى من حالة العارف الشعراني رضي الله عنه الذي كان ينزل الناس منازلهم بحسب ما هم عليه من ذل النفس ولا يعظم بحسب الظاهر والثياب ولصاحبه له في ذلك من عواطفه الحكمة التي ادرجها الله في خليقته وامر بها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

فصل

وكان لا يذهب إلى أحد من أهل الدنيا وأغنيائهم المشاهير وإن ألحوا في دعوته لا سيما في أواخر عمره وكذلك كان لا يذهب إلى الحكام ولا إلى المحاكم بل كان يوصل الشفاعات لأصحابه تارة بالمشافهة وأحياناً بالكتابة وربما طلب من الحاكم أن يقدم إليه ليكلمه في القضية إذا كانت مهمة فلا يتأخر عن ذلك لا سيما حكام النصارى فإنهم كانوا يعدون الشرف وزينته والافتخار بالاجتماع به ولم يذهب إلى الحكام بنفسه إلا مرتين سافر من طنجة إلى تطوان لمقابلة المندوب السامي في شأن مصالح المنطقة المغربية مع أن السبب الباعث في ذلك هو أن طنجة محل إقامة الشيخ كانت تحت يد الدولة الفرنسية والمراقبة الدولية والحاكم العام للمنطقة الخليفية بتطوان لا يسمح له بالقدوم إلى طنجة فلذلك اضطر الشيخ أن يشد الرحلة لمقابلته مع علمه بمصلحة تلك القبائل كافة .

وكان شديد الكراهة للرياسة ، ولمن يميل إليها ويسعى لها غاية البعد فإنه فارغاً من النور والإخلاص في الأعمال إذ لو كان نور العمل حالاً بقلبه لأكسبه حب الخمول والتواضع والاستكانة لله عز وجل ولعرفه بقدر نفسه ومنزلتها من حق الله تعالى الذين يريد أن يتعاظم عليهم وما يحصل على نفسه في ذلك من عظيم الشر والفساد فكان لا يميل إلى ما فيه رائحة تقدم أو رياسة حتى التقدم للصلاة بل كان يقدم لها من حضر عالماً وكذلك إذا خرج لا يترك أحداً من أصحابه يتبعه ويمشي خلفه لا سيما مع التعدد والكثرة بل يقدمهم أمامه إذا كانوا قاصدين جميعاً محلاً واحداً ومن أجل ذلك كان لا يمر في الشوارع لعمره لئلا يزدحم الناس للسلام عليه كما قدمناه .

وكان لا يتميز عن العامة في الملبس ولا ينفرد عنهم بشيء أصلاً مما ينفرد به العلماء وأرباب المناصب والوجاهة فلا يلبس الكساء ولا البرنس ولا يركب

الملة كما هو حال علماء المغرب وحيائه قبل ظهور الحرمات ، بل وحال علماء المشرق أيضاً فكان لا يزيد على الحلاوة التي يلبسها عامة الناس لا في الأعياد والمواسم ولا في سائر الأيام ولا يوافق على شيء من ذلك لا بحاله أيضاً ولا يتصوران يرى واحداً منهم متميزاً عن عامة الناس في شيء من الأشياء أصلاً وذلك كان حال النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح والعلماء العاملين حتى ظهر الفجار من العلماء الذين هم ليسوا على شيء وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً فقد حصروا في الترف والرفاهية وتوسعوا في مخالفة الشريعة والسنة محتجين بهوى نفوسهم بالمصالح المرسلة الهادمة للدين مستقين ذلك ومروجين به لأنفسهم الوقار في أعين العوام حتى لا يحتقروهم ويفسقوهم لمخالفة ظاهر شريعته ولذلك كانوا شر من تحت أديم السماء قطع الله دابرهم ونصر الدين بهلاكهم وانقضاء عددهم آمين .

وكان يكره التشبه بأهل الدنيا في الملبس والمعيشة وفراش البيت وكل ما فيه رفاهية وترفه حتى لنفسه فلا يلبس الثياب الرفيعة الجيدة ولا الرقيقة ولا ما فيه خيط واحد من الحرير ولا ثوب المزور كالقفطان والفرجية ولا ما فصاله وهيئته من شكل لباس المترفين وهيئاتهم ولا يفعل ذلك لأحد من أولاده وإذا أهدى له أو لأولاده شيء منها تصدق به في الحال ولم يكن يفرش في الغرف والبيوت زرابي وسجاجيد أصلاً بل كلها مفروشة بالحصر ومرات لغير الغرفة والاثنين فكانتا بزرابي الصوف والحصر ولم يظهر النور الكهربائي بمنع من إدخاله مع حرص الناس عليه في ذلك مدة تزيد على العشر سنين لأنه كان في بدء ظهوره من شأن الأغنياء والمترفين وما دل ادخاله إلى بيته حتى عم جميع الناس غنيهم وفقيرهم وشريفهم ومشروفهم ولم يبن بيته وكان لو وقف على البناء بعض أصحابه فعمل بمقتضى نظره وأمعن في الحائط وشبابيك ذات أقواس منمقة فحين سكن بالدار ومرت مدة من فعله تلك الشبابيك وإزالة الزليج من الحيطان حتى صار البيت في شكله كبيوت الفقراء وعامة الناس

وكان يغضب غضباً شديداً إذا رأى من أحد أولاده ميلاً لأبناء الدنيا في
التشبه بهم والسير على منهاجهم لأنه كان لا يرى ذنباً أعظم من حب الدنيا
والدخول في مداخلها والتطلع إلى أهلها ويقول لأولاده فيما سمعوا منه شيئتم فإني
أقول لكم رحمة الله إلا حب الدنيا وطلبها والتشبه بأهلها فإنه لا يرجى لكم
فلاح مع ذلك فكيف ... شأنكم ... وتنجح ... وقلوبكم
ملطخة بحب الدنيا التي هي أخس شيء إلى الله تعالى ونحن لا نحب منكم
إلا ولا خدمة بل نحب أن تكونوا رجالاً يقتدى بهم ... في مجتمعنا
و... وحب مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ذلك العمل بالسنة
والاتباع ... مصالح لا تحب الدنيا والبحث بها فإن كل من في الدنيا
حاله كذلك ... فائدة ... من أقرب
ما اختص به الشيخ رضي الله عنه وخالف ... أهل عصره من شيوخ الوقت
وفضلائه فضلاً عن عامة الوقت ... الدين هم أشد الناس حباً للدنيا ورغبة
فيها وحرصاً عليها وقد علم أولادهم ... إلى الدنيا وهو مذهب
دينهم وأكبرهم وأخذهم لا يترك ... في أولادهم ... الدين لا
من ...

وكان شديد التكبر على من فيه شبهة بالكفار ولو في الشيء اليسير ويبالغ
في الزجر عن ذلك والنهي عنه ويتعجب من حال علماء مصر في التشبه بهم في
لبس أحذيتهم وهيأة فراشهم ... وفي الأكل بالشوكة والسكين وقص
اللحى وحلقها ويقول ما شموا رائحة العلم ولا وصل شيء منه إلى قلوبهم
و... الشر ... يحترفون بالعلم ... يأكلون به ويعدون من
يقتدى بهم ... العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ... أن يكونوا ورثة الأنبياء
مع ما هم عليه من هتك الشريعة وحرب الدين فكان لا يتصور أن تقع
أحد الخبر بالسكين على مائدته فضلاً عن أن يأكل بالشوكة والسكين ولا
يتصور أن ... شبه بالكفار ... عن ... من شيء
... كانت عنده موضوعة ...

كل مجلد فوق الآخر في نحو عشرين مجلداً وكان دائماً يتعب في أخذ المجلد لدى إرادته لا سيما إذا كان هو أسفل مجلد وطولب مراراً أن يضع الكتب على شكل الحديث كل مجلد قائم بنفسه لسهولة تناوله فأبى لما فيه من التشبه بالفرنج فما بالك إذ هو أكثر من هذا وقرب شيئاً منه بأحوالهم ولما دخل بعض بيوت كبار العصر [illegible] الإسلام في مصر ورأى هيئة غرفته المسكرة كاد يتعجب وضحك من صنع الله به ولا تقضى عنه [illegible] ويقول لا أدري كيف يستحيرون هذه [illegible] ولا [illegible] يعتمدون في أركانه [illegible] لعنه .

وإذا كان اعترف أبو الحسن بن مسعود [illegible] في أواخر القرن التاسع كتابه غربة الإسلام من المتفقهة والمتفقرة عصره وأشياء من ولاتها من بلاد الأعجام وحكم فيه بكفرهم وردتهم ومروقهم من الدين فما بالك بأن رأى هؤلاء الخوارج المتفرنجين فإنهم [illegible] من تحت ذيله [illegible] كما ورد في السنة المطهرة

*

وكان يكره الوظائف الحكومية وينهى عنها كل من يحبه ويأمره بالتباعد منها والتكسب بالحرفة والتجارة لا سيما خطة القضاء والشهادة فإنه كان شديد الرغبة في الزجر عنها والتنفير منها ويقول لأن يبيع طالب العلم الفحم والحطب والسفنج ويطوف به في الأسواق والشوارع خير له في دينه ومروءته من تولية القضاء والشهادة في يوم لغلبة الشر وفساد أهل هذين الخطتين بل كان ينهى عن مجالسة القضاة والعدول ويجعل مجالستهم دليلاً على فساد الأخلاق والتهور في الدين فقد أخبرته يوماً أني رأيت بعض أهل العلم الموصوفين بالصلاح جالساً في دكان بعض العدول فصار يبدي عجبه الشديد ويقول كيف استجاز الجلوس معهم وهو يعلم حالهم بل نهى مرة بعض تلامذته عن

المرور من الشارع الذي فيه دكاكين العدول.

وجاء إليه مرة من [illegible] أحد [illegible] محكمة الاستئناف [illegible] كأنه [illegible] وقال له [illegible] له ويحزن من أجله هذا [illegible] فيه [illegible] المرء [illegible] فلا [illegible] به وجاء إليه مرة [illegible] له يستفتيه في ولاية منصب [illegible] عرض عليه ذلك المنصب من أهلها وأبى أن [illegible] حتى يستشير الشيخ لعلمه بكراهته لذلك فمنعه منه [illegible] أن [illegible] الله تعالى [illegible] بالرزق من حيث لا [illegible] وأن لا [illegible] عمره [illegible] فكان كما قال

وكان رضي الله عنه [illegible] في [illegible] لا [illegible] له [illegible] من الدقائق [illegible] ولا [illegible] الله حكمه [illegible] أقوال أئمة المذاهب [illegible] الأمر من [illegible] وتضعيف [illegible] وعند ذلك [illegible] في [illegible] وعن [illegible] به وقد [illegible] في هذه كثيرة جداً بالنسبة لأمور الحادثات والمخترعات الجديدة التي تحتاج إلى البحث عن حكمها [illegible] كان من أخص أحواله وأهم الأمور [illegible] حتى [illegible] كان لواحد منهم [illegible] أنه من [illegible] لأنه موافقة للشرع وأنه لا محظور فيه [illegible] له وجه [illegible] من دقة [illegible] الشيخ وغوصه على الحقائق في هذا الباب [illegible] توقف من جهة [illegible] ويقول إن الفعل جائز شرعاً لا محظور فيه [illegible] أن [illegible] من مواقف [illegible] وأن لا [illegible] [illegible] حكم الله في المسألة من جهة الدليل من كتاب [illegible] [illegible] المذهب ولكنه لخفائه على كثير من الناس لا [illegible] به حتى يقول للسائل مثلاً استصدر [illegible] حتى لا يكون هو [illegible]

ومعرفته وربما توقف في نفسه حتى يسأل العلماء وهو من أعجب الأحوال وأغربها بالنسبة إلى ما كان عليه من الاطلاع الواسع في الفقه بحيث لا يكاد يشذ عن علمه منه فرع لا سيما بعد التصدي للبحث والاطلاع وتوقفه في تجليد الكتب عند مجلد نصراني حيث لم يكن بمصر مجلد مسلم يعرف حكم الله في ذلك من المسائل ثم وقف على أقوال الأئمة فيه ولم تطمئن نفسه دون استفتاء العلماء فأمرني بإرسال سؤال إلى مفتي الديار المصرية وعالمها شيخه الشيخ محمد عليش وكتب هو رضي الله عنه إلى مفتي الديار المغربية وفقيهها سيدي المهدي الوزاني

فكتبت إلى الأول ما صورته ما قولكم أطال الله بقاءكم في تجليد كتب التفسير والحديث والفقه وغيرها عند مجلد كافر هل ممنوع كما يؤخذ من كلام بعض المالكية إذ قال يمنع بيع التوراة والإنجيل للكفار وكذا [illegible] وفي ذلك من إهانة اسم الله وكلامه أم هو جائز كما يستفاد من رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل كما في صحيح البخاري وفيها اسم الله وذكر آيات من كتابه [illegible] الجواب كافٍ مستوفىً بالأدلة الشرعية ولكم الثواب

فأجاب بقوله اطلعنا على هذا السؤال ونقول قد تقرر أن أهل الذمة في المعاملات كالمسلمين فيجوز للمسلم معاملتهم في سائر أنواعها وكتب الأصول والفروع مشحونة بأن الكفار في المعاملات كالمسلمين سواء وكتب الأحاديث مملوءة بأنه صلى الله عليه وسلم استعان بالكفار في عدة أمور إذا علمت هذا علمت أنه يجوز للمسلمين أن يعاملوهم بجميع المعاملات من بيع وشراء واستصناع أهل الحرف منهم كما يجوز لهم ذلك مع المسلمين ولذلك كان مدار المعاملات على الدرهم والدينار وكانت تلك في صدر الإسلام عليها علامتهم لم يستنكف المسلمون عن تداولها والمعاملة بها فيما بينهم وفيما بينهم وبين الكفار المتوطنين معهم

في دار الإسلام كما لم يمتنعوا من مبايعتهم واستصناعهم كما أن عبد الملك بن
مروان لما ضرب الدراهم والدنانير في عصره كتب عليها بعض آيات قرآنية
لسبب مر مذكور في التواريخ يتداولها الناس كافة ويتعاملون بها، فلا فرق بين
مسلم وذمي ومن هذا يعلم أن تجليد كتب التفسير والحديث والفقه وغيرها
من الكتب المشتملة على بعض آيات من القرآن وبعض الأحاديث عند محمد
كامل أن هذا من قبيل الاستصناع وأما ما نقل عن بعض كتب المالكية وهو
قوله يمنع بيع التوراة الخ. فمثله أيضاً موجود في كتب الحنفية قال في شرح
السير الكبير لا ينبغي للامير أن يبيع التوراة والانجيل والزبور من المشركين
لعادة أن يصلوا به فيكون هو السبب في ذلك واصرارهم على الكفر
وذلك لا رخصة فيه وكذلك لا يبيع من مسلم وكذلك لا يدفعه من العاقل
وأما الدرهم والدينار فلا بأس بتسليمها اليهم قال لأن الكفار لا يرى أن
المسلمين يتبايعون بدراهم الأعاجم وفيها التماثيل والصور ولا يمتنع أحد من
المعاملة بذلك وإن يكره هذا لما فيه أنه عبد من دون الله من الصنم
ونحوه اهـ. ولا شك أن هنالك فرقاً بين الاستصناع وبين ما ذكر لأن
المقصود منه مجرد هذا العمل لا غير والاستصناع سواء ونحو ذلك فالحديث
الشريف نعم لا يجوز أن يجلد القرآن ذمي لما فيه من المس مكروه تحريماً وحرام
لما فيه من مس الكافر به عند التجليد ولا شك في انه محدث اما حدثاً اصغر
او كلاً من الحدثين هذا ما رأيته والله أعلم اهـ

وأجاب الحنفي بقوله وأما تجليد النصراني للكتب فيظهر أنه لا بأس به
إن لم يظهر منه مكروه في تجليدها لحل أمره في ... في الأشياء التي
يتناولها وقد تذاكرت مع بعض العلماء لمذهب مالك فقال لي لا بأس بذلك
ويمكن الحكم النظر فيها إذ يرى الحاضر ما لا يرى الغائب

وكان لا يأكل طعام العسكر ولا حيواناتهم وسمعته مرة يقول من نعم الله
على أني صادفت الشكولامة في حياتي ولما توجه إلى القاهرة مكث طول مدة السفر
لا يأكل إلا الخروب والزبدة ولا يأكل ما يقدمه له العسكر من الأطعمة الفاخرة

لأهل [illegible] التى [illegible] ولا من [illegible] مثل السمك المقلى والبيض
والخضروات ونحوها

وكذلك لا يستعمل دواءهم إذا مرض خوفاً أن يكون فيه خمر أو نجاسة
مع أنه كان يأمر غيره [illegible] عندهم [illegible] أدويتهم لكنه لا يستعمل ذلك
فى نفسه وكذلك كان [illegible] فيه صورة ولو غير مجسمة
[illegible] العلماء [illegible] فى بيته [illegible] صور
[illegible] كان [illegible] للقديسين [illegible] قطع [illegible]
ولا [illegible] من [illegible] مع [illegible]

وكتب إلى مرة [illegible] يقول [illegible] الناس [illegible]
لعدم ملبوس المعارضة [illegible] ولا [illegible]
[illegible] من [illegible] فى [illegible] فإن ذلك من
أقبح ما يرتكبونه من [illegible] بعيدة من [illegible]
للشارع اهـ

قال فى [illegible] رضى الله عنه كان [illegible] على أوامر
الشرع [illegible] عند حدوده آخذاً بالعزائم [illegible] لا يقدم على الأمور حتى
يعلم حكم الله فيها ولا [illegible] من الأشياء إلا ما تحقق حلمه واتضح حكمه
[illegible] سلامته ولا [illegible] موقع فيه التردد والشبهة [illegible] كانت جميع شئونه
[illegible] على [illegible] من [illegible] ظاهراً وباطناً وكان فى
[illegible] مقيداً بمذهب مالك رضى الله عنه وفى حقيقة الأمر كان مجتهداً بأخذ
الأحكام من أصلها والحقيقة من [illegible] ومع ذلك فكان لا يخرج عن مشهور
المذهب لا فى نفسه ولا فى فتواه لغيره إلا لضرورة وذلك [illegible] وتحفظه
[illegible] ورعه [illegible] طريق الجمهور الذى هو قول العامة من الفقهاء وكان
يتورع فى جميع شئونه من أكل وملبس ومسكن وكلام وقد كانت تهدى إليه
أشياء من مأكولات وملبوسات فلا يتناول منها إلا ما تحقق سلامته من
الشبهة والحرام وما رأى فيه شبهة أخرجه وتصدق به فى الحال وكان راسخ

القدم في هذا المقام لا تحركه رياح العواصف ولا تعتريه المطامع ولا تستميله الحظوظ ولا تستفزه الرخص فما رأيت أحدا ممن خضعت له من علماء الوقت وشيوخه وصلحائه أعلى همة ولا أكبر نفسا ولا أكثر تواضعا ولا أعظم بالله ثقة ولا أشد به محبة وأكثر منه تعظيما ومن سواه رغبة عنه ولا يعول في جميع أموره إلا على مولاه ولا يطلب حوائجه إلا من الله ولا يتوكل إلا عليه ولا يستعين إلا به ولا يخشى إلا من الله ولا يعطي إلا لله فهو منقطع السكون من غيره وثبت الحق في مشهده وسره في جناب الحق وتحقق بذلك أن الباطل كان زهوقا اهـ

وكان لا يكثر من زيارة الشيوخ ولو كانت صحبته مع جماعة من شيوخه [illegible] ويحث على عدم التوسط وعلى الفقر منها وبعده [illegible] إذا كان من خشية العلم وأهل الطريق من يتعرض لذلك على عدم [illegible] والفقير [illegible] وذكره [illegible] في ذلك

فصـــل

ومن زهده في الدنيا وتعففه [illegible] يعترف به الموافق والمخالف من المسلمين والنصارى رجال حكومة الدولتين الفرنسية والإسبانية فقد سلكوا معه كل مسلك وعرضوا عليه من الأموال ووسائل الحصول عليها ما يصير به أغنى أهل المغرب فما رفع إليهم رأسا ولا أصغى إلى مطلب ولا سكت عن المعارضة ونشر ما يقتضيه الدين من الدعوة ضدهم في الدروس العمومية والمجالس الخاصة والعامة والسعي في ذلك بالأقوال والأفعال وبذل الأموال إلى أن أيس من المسلمين وتحقق من مراد الله فيهم فبعد ذلك لزم بيته وأقبل على شأنه وترك الأمر لله بدون معارضة جمعا بين الشريعة والحقيقة وامتثالا لأمر الله تعالى في الأول والآخر وحرك سلسلة الأسباب فلما علم أن مراد الله من خلقه في الوقت ما هم عليه [illegible] مقاليد

التسنم وصار ينظر ما يبرز من الحضرة الإلهية بدون حركة ولا تسبب متمسكا بعروة الصبر فانتظار الفرج بالصبر عبادة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم

وقد قدم اليه مرة المندوب الأسباني عشرين ألف ريال حسنية ليوافق على ولاية بعض الطغمة الخائنين على القبائل المحاربة ، فقال له : لو ملأت لي هذه الغرفة ذهبا ما وافقت على تولية رجل ظالم المسلمين وسلب أموالهم وسفك دمائهم فازداد عظمة وجلالة في أعينهم حيث لم يرفع رأسا لما قدموه اليه من ذلك القدر العظيم لدى من كان يمتلكه في ذلك الوقت كان من أعظم الأشياء [illegible] والرجل المذكور كان متوليا للحكم ، وإنما كان الشيخ [illegible] في توليته ويطلب عزله من الحكام لفرط ديانته للمسلمين

وخطبته دولة فرنسا مرارا على أن تعترف بها أنها ستمد له يد المساعدة في المغرب سرا وترفع من شأنه على جميع شيوخ المغرب وتساعده على نشر طريقته وكثرة أتباعه وتسهيل مصالحه ، فكان يجيب عن ذلك بالذم الشديد لها والتصريح البليغ بالنهي في ذلك عما لا يستطيع حتى سماعه فضلا عن التحدث به ، لا سيما مع سماسرتها الذين هم عنده بمنزلة الوزراء وعظماء رجال الدولة لحقارتهم [illegible] في نظره وعلمه بدسائس فرنسا وما تقصده وراء ذلك من القضاء على المرء وهلاك دينه .

وأما السلطان عبد الحميد فقد أجاب رغبته الأكيدة في الاجتماع به ولو مرة واحدة لا سيما ، وقدم اليه من كرائم الأموال مالا يقدمه مالك لمثله فقد مكث أزيد من شهرين يلح ويرغب ويتوسل بكل الوسائل فما أجابه إلى ذلك ولا رغب فيه الوسائط والشفعاء الذين طال ترددهم إليه وإلحاحهم عليه في الاجتماع لأخذهم الأموال الكثيرة على ذلك من عبد الحميد .

وكانت سفراء دول [illegible] معادن الفضة والحديد وأنواع أخرى بالبلاد المغربية فحسبه بعضهم مرارا في مباشرة أمرها مع الحكومة والشركات فكان يجيب بأنه لا يرشد الكفار إلى معادن المسلمين ولا يكون السبب

وتملكهم إياها ، ولما كثر الأخذ والطلب عليه أضاع تلك الأوراق والرسوم .

وكان كثير من الفقراء يهبون له الأراضي ويكتبون له الأملاك فيرد ذلك ولا يقبله كأنه زاهد في ميراث أبيه فلم يسأل عن شيء منه قط لا عن رقبته ولا عن زوائده من الزيت والحبوب وغيرها في أمثال هذا ، ثم سمع به عن أحد من أولياء العصر وشيوخه [illegible] فضلا عمن دونهم من المتصوفة المشتغلين [illegible] رؤوس أموالهم الملايين واستملكوا القرى والضياع حتى قال بعض الفضلاء يوما وهو يحدثني عن غنى مشايخ [illegible] جميع سلاطين من ظهور الإسلام [illegible] جميع سلاطين [illegible] ما [illegible] وجدته كل هذا [illegible] وموافقتها على أغراضها وخدمة [illegible] في المغرب وتحكمها في رقاب المسلمين حتى صار شيوخ الطريقة بالمغرب كلهم جواسيس وعيون على حركات المسلمين العامة والخاصة [illegible] الله العافية منه

ومن زهده في الدنيا وعدم رغبتها في نظره عدم اهتمامه بشؤون البيت ولو لوازمه الضرورية وتركت الأيدي السكنى كلها عملة [illegible] فكل يطبخ ما يشاء وكل [illegible] ويأخذ ما يشاء من شيء ، فكان يحصل بذلك ضياع كثير فوق الحاجة في أمور المعيشة والأواني والملابس إذا كان يعرض غيره للاطلاع عليه وهو لا يهمه شيء من ذلك ولا يفكر فيه ولا يحمل لذلك التضييع والإسراف هما ولا يلقي له بالا كأنه غير موجود في البيت بل هو رضي الله عنه غائب عن كل ذلك مشتغل بربه [illegible] في مراقبة جلاله وشهود جماله لا يتكدر للدنيا كلها لو خرجت من يده فضلا عما هو في بيته .

ولما شرع في عمارة البيت لسكناه كلف به أحد الفقراء ، وصار كلما يفتح الله به يدفعه له ولا يسأله عما دفع ولا ما بقي ولا يأخذ منه حسابا ولا يكلمه

وذلك أصلا ولا [illegible] في نفسه بكيفية ولا يشير الى حاجة ولا قدم اليه يوما ليره حتى [illegible] ودخل [illegible] مرة واحدة ثم لم [illegible] بيت يشترى دور [illegible] [illegible] له وذهب [illegible] بهذه الطريقة مع [illegible] وهو رجل مسرف لا يخاف [illegible] ولا [illegible] في [illegible] فكان يصرف من المال الذى يدفعه إليه الشيخ لأجل [illegible] في [illegible] الفاسدة وشهواته الساقطة والشيخ يعلم بذلك فلا يرده عنه وعن المعاملة معه كما [illegible] كلمه في شأن ذلك من [illegible] لا [illegible] فلا يحاسبه ولا يراقبه ثم لما طالت الشكاية وكثر الكلام من [illegible] أشرك معه بعض من كان يدخل اليه كل يوم [illegible] ذلك [illegible] وجعل المال تحت يدهما معا فكانا يصرفان [illegible] في شهواتهما [illegible] و[illegible] ذلك فكان [illegible] الشيخ [illegible] لا يزيد على [illegible] أحد [illegible] من [illegible] .

ودخل [illegible] مرة [illegible] عشر [illegible] وأرسل اليه بعض الفقراء يطلب منه ان يدفعها اليه [illegible] من [illegible] الى اخرى ثم يعيدها في اقرب وقت ، فمكثت عنده [illegible] وادعى انه خسر في [illegible] و[illegible] [illegible] ولم [illegible] فلس واحد [illegible] الشيخ من حاله و[illegible] على الدنيا وعلم ان [illegible] هي [illegible] و[illegible] من [illegible] كلمة كلمة واحدة ، بل [illegible] اليه [illegible] يقول له [illegible] حتى يظهر [illegible] فادعى بعد [illegible] سرقت من الدكان مع ان الدكان داخل وكالة لها باب [illegible] [illegible] وكالة [illegible] على الدكاكين [illegible] يتكلم كلمة مع [illegible] كالشمس في رابعة النهار ، بل [illegible] حيث إنهم لم يريدوا من [illegible] الا الدنيا [illegible] ووجدوا منها فليست الدنيا كلها شيء حتى [illegible] لأجلها . ووقائعه في هذا كثيرة جدا لا تكاد تحصى .

وفي أواخر عمره [illegible] في الزهد فيها الى حد لا [illegible] عنده [illegible] درهم واحداً أصلا و[illegible] وليس في داره فرش واحد . بل كان كلما [illegible] الله

شيء نفعه في الحال ودفعه في الديون التي يترتب عليه لأصحاب الدكاكين
التي يأخذ منها الثياب التي يتصدق بها ويكسوهم من قصده من القرابة
والغرباء والناس وأصدقاء الزواج ونحو ذلك أو يرجع للتكاليف المنفقة على
البيت وكان لا يسأله عن شيء ولا يسأل له ما يشترى. وإن كان الرجل يشترى
الطعام الذي يحتاجه وشبه ذلك لا يدري ولا يعلم شيئا حتى يوضع
بين يديه.

وكان لا يحمل معه نقودا أصلا لا في الحضر ولا في السفر، بل إذا كان
مسافرا يدفع كل ما يحتاجه من يصحبه في سفر ويكون مكلفا بشؤونه.
وكان لا يعمل في بيته شيئا أصلا حتى إنه كان يحضر تمام تدريسه الدروس
المتعددة سنة في [illegible] حتى [illegible] يبتدئ
معه درس النحو ويشرع في درس الفقه وكذلك بعده درس الحديث فكان
يصح استعداده في [illegible]

وكان لا يأكل إلا مرة واحدة في اليوم [illegible] في الصباح ويتغدى بعد العصر
ولا يتعشى لا في [illegible] ولا في [illegible] ويشرب ثلاث أكواب في اليوم
ويقول بها من [illegible] وشبهه

وكان إذا أراد شراء ملابس لا يختاره بنفسه لا ثوبا ولا غيره بل يكلف من
يشتري له الثوب ويخيطه ويأتيه به فيلبسه كيف أتى به على النحو الذي يلبسه
وكان لا يكثر من الثياب ولا يزيد على ثوبين يد [illegible] أحدهما دفعه للغسل
ولبس الآخر

وكان لا يشغله لباس إلا بقدر الحاجة والضرورة فإذا كان عنده ثوب
جديد حسن وعليه ثوب دونه وبدا عنده أثر الأوساخ وأراد الخروج فإنه
لا ينزع الثوب الذي عليه ويلبس الثوب الجديد أو الغسيل من أجل مراعاة
الناس بل يخرج بالثوب الذي اتفق عليه ساعة الخروج كيف كان

وإذا أتى بلباس جديد أو حذاء جديد لبسه وتصدق بالذي كان يلبسه
قال في السمات وأما زهده رضي الله عنه فكان على التحقيق والحقيقة
على نعت ما وصف به المحققون من أهل الطريقة متحلقاً به ظاهراً وباطناً
لا يتوسع في مأكله ولا يترفه في ملبسه ولا يتأنق في مسكنه بل كان آخذاً
من الجميع ما تقوم به ضرورة الحياة مقتصراً على ما لابد منه نابذاً للمودودات
والشهوات فلا يعبأ بالدنيا وذهبها وزهرتها ومتاعها يستوي عنده وجودها
وفقدها فإن وجدها أنفقها فيما أمر الله بإنفاقها فيه بل آثر منها على نفسه
وعياله وإن فقدها رضي بمراد الله وفهم عن الله فيه فلا يفرح لوجدانها
ولا يحزن لفقدانها وهذا هو حقيقة الزهد كما قال ابن عطاء الله رضي الله عنه
في التنوير للزهد في الدنيا علامتان علامة في وجودها وعلامة في فقدها
فالعلامة التي في وجودها الإيثار منها والعلامة التي في فقدها وجود الراحة
منها فالإيثار شكر لنعمة الوجدان ووجود الراحة شكر نعمة الفقدان وذلك
ثمرة الفهم عن الله والعرفان لأن الحق سبحانه كما نعمك بوجودها نعمك بصرفها
بل نعمته بصرفها أتم .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه رأيت الصديق رضي الله عنه
في المنام فقال لي أتدري ما علامة خروج الدنيا من القلب قلت لا أدري قال
بذلها عند الوجود ووجود الراحة منها عند الفقد اهـ .

وهكذا كان حال سيدنا رضي الله عنه إذا وجدها وفتح الله تعالى عليه بشيء
منها أنفقه في وجوه البر والإحسان وآثر على نفسه وعياله فيواسي به الضعفاء
وذوي الحاجات ولا يدخره ولا يسلك فيه مسالك الراغبين في الدنيا من
صرفه في الشهوات والمودودات بل كانت همته رضي الله عنه في الباقيات
الصالحات .

وكان دائماً ينظر من الدنيا بعين الإهانة والاحتقار وينفر منها ويحذر
من محبتها واستغراق العمر في طلبها ويقول إذا كان الفقير يتردد إلى أبناء

الدنيا ومجالستهم لايجيء منه شيء و الطرق ولا يطمع فى وجود قلبه ولا فى حلاوة الاقبال على ربه لان ابناء الدنيا أموات القلوب ومن خالطهم مات قلبه مع من تكون بحاله تكون .

وكان رضى الله عنه يقول مثل الدنيا مثل من يضرب بالحجارة فما يخطئه منها خير مما يصيبه .

وكان يدا الناس ثوباً جديداً تصدق بما عنده وكان يأمر أزواجه وأولاده بذلك ويقول لهم إنكم لن تزالوا فى سعة ونعمة وستر أحياء وأمواتاً ما دمتم على ذلك . ولقد صدق رضى الله عنه فيما قال ووعد به . وكان بمقتضى هذه السيرة الحسنة تترادف عليه النعم الجزيلة والخيرات الجسيمة وتحفه العيشة الراضية الطيبة .

ومما يدل على صدق زهده فى الدنيا انه مدة صحبتنا له ومخالطته ما يزيد على الثلاثين سنة ما سمعناه يذكر الدنيا الا بلسان الذم والاحتقار . وكان متبريا من الدنيا وزهرتها واسبابها منفصلا عنها بجسده منفصلا عنها بقلبه وروحه . لا يدعى لنفسه ملك شيء منها بل يرى نفسه مستخلفا فيه فيقسمه بين إخوانه ويجعلهم شركاء فيه .

وكان يقول : الأخ الحقيق هو الذى لا سر عنده مكتوم ولا مال مقسوم .

ومما يدل على زهده فى الدنيا أيضا اننا ما سمعناه ولا سمعنا به تكلم على متروك أبيه وأجداده الكرام أو بحث عنه أو عرض بذكره دارا وعقارا أو حبسا او غير ذلك من نفى جميع ذلك وصيره نسياً منسياً كأن لم يكن وتركه لاخوته ينتفعون به . وبالجملة فزهد هذا السيد رضى الله عنه فى الدنيا شيء كبير لا طاقة لنا باستقصائه كما لا قدرة لنا على معرفة ما كان عليه من حقيقته وانما أشرنا إلى هذا النزر القليل من زهده تبركا بذكره اهـ .

فصــل

ومن توكله رضي الله عنه وكان توكل كبار العارفين وأفراد الأئمة الذين أطلعهم الله على اللوح المحفوظ فشاهدوا فيه رزقهم وحصل لهم سكون الاطمئنان به كما قال العارف الكبير سيدي فضل الدين رضي الله عنه إن للعبد في عدم الاضطراب في رزقه ثلاث مراتب .

الأولى وهي أعلى المقامات الطمأنينة لقلبه وزوال الاضطراب عما زاد على الجزء البشري باطلاعه على الإمام المبين الذي أحصى الله تعالى فيه كل شيء فإن ما أحصاه من كتب فيه لا يصح فيه تبديل ولا تغيير ولذلك سمي باللوح المحفوظ أي من المحو والتبديل بخلاف لوح المحو والإثبات فإنه يقبل التبديل والتغيير فمن رزقه الله الاطلاع على هذا اللوح اطمأن قلبه برزقه ضرورة وهو خاص بأكابر الأولياء قال وإنما قيدنا زوال الاضطراب عما زاد على الجزء البشري بكونه محققا لأن حجاب الجزء البشري لو زال بالكلية من الأولياء لما كان للأنبياء مزية عليهم كما أن الأنبياء لا يصح لهم الاطلاع على جميع ما أحصى الله تعالى في الإمام المبين فلا بد لهم من حجاب عن شهود شيء فيه لئلا يستوي علمهم بعلم الحق تعالى ولا قائل بذلك وغاية ما في الباب عليه علامة أن الله تعالى أزال عنهم الاضطراب ليتميزوا عن غيرهم من أكابر العارفين

المرتبة الثانية أن يكون مطمح نظر العبد لوح المحو والإثبات الثلاثية وسعة [illegible] ومن لازم ذلك عدم الطمأنينة لقبول هذه الألواح التبديل والتغيير فلا [illegible] يكون عنده [illegible] .

المرتبة الثالثة : أن لا يكون له اطلاع على اللوح المحفوظ ولا على لوح المحو والإثبات كغالب الناس فمثل هذا لا يسلم قلبه من الاضطراب بعد بذل مجهوده وإن زال مهما [illegible] رزقه ليلا ونهارا وسكن من همه [illegible] على

أهل هذه المرتبة أن حمل أعباء خدمة رزقه مكفر لذنوبه اهـ نقله العارف الشعراني رضي الله عنه في الفلك المشحون ، ثم قال وعلى هذا التقرير لم يسلم أحد من اضطراب قلبه في أمر رزقه سوى الأنبياء عليهم السلام . وأما غيرهم فإن حفت خدمة العناية الربانية فقدت منه صفة الاضطراب عن الاستعمال وإلا فلا بد من الاضطراب اهـ .

قلت فكان الشيخ رضي الله عنه من أهل المرتبة الأولى وممن حفته العناية الربانية فتعطلت منه صفة الاضطراب فكان شأنه في هذا الباب من أعجب ما رآه الراؤون وأغرب ما سمعه السامعون حتى كأنه من أعاظم ملوك الدنيا وأكابر أغنيائها لا يهتم برزقه أصلا ولا يفكر في أبوابه ولا يذكره على لسانه مع أنه لا يملك دينارا ولا درهما ولا دارا إلا التي يسكنها ولا أرضا إلا ما ورثه من أبيه وقد سامح فيه لإخوانه مع أنه شيء لا يذكر بالنسبة لبعض الأولاد وعظم نفقة الشيخ ولا يزرع ولا يتجر ولا له وظيفة ولا مرتب ولا معلوم إلا قدرا بسيطا كان يأخذه من الأوقاف في بداية أمره وتدريسه مما لا يكفي لمصروف وقت واحد فضلا عن يوم كامل فضلا عن شهر كما هي حالة الأوقاف بالمغرب لا لضعفها وقلة وفائها بحقوق أهلها ، بل لفساد ولاتها واستئثارهم بها . هذا مع ما كان في بيت الشيخ رضي الله عنه من العائلة الكبيرة المؤلفة من أزيد من عشرين نفسا دون الضيوف من النساء والرجال الذين لا يخلو يوم واحد منهم من اثنين وثلاثة إلى عشرة وعشرين ، ومع كونه لا يلتفت إلى ما يحصل في البيت من إسراف وتبذير مفرطين بحيث ما كان يستهلكه أهله من أنواع المطعومات ونوازلها ضعف أضعاف ما يستهلكه مثلهم في العدد في بيوت الأغنياء وأهل الدنيا ومع كونه أيضا لا يدخر قوت أسبوع فضلا عن شهر فضلا عن سنة بل كل يوم بنفقته وكثيرا ما يتفق أن يكون عنده من الضيوف ما يزيد على العشرة بل والعشرين ويصبح وليس في البيت مطعوم أصلا ولا عنده كذلك دينار ولا

درهم وهو فرح مسرور غير مهتم بشيء كأن خزائن البلد عامرة برزقه
وملكه وربما زجر من يذكر له ذلك أو يذكره بالضيوف بل إذا أصبح
دخل إلى مكتبته وجلس على المطالعة فلا يغير وجهه حتى يفتح الله بكل ما يلزم
وأكثر منه وأحيانا إذا دخل الضيوف أرسل يستدين ما يلزم لطعامهم وربما
يستمر على ذلك الحال الأسبوع والأسبوعين والشهر الكامل فإذا فتح الله
أدى ما عليه ومع كل هذا فكان أهله لا يأكلون إلا اللحم والسمك
والبيض ونحو ذلك من فاخر الأطعمة التي لا يدركها كل يوم إلا الأغنياء
وهذا هو الذي حير الناس في أمره حتى كانوا يظنون به الظنون الكاذبة
ويقولون إن الدول تنفق عليه لأنه ما كان يتحرك في شيء ولا يسيح في
المدن والقبائل كما يفعله شيوخ الوقت ولا يخرج من بيته أصلا مع هذه
النفقات الكثيرة وهذا أيضا هو الذي كان يثير عليه حقد الدولتين الفرنسية
والأسبانية لأن كل واحدة منهما كانت تتهمه بالميل إلى الأخرى وخدمة
مصالحها وكونها هي التي تنفق عليه

وقد جاءه مرة بعض حكام الأسبان فقال له ذلك الحاكم نحن
نظن أنك تأخذ الدراهم من فرنسا لتكون معهم فقال له الشيخ وهل
آخذ منكم دراهم قال لا قال فكذلك لا آخذ منهم لأنهم يقولون أيضا
إني آخذ منكم لأكون معكم فإن كان زعمهم أني آخذ منكم المال حقا
فيمكن أن يكون ما تقول حقا أيضا وحيث إنك تعلم أني لا آخذ منكم
شيئا وأن زعمهم باطل فكذلك زعمكم أيضا باطل

وسأل مرة بعض كبار المتصدرين للمشيخة بالمغرب بعض قرابة الشيخ
رضي الله عنه فقال له كم من زوج يحرث الشيخ فقال له ما حرث طول
عمره ولا بزوجة واحدة ولا يملك مزرعة ولا ثورا ولا بقرة ولا بيتا وإنما
هو من المتوكلين على ربه فقال له هذا لا يمكن فإن ما نسمعه عنه من النفقات
الواسعة لا يتيسر إلا لمن عنده على الأقل حرث زوجين زوجا أو أكثر فقال

له الواقع هو ما أخبرتك به وأنه لا يصنع من أسباب الرزق شيئا فما كاد يصدق وقوفا مع العادة والأسباب ونظرا الى حاله وحال أمثاله من الشيوخ والعلماء .

وقال بعضهم للشيخ رضي الله عنه مرة يا سيدي لو خففت من [illegible] الذي في نفقتك فان [illegible] حمل ثقيل و توقف شديد فقال له إن سفينة لا تستقيم سيرها في البحر وتأمن من تلاعب الرياح بها حتى تكون عامرة مثقلة

وبالجملة فحال الشيخ رضي الله عنه في هذا الباب من أغرب الأحوال وأعجب لا يكاد [illegible] الى حال أهل وقت [illegible] من رجال المتقدمين أشبه من المتأخرين فقد ذكر العارف الشعراني رضي الله عنه أنه كان له [illegible] معه [illegible] وأنه كان يدخر كل سنة نحو عشرة قناطير من عسل النحل وعشرين قنطارا من عسل القصب وثلاثين إردبا من القمح و[illegible] إردبا من الفول وسبعة أرادب من الأرز وخمسة وعشرين إردبا من الحمص والعدس وخمسة قناطير من تمر وخروب وغير ذلك من أشياء أخرى فالشيخ [illegible] كان يدخر [illegible] أكثر منه وكان يأتيه كل سنة من الحطب ما يكفيه للطبخ طول العام الى غير هذا من [illegible]

ومع هذا فقد ذكر [illegible] رضي الله عنه أن ذلك [illegible] لم تتعلق [illegible] الشيخ رضي الله عنه [illegible] الى [illegible] الطمأنينة والثقة بالله مع عدم [illegible] لفوت [illegible] فضلا عن [illegible]

[illegible] وأما توكله فكان على الحال الأكمل عند أهل الله [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] مطرحا على باب مولاه على الدوام والاستمرار مستسلما لأمره معتمدا عليه في سره وجهره فلا يهتم بأمر الرزق ولا [illegible] ولا [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] بل كان يرى نفسه هو وعياله ضيوف الحق سبحانه [illegible] من [illegible] وتوكلا على الله حق توكله

في جميع أحواله شديد [illegible] وعافية وبلاء لا يستدعي طبيبا [illegible] مرض ولا
يستعمل في [illegible] دواء وكان عوتب في مرضه [illegible] يستدعي له
الطبيب مرض أبو بكر فقيل له ألا نستدعي لك طبيب فقال الطبيب
أمرضني يعني الحق سبحانه وتعالى لأنه الطبيب الحقيقي وهو الذي أنزل
في المرض وهو الذي [illegible] وهذا [illegible]
الكمل من العارفين بالله

وكان دائم [illegible] ولو [illegible] ان كان [illegible]
الاحكام الجلالية و [illegible] واحتجاب [illegible] عن الخلق [illegible]
على شوامخ الجبال لذلك

وكان لا يحب [illegible] على [illegible] من كان [illegible]

وكان يقول [illegible] العارف المحقق لا [illegible]
[illegible] أن يكون في [illegible] يكون [illegible]
وذلك لفنائه عن نفسه [illegible]
أقداره اهـ .

[illegible]

ومنهم [illegible] وكان [illegible] لا [illegible] في [illegible] شيء [illegible] من
مال وأرض وعقار وكتب وثوب [illegible] وغير ذلك بل كان عطاؤه للالف
كعطاء غيره بالقرش الواحد [illegible] من ذلك لكثيرها [illegible] لم تكن
تساوي في عينه شيئا وكان لا [illegible] ولم [illegible] يعرف ذلك [illegible] في
زهده وتوكله ويكفيك انه كان يستدين [illegible] سائله [illegible]
دون أن سأله

وكان في [illegible] لا [illegible] الذين يسعون [illegible]

والأقمشة والأحذية [illegible] كل واحد [illegible] واضحين لا سيما
أواخر عمره فإنه مكث سنين وأعواماً [illegible] يوم لا يكون مديناً
لهم مع أنه دائم الدفع لهم حتى توفي وترك [illegible] من عشرة آلاف [illegible]

وكان يقول من استدان فليستدن على [illegible] لا [illegible] تؤدى عنه

أما إذا دخلت [illegible] دنيا كثيرة [illegible] في [illegible] كان النبي
صلى الله عليه وسلم [illegible] المهدي [illegible]
[illegible] ولا [illegible] لا [illegible] اشترى [illegible]
[illegible] والمائة
[illegible] كان [illegible] من ذلك

[illegible] كان [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible] فحدث عن [illegible] ولا حرج فقد
[illegible] المنحرفين عنه أنه كان لا يمسك
[illegible]
[illegible]
[illegible]
هي التي يبذل فيها ما بيده لغيره

حكى لي من أعتمد صدقه من [illegible] في بعض الأيام [illegible]
ظهر عليها أثر القدم [illegible] أخرى [illegible] بالطريق [illegible]
[illegible] هذا الخلاصة [illegible]
[illegible] أخرى ثم [illegible]

وألححت عليه أن يلبس في الحين فأجاب سؤالي فاستبشرت بذلك ولكن بعد يومين رأيته عاد إلى القديمة فسألت عن السبب فقيل لي خرج من الدار فلقيه غريب ادعى أنه شريف وتمنى الجديدة لو يعطيه إياها فساقه معه إلى الدار وخلع الجلابية فدفعها اليه ولبس القديمة

وجاء رجل يشتكي إليه بعض غرمائه وهو من الأشراف قائلا إنه اشترى مني زريبة بثمن وذكر عددا له بال وقال [illegible] ووعد أن يأتي بالثمن فلم يفعل فدخل إلى الدار وأخرج له ما كان حاضرا عنده ووعده بالباقي مع أنه لا [illegible] ولا [illegible] الزريبة وهذا خلق لا يعطيه الله تعالى إلا لأخص الخلق إليه ولأجل ذلك كان لهذا السيد الجليل مكانة عظيمة في نفوس الناس لا [illegible]

وحضر يوما لذكر مع أصحابه فتواجد حتى سقطت عمامته فقسمت بالمراسم بين الفقراء [illegible] من أهل [illegible] عادة الصوفية [illegible] ثوب الحي حال التواجد في أحد من ذلك الحال [illegible] الفقراء إلى غير ذلك مما هو كثير ولا شك أن [illegible] وقد شاهدنا من حوله ما هو غريب [illegible] مرورا [illegible] يكون [illegible] فرحة [illegible] ذلك من عظيم [illegible] وهذا مقام عظيم لا يقوى عليه إلا من قواه الله ثم إنه لا يرى فضلا [illegible] ولا [illegible] إلا قليلا وإن كان في الواقع كثيرا بل [illegible] والقليل عنده سواء كما شاهدنا ذلك من حاله

ودخلت عليه يوما فأخبرت [illegible] من تقسيم [illegible] محمد صديق حسن خان القنوجي [illegible] في [illegible] في [illegible] المنزل وجهه [illegible] وهو في أربعة مجلدات بطبع الهند وهو قليل الوجود بالمغرب كما أكرمني مرة أخرى بكتاب معالم الزهراء في نسب بني الزهراء وهو مجلد [illegible] وهو [illegible] سيدي [illegible]

السلطان مولاى عبد الرحمن بن هشام وهذا المؤلف هو المادة العظمى والعمدة الكبرى لابى العلاء المصيبى الموفى فى سنة اربع وعشرين وثلاثمائة وألف فى كتابه الدرر البهية فى انساب الحسنية والحسينية المطبوع بفاس فى مجلدين اه .

وقال فى السمات وكان رضى الله عنه على حال عظيم ، ووصف كبير فى الكرم والسخاء ، والبذل والايثار قد سبق فى ذلك المنتهى ووصل الى الدرجة القصوى يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ولا يلتفت الى ما اعطى ولا يرى له قيمة لما كان عليه من الزهد فى الدنيا والاعراض عنها والنظر اليها بعين الاحتقار قد استوى عنده ذهبها وترابها .

وكان لا يرد سائلا سأله شيئا كائنا ما كان ان كان ذلك موجودا عنده وان لم يكن عنده استدان واعطى او وعد السائل ووفى بالوعد وهو فى كل ذلك يرى المنة والفضل للسائل .

وكان يطعم الجائع ويكسو العريان ويعين المدين ويغيث الملهوف وكان لجم الغفير من الناس معدودين فى عياله وتحت نفقته ونحوه لا سيما من كان من الشرفاء وقرابته فانهم كانوا يترددون عليه فى غالب الايام فيسد خلتهم ويشبع جائعهم ويحترم ايامهم ويزوج عزبهم ويدفع اصدقتهم ويدر عليهم الرزق الواسع ويتوسط فى قضاء حوائجهم عند الحكام من سلطته ومكانته ، فكان هو المتكفل بجميع شئونهم ذكورا واناثا صغارا وكبارا .

وكانت مائدته على الدوام مبسوطة للصادر والوارد وقل يمر عليه يوم من غير ضيوف فقد كانت تتوارد عليه الجماعات من الفقراء وغيرهم من قبائل مختلفة للزيارة وغيرها فيكرم نزلهم ويحسن ضيافتهم ويطعمهم الطعام الجيد الواسع ويجالسهم ويسامرهم بالمذاكرة فى العلوم والمعارف العجيبة والاسرار

الرمانية والفواكه الطرية في كل الفصول ويصبر نفسه معهم طول اقامتهم فلا يمل ولا يضجر حتى يغادروا حضرته اهـ . وكان الطعام للضيوف في الاقصر يبتدىء من وقت الضحى ولا ينتهي الا الى ما بعد الظهر لتوارد الضيوف واحدا بعد واحد وجماعة بعد اخرى بحسب الوصول من البر والبحر في الأوقات المختلفة وكان [illegible] ثم يبتدىء طعام الغداء من قرب العصر الى ما بعد العشاء بكثير

وكان شديد الاهتمام بالضيوف والاعتناء بشأنهم فاذا قدم ضيف أو ضيوف لا يهدأ باله ولا يستريح في مكانه حتى يطعموا ويشبعوا ويشربوا الشاي وكان يأمر الخدمة أن لا يقدموا الطعام الى الضيوف حتى يعرضوه عليه هو في محله ليرى [illegible] أن يكون قليلا لا يكفي أو غير مناسب للواردين وربما وقف بنفسه [illegible] أو [illegible] خوفا من التأخر و [illegible]

وكان الشريف كريما وجوادا يحب الكرماء والاجواد على أي حالة كانوا ويرجو لهم الخير العظيم من الله تعالى ويعتني بشأنهم ويفرح بهم غاية الفرح ويقضي حاجاتهم ولو كانوا على غير قدم الاستقامة ويقول إن السخي محبوب عند الله تعالى ولا بد أن يرحمه الله ويختم عليه بخير [illegible] هذا الوصف الحسن [illegible] ويستشهد على ذلك بالأحاديث الواردة في فضل السخاء والأسخياء

وكان يتعجب من حال أهل العلم وميلهم الى الدنيا مع أن العلم يقتضي العمل به وقد أمر الشرع الشريف بالسخاء والبذل والايثار وذم البخل وحب الدنيا أشد الذم وكان يقول على سبيل المباسطة ثلاثة من عجائب الدنيا العالم الكريم والحاج الصادق و [illegible]

وكان لا يطالب أحدا بحق له عليه بالمطالبة [illegible] عليه أحده والا

لم يخاطبه فيه أصلا فكان يعطي بعضهم الشيء يبيعه من كتب وغيره فيأخذ ثمنه أو بعضه فلا يكلمه في ذلك ولما حج توقف جماعة من الذين في رفقته لاتمام نفقة الحج فاستقرضوا منه وبما يرجعون إلى وطنهم فما أدى من جماعة إلا اثنان أو ثلاثة والباقي لم يدفع ما عليه ولم يكلم واحدا منهم إلى أن لقي الله ولما توجه الى الحج اكترى داره التي كان يسكنها رجل من التلاميذ الأحمدية فاستمر فيها بعد رجوع الشيخ ثمانية عشر عاما لم يدفع كراء ولا خطر ذلك له ببال واشترى دارا في قريته كان نازلا بها مدة شهر فلما سافر وكل الفقراء من أهل تلك القرية لتكون زاوية لهم يجتمعون فيها لذكر الله فمن فتقدم واحد منهم وباعها وأخذ ثمنها لنفسه فلم يكن عنده من كلمة ولا سأله عن الدار بعد ذلك وهو أيضا من أبناء الذين أسعد بوادي شيخ فالحجر فلم يدفعوا ما عليهم وكم هذا من نظير بل غالب معاملاته كانت من هذا القبيل وكل هذا الشيء من سقوط الدنيا في نظره مع الكرم والحلم وعظم حق المؤمن وأخوته عنده فانه كان من أشد الناس مراعاة لحقوق الأخوة والصحبة يستهين في جانبها بكل شيء ويترك من أجلها كل حق من حقوقه وحقوق عياله ويذكر دائما الحديث إن الله يسأل عن صحبة ساعة.

وكان يعطي المحتاج من غير سؤال ولا ظهور أثر الحاجة عليه بل كان يعلم ذلك كشفا وفراسة فكثيرا ما يرسل لرجل شيئا وهو في بيته من غير أن يكون ذلك الرجل معروفا بالسؤال والاحتياج فيوافق ذلك منه ساعة الحاجة وضرورة إلى القدر المرسل من الشيخ رضي الله عنه وكذلك يأتيه القاصد لزيارة فقط فيبادره الشيخ بالعطاء من غير سؤال ولا طلب.

وحدثني الشريف محمد نور الدين قال كنت مع الشيخ يوما فجاء لزيارته بعض تلامذته من أهل البادية فحدثه الشيخ مدة وسأله عن بعض كتب كان جلبها من القاهرة [illegible] ثم لما استأذنه في الخروج قال له [illegible]

ودخل الدار وأتاه بعشرة ريال وقال خذ هذه هدية منا فصار الرجل يقبل يده ويقول أشهد أنك ولي لله تعالى موافق ما جئت إلا لهذا القدر احتجت إليه ولم أجد من نفسه وعلى الحياء أن أطلبه منكم .

وكان إذا أهديت له هدية ومعه جليس شاركه فيها أو دفعها إليه بتمامها وهو الأكثر من حاله سواء كانت الهدية كتاباً أو ثوباً أو مالاً وسواء كان الجالس فقيراً أو غنياً محتاجاً أو غير محتاج ، بل كانت ترد إليه الكتب التي أوصى على شرائها من ماله من مصر أو فاس فإذا أدخلت إليه الخدم الكتاب من البريد صادف أن كان معه أحد من أهل العلم دفعه إليه ولو كان ذلك الكتاب موجودا عند ذلك الزائر .

وقال صاحب حادي الرفاق كنت مع الشيخ يوما فجاءه فقير من فقرائه وهو عروس قد تزوج على يد الشيخ فأعطاه أربعة ريال هدية فرمى لي بريال منها وقال الجليس شريك فجعلته في صندوقي تبركا به فكان سببا في ادرار الرزق علي ولا زلت والحمد لله في سعة من ذلك الوقت اهـ .

فصل

وأما الحلم والعفو والصفح والاحسان إلى المسيء فهو فرد زمانه فيه على الاطلاق لا يوجد في الدنيا من يدانيه فيه فضلا عمن يماثله أو يساويه فقد كان لا يتصور الانتقام لنفسه ولا يخطر له ببال ولا يعرف الغضب لنفسه وحقوقه أصلا سواء أوذي في نفسه أو عرضه أو ماله أو ولده أو خادمه أو قرابته وسواء أقل الشخص من الاذاية أو أكثر أو بالغ أو قصر أو دام طول حياته أو اقتصر على برهة من الدهر بعيدا كان أو قريبا ضعيفا كان أو قويا كل ذلك عنده في الحلم والعفو والصفح عنه وإكرامه واحترامه واعظامه والبر به سواء فما كان مع من يعنته ويؤذيه ويسعى في هلاكه إلا كما يكون

الولد البار مع أبيه من ما يكون من المبالغة في الاحترام والمراعاة ويتحمل في ذلك المشاق عادة إلا مع هذا النوع لأنه كان يعلم من المحب الصادق ثبوت المودة وإخلاص المحبة الموجبة لسقوط الكلفة فكان يقوم بحقوق الأخوة والمحبة على قدر مقامه وما أكرمه الله به من جميل الأخلاق لكن لا تكلف فيها كما يتكلف للعدو المبغض الحسود فإنه لا يتأخر عن مقابلته ولو كان مريضاً ولا يصرفه إلى وقت آخر ولو كان مشغولا ويبادر إلى قضاء مطالبه وحاجة رغبته من توسعة وشفاعة وكل ما في الدنيا من أجله وحكاياته ونوادره في هذا الباب لا تدخل تحت الإحصاء ولا بد لأن غالب من كان يعامله من أهل منحة هم من هذا القبيل لكثرة حسدهم وعداوتهم وشدة بغضهم ونفورهم من أهل الفضل

لا سيما الشيخ رضي الله عنه فإنهم ما تركوا من أذايته إلا ما لم تصل طاقتهم إليه وقد ذكر في فصل احترامه ومحبته لأهل العلم وفصل احترامه ومحبته لأهل البيت وغيرهم حكايات من هذا القبيل

ونورد في هذا الفصل بعض القصص مما لا يزال نذكرها وهو قطرة من بحر ومثال يعرف لما وراءه ولما كان عليه الشيخ رضي الله عنه في هذا المقام

فمن ذلك أن أحمد المريمي الشلحي وهو رجل مسن ذو لحية بيضاء وله حظ من العلم وتظاهر بالصلاح دسه الفرنسيون عندما حصل الخلاف بينهم وبين الشيخ وادعى أن الغيرة الإسلامية وحب الانتقام والتظاهر بالعداء للكفار حثه على مخالطة الشيخ والسكون من جملة أصحابه مع أنه تجافى الطريقة وهم قوم لا يرون الفضل في غيرهم وغير طريقتهم ويبغضون كل الطرق الحقة إلا ذوي الفضل والعقل منهم فصار يلازم مجالسه ويداومه كل يوم صباحا ومساء ولا يفارقه إذا خرج لدعوة دعي إليها أو غير ذلك فمن صار أمره له

من خلفه ثم انتقل من دار سكناه [illegible] الى دار [illegible] الشيخ الطاهر
معه لفرط حبه وتعلقه وتحرص من شدة مراقبة حركاته والسكنات و[illegible]
[illegible] وكان كل من [illegible] الفقراء من [illegible] ومد يده الى حزامه فان وجد عنده
مسدسا [illegible] رجال [illegible] من اي شيء هو [illegible]
عنده سلاحا لامه على [illegible] واحد [illegible] في ذلك [illegible]
على [illegible] السلاح [illegible] ولا يعلن والواقع انه يحصي من معه سلاح
من الفقراء [illegible] السلاح [illegible] واحد منهم ويرفع ذلك الى السيادة
[illegible] الفقراء كافة [illegible] اسرارهم [illegible]
الاعلان والواقع [illegible] والجاسوسية [illegible] في ذلك لجبته
[illegible] بالقرآن [illegible] من الشيخ
الذي كان لا يفارقه أكثر أوقاته وكان [illegible] بعض [illegible] لدى
الحكام لا سيما الذي [illegible] الوسعة [illegible]
وكان الشيخ رضي الله عنه [illegible] في قصده [illegible] وانه
كان [illegible] على [illegible] بالاجتماع مع [illegible]
ليرفع له ما رآه من [illegible] الشيخ [illegible] حق [illegible] وصدق وكذب
على عادة الجواسيس [illegible] ان [illegible] لاغراض
المتعلقة بالعمل [illegible] وعن هذا الجاسوس
على [illegible] كما هو [illegible] الى [illegible] عقب
صلاة الصبح [illegible] بعض الفقراء [illegible] على باب دار العبد بن
عبد الصادق [illegible] من الدار [illegible] الرجل
ليتحقق منه [illegible] ولا [illegible] له ثم بعد صلاة الفجر [illegible]
إلى الشيخ [illegible] الخبر وكان [illegible] من مراقبة الشيخ فقال له الشيخ رضي
الله عنه [illegible] ولا [illegible] من

الفقراء وكان فى هذه [illegible] لسه حجة [illegible] الحكام المسلمين الذين فيهم غيرة [illegible] لا [illegible] الفرنسيس [illegible] او [illegible] بحلالا [illegible] اما [illegible] اليه وقت الطعام [illegible] يشترى له [illegible] فى [illegible] ويتحصه [illegible] من [illegible] عنه كل ذلك وهو ظان [illegible] والشيخ متحقق من حاله وعارف بأمره من طرق [illegible] فى قضيــة طنجة المشهورة التى [illegible] وهى [illegible] عن [illegible] باذن من القائد عبد السلام بن عبد الصادق [illegible] وشهدهم فى عريضــة قدموها للسلطان [illegible] الشيخ [illegible] الفرنسيس [illegible] الشيخ والفقــراء وخدمة الدين [illegible] المجلس جاء جماعة من [illegible] الى الشيخ فخبروه [illegible] خروج عن دين أهــل البلد وأن [illegible] الفرنسيس [illegible] صحة وقالوا [illegible] الفرنسيس [illegible] قبل [illegible] الشيخ [illegible] قد [illegible] فلان وفلان [illegible] فقال [illegible] على تلك العريضة [illegible] هذا [illegible] وكانوا [illegible] فكيف [illegible] ثم [illegible]

أيضاً جماعة آخرون فصرحوا أنهم لم يزالوا حظوظهم ... بالموافقة ولم
يروا من قال فعند ذلك أنزل الله في قلبه الدهش والرعب والخوف من الفقراء
فصار الشيخ يطلبه ويفتش عنده ويوجه خلفه وهو في كل ذلك غير آمن ولا
مطمئن من فرق الدست الذي كان فيه بجوار بيت الشيخ ووضع إلى بستان بعيد
من البلد واختفى به ، ثم لم يطمئن نفسه حتى خرج من طنجة وقصد مدينة
الرباط يسكنها ونجاه الله تعالى من غير ما معاملة له بما قصد به الشيخ كما
نجى الله صاحبه الذي لا يزال مقيماً إلى الآن ، ثم المريسي فأنزل الله به
من الذل والمهانة والفقر والحاجة ما يستحقه المنافقون أمثاله إلى أن مات وهو
خلاف ... وشدة ... فقطع دابره من طنجة نسأل الله السلامة والعافية
من النفاق والكذب والخيانة وعداوة أهل الله ورزقنا حسن الفهم
عنه آمين

ومن ذلك أن رجلاً يعرف بالصحراوي أرسله بعض الظاهرين في الوقت
في عامه واتفق معه ... الوصول إلى المملكة ببغض الشيخ لأنه كان يظن
أن أمره لا يتم مع وجود الشيخ الذي كان دائماً يعترض في ولايته على القبائل
لا سيما القبائل المهربة ... حوزه ... حتى كان ... حجاج المغرب
فجاء هذا الرجل ودعي أنه من ذلك الاسم الذي زاد فتنه فأتوه الشيخ
وأنزله بستانه مع الفقراء ملازمين وبقي مدة يحيى المرض ثم لما طالت به
المدة انحدر داراً قرب منزل الشيخ وسكنها ثم صار يختفي يومين وثلاثة يذهب
فيها إلى صحبه ثم يعود والشيخ على علم من ذلك وهو يشفق عليه ويواسيه
إلى أن سلط الله عليه رجلاً ضربه بخنجر عدة ضربات أثخنه بها جراحاً فمرض
ونغيب فافتضح وعرف حاله بورود من أخبر بحقيقته فلم يعد إلى
أن مات .

ومن ذلك أن عبد الكريم بن دريس الطنجي كان من عدول طنجة
وأبناء أعيانها وكان من عداوة الشيخ والمجاهرة بها على ما عليه أمثاله فأكثر

من شهادة الزور وارتكاب الجرم ثم فطرد من الشهادة فافتقر وساء حاله ثم صار يتردد على الشيخ فيواسيه ويكسوه فلما اشتهر بكثرة تردده اليه ومجالسته اياه جعلته الادارة جاسوسا يأتيها بأخبار الشيخ فكان يفترى عليه ويلصق به من الجرائم السياسية ما يناسب عداوته الباطنية وقلة دينه الظاهرة ثم صار يصرح بذلك للشيخ ويقول انا آكل الخبز بالكذب عليك فيقول له الشيخ لا تؤذ أحدا من المسلمين ولك الاذن منا أن تنسب الينا ما تشاء وجاء اليه يوما فكساه جلابة جديدة اشتراها من دكان وألبسه اياها فخرج بها وذهب إلى الادارة ، وقال لهم الآن جئتكم من الشيخ تركته وقد جاء إليه السفير الفلانى وأبرم معه كذا وأمارة ذلك انه كسانى هذا الثوب وجاءه اليه يوماً آخر يطلب منه ان يكتب له كتابا لرئيس الجواسيس ليزيد له فى أجرة الجاسوسية فكتب له ذلك فخرج بالكتاب لرئيس المذكور ورفع من مرتبه وكلما ازداد الشيخ اليه احسانا ازداد هو اليه والى داره اذاية واستمر معه على حاله الى ان لقى الله ونحى الرجل بعامل الحاله عما كان يعامل به الشيخ نحو اربعة اعوام إلى ان جن ونقل إلى المارستان ومات به على شر الاحوال ووقع يوم ثالث دفنه ما فيه عبرة وذلك انه اتفق أن مات رجل يوم موته هو لكنه دفن بعيدا عنه فى مقبرة أخرى فلما كان يوم ثالثه أرسل بعض قرابته شيئا من الطعام لحلة القرآن ليقرءوه على قبره ويأكلوا الطعام فأخذه الجاسوس إلى قبر ذلك الرجل الذى مات معه وأنزلوه عنده فاجتمع عليه الطلبة وقرأوا وأكلوا الطعام وعند فراغهم منه وصل طعام صاحب ذلك القبر من عند أهله فأكلوه أيضاً وقرأوا عليه ثانية وهكذا صرف الله عنه بركة قراءة القرآن العظيم عند قبره

ومثله رجل يسمى عبد السلام كريش قربه الشيخ وأحسن اليه وآواه نحو سبعة أعوام ثم تعلق به أن يتوسط له فى وظيفة مع الحكام ففعل ثم صيروه جاسوسا فاتى إلى الشيخ ما لا يتصور من أنواع الاذاية والافتراء ولا يز .

حاله كذلك مع أمثاله إلى اليوم قطع الله دابره وعجل هلاكه وراحة المسلمين من اذايته.

ومثل هؤلاء من الجواسيس الذين كانوا يتواردون عليه ويعاشرونه ويجالسونه ويدعون أنهم يريدون عين الخير ومنهم من كان يباسطه الشيخ ويصارحه بذلك ويقول له لا تتحول من هذا بل اشتغل وحدك من التكسب لتعود عليك وعلى عائلتك بالنفع بشرط أن لا تؤذي مسلماً ولا تكذب على أحد غيره ولولا الحياء من الله تعالى ولولا دوام الستر على هؤلاء لسميتهم منهم جماعة لا يزالون على حالتهم ومنهم من أزال الله بهم غفلته وصرفهم عن هذه المهنة شر منصرف وبيد الله عاقبة الأمور

ولما رحل إلى القاهرة لحضور مؤتمر الخلافة كتب في اليوم الذي أصبح فيه بالقاهرة رجل رجوعاً يدعي أنه وراق مقيم بالإسكندرية مقالاً في جريدة تنسب فيها الشيخ رضي الله عنه إلى أمور قبيحة يريد بذلك استفزاز معارضيه ضد المصريين ولم تمض ساعات على ظهور المقال حتى عرف الشيخ أنه للرجل المذكور ثم إنه بعد ذلك ممن شد الرحلة من الإسكندرية لمقابلة الشيخ والسلام عليه وإكرامه وفرح به جماعة كلما كان يتردد إليه بنزول بيته بالقاهرة ثم إن ارتحل الرجل إلى الإسكندرية ومرض فنزل الشيخ بها في طريق عودته إلى المغرب سأل عنه فقيل له إنه مريض فقال لا بد من عيادته فذهب إليه يعوده مع أنه لم تسبق له به معرفة ولا رآه قبل هذه المرة فعاجله بالإذاية قبل أن يجتمع به ومن مرضه ذلك كانت وفاته سامحه الله ورحمنا وإياه.

وذهب مرة بعض القضاة الذين كانوا يجهرون بعداوة الشيخ إلى المرسيجي وقال لهم كيف تتركون أمر ابن الصديق وأصحابه ادفعوا إلى جماعة عسكرية أن ألقي القبض عليه وأهدم زاويته ثم اتفق بعد ذلك أن جمع الشيخ به فقال لقد بلغني أنك قلت كذا ولو جئت إلي لذهبت معك إلى منزلك دون أن يكون معك عسكري واحد فخجل القاضي وتاب

وبالجملة فحال الشيخ رضي الله عنه في هذا الباب من أعجب الأحوال وأخباره فيها من أغرب الأخبار وإن كان كل حاله عجبا .

ومن هذا القبيل ما وقع له مع بعض محبيه من العلماء ، حدث في قضية عظم أمرها لدى الحكام وكان ذلك المحب مطلعا فيها على الحقيقة ومشاهدا للواقع فيها فجمع الشيخ بمندوب السلطان وعرفه أن الأمر خلاف ما هو عندهم وأن الحق بيده واستشهد بصديقه العالم المذكور ، وكان مجلس المندوب غاصا بدائرته من العلماء والسكنة فلما حضر ذلك الصديق أنكر أمام الشيخ أن يكون عنده علم بما قال فسكت الشيخ ، وفهم أن الرجل خاف لأنه كان من الموظفين فلما رجع إلى منزله أتاه ذلك العالم المحب وقال سامحني فيما فعلت فإني علمت أنك تقبل معذرتي وهم لا يقبلون فما أردت ذلك إلا محبة فيه وإخلاصا لصداقته وتكاد هذه القصة تكون أعجب من كل ما مضى لأنها مسقطة لجاه المرء مصرحة بتكذيبه ومبطلة لدعواه في الموضع الذي يجب فيه انتصاره بإثبات حجته ودعواه .

قال في نفحة التحقيق : وأما حلمه وصفحه عمن كان يؤذيه فبالمكانة القصوى والمنزلة الشماء العليا لا يحقد على أحد ولا ينتقم ممن يؤذيه ولو تمكن منه أو وجد إليه سبيلا وحسبك مثلا أعداؤه ممن سعدوا من تبرؤوا عنه حتى من كانوا يتظاهرون بالاختصاص به والنسبة إليه وفي الحقيقة كانوا ضده وهم عليه وإني لأعرف جلهم عينا واسما وصفة ووصفا .

ولو كان هذا موضع القول لاشتفى
فؤادي ولكن للمقال مواضع

فكانوا في صدور من شهدوا فيه وهم زهاء المائتين ولم تكن شهادتهم إلا بالافتراءات والاختلاقات وتزويقات وتلفيقات تولى كبرها من هو الآن لا رفيق له سوى عمله وليس له واق من جراء سوء فعله في حر ما فعل .

فصـــل

وكما كان الشيخ رضي الله عنه متخلقا بهذا كذلك كان يدعو إليه ويحث دائما عليه فلا يأتيه مظلوم يشتكي غيره في نفس أو عرض أو مال إلا ويأمره بالصبر والاحتمال وكف الأذى ومقابلة الإساءة بالإحسان ويقول للمشتكي أطع الله فيمن ظلمك وتعدى عليك بالإعراض عنه وتحمل الأذى منه من حيث عصاه فيك بتعديه عليك فإنه ما قابل أحد من عصى الله فيه بمثل أن يطيع الله فيه وتمثل أمره بالعفو والإحسان ويفوض أمره إلى الله تعالى وهو سبحانه يتولى نصره والانتقام له بما لا يقدر هو على مثله مع سلامة الدين واكتساب الأجر والمحمدة ويقول للمشتكي أتبع أمري بالإعراض عنه وجرب ما أقوله لك فإن لم تر انتقام الله تعالى لك من عدوك فتب على ذلك فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا فإذا أحسنت العمل باتباع السنة والعفو والصفح فلا بد أن يتولاك الله وينتقم لك من عدوك ويؤيد هذا ما ورد في أخلاقه صلى الله عليه وسلم من الأحاديث مع حكاية الحال فلا يقوم المشتكي من بين يديه إلا وهو فرح مسرور قد طابت نفسه وأعرض عن صاحبه مفوضا أمره لله وربما سامحه ابتغاء مرضاة الله

فصـــل

وكان رضي الله عنه في التواضع بالمنزلة التي يكون عليها أمثاله من أكابر الصوفية والعلماء العاملين لا يعرف الكبر والعظمة ولا يرى لنفسه أمام أهل الفضل والدين مرتبة يخدم الضيوف بنفسه ويقدم لهم الشيء بيده ويجالس المساكين وذوي الخصاصة والأملاق والثياب الوسخة ويتذاكر معهم في شؤونهم الخاصة حتى كأنه واحد منهم ويخرج بالثياب المتواضعة ولا يلبس

الثياب الرفيعة الحسنة ولو أهديت إليه ولا يتميز في الجلوس عن اخوانه
ولا يحب التميز عن الناس في شيء أصلا

قال في [illegible] هذه التحقيق وأما تواضعه فكان بمكانة التي كنا نستحي
منه فيما يتعلق [illegible] واتصف [illegible] وعلى الأقل نقبل رأسه
ولا سيما إن كان ثم أحد من أهل الفضل والدين وربما قدم النعل بيده
الكريمة عند وداعه ويبدي من خصوصياته في [illegible] ما يوقعني في
الخجل حتى أقف عنه وربما شكى [illegible] حتى [illegible] في أمرني
لكن أعود بمشي خلفه [illegible] كان [illegible] مع غيري وبالحقيقة إن
ذلك من [illegible] مع الكبير والصغير والجليل والحقير [illegible]
هذا الوصف [illegible] الذي لا [illegible] لا [illegible]
الدين هو الذي جعله من أفاضلهم رضوان الله عليهم أجمعين ونفعنا بهم
آمين اهـ

وقال في [illegible] وأما تواضعه رضي الله عنه فكان تواضع المحققين
من أهل [illegible] وأرباب [illegible] ممن [illegible] في [illegible] وتنوروا [illegible]
وشهدوا عظمة علام الغيوب فكان يتواضع مع الكبير والصغير ويخص
[illegible] بمزيد التعطف والتوجيه [illegible] أرباب الخمول ورثاثة الملبس
ممن لا يقصدون [illegible] ولا يعرفون [illegible] فكان يقابلهم بمكارم
الأخلاق ومزيد الاقبال والتعظيم ولا [illegible] منهم كلاما ويظهر لهم
البشاشة ويتعرف [illegible] لوجهه ويبشر عليهم [illegible] الاحسان ويؤانسهم
ويؤاكلهم ويحادثهم [illegible] يدخل عليهم السرور ويزيل عنهم الوحشة [illegible]
وترى منه معهم من البشر وطلاقة الوجه وانشراح الصدر [illegible] الكلام
مالا تراه منه مع غيرهم وهكذا كانت معاملته [illegible] مع آل البيت والعلماء
وأهل الفضل [illegible] يعظمهم ويخدمهم ويتواضع معهم ويتصاغر دونهم ويبعد
عن [illegible] رؤيتهم وينسى حقوقه في حقوقهم بل لا يرى لنفسه وجود

معهم . ومن جملة تواضعه رضي الله عنه تواضع العارفين وخضوع الأولياء
الكاملين لا تكلف فيه ولا تصنع ولا تخلق بل كان خلقاً مجبولاً عليه ،
وهو التواضع الحقيقي الناشئ عن شهود عظمة الحق من جلاله الذي يغيب
صاحبه عن شهود تواضعه وهو وراثة نبوية من سيدنا وجودنا صلى الله عليه
وسلم كما في أخلاقه ه

قلت ومن تواضعه أنه كان لا يؤم الناس في المحافل والمجالس ، بل يقدم
من حضر من أهل العلم والفضل حتى من الطلبة الصغار في السن إذا لم يوجد
غيرهم . وكان لا يحب من يمدحه بالنظم والنثر ولا يترك من يريد قصيدة مثلاً
في مدحه أن ينشدها ولا يظهر ذلك لأحد ولا يذكره بعد ولو كان يترك تحت
يده ما قيل فيه من القصائد والأمداح ولم يحرقه جمع من ذلك الشيء الكثير .
وكان لا يتقن لعله ، وأصحاب المسجد وإن طلبوا ذلك منه وألحوا
عليه فيه من موضع معهم ويقول لهم غير محتاجين إلى أمثالنا ويعظم من
شأنهم ويصغر من نفسه حتى يقوم ذلك الشخص من عنده وهو متقيد به
حائز الكمال قصبة وكان ، وهذا خلاف عرف طائفة المتشيخين من أهل
العصر فإنهم يفرحون غاية الفرح إذا تمسح بل يدعون الناس إلى الأخذ عنهم
وربما يتقدم الرجال وهو كاره لذلك ويدعوه إلى ترك من أخذه عن غيرهم
فلديهم رغبة في كثرة الأتباع وحب الرياسة والظهور ، وكذلك كان لا يتظاهر
بالكرامات تواضعاً وسكوناً ورغبة في الخفاء وعدم الظهور إلا ما أظهره الله
تعالى على يديه من غير اختيار ولا قصد إلى ظهوره بل كان يذم ذلك ويعده
من الرعونات والنقص في مرتبة الكمال .

قال في هادي الراغبين بعد حكاية كرامات صدرت على يديه ما نصه مع
أنه رضي الله عنه كان لا يتظاهر بكرامة ولا يميل إلى شيء من ذلك .
وكان يقول الولي إذا كان يريد ظهور الكرامة على يديه فهو لا يزال
ناقصاً ، وكثيراً ما كان يقول لنا في مجلس المذاكرة نحن لسنا بشيوخ وإنما

لهم الفقراء، وإنما نحن مجتمعون للتعاون على عبادة الله تعالى وذكره على قدر الطاقة ويرد همة أهل الوقت اه

ومن تواضعه أنه كان كثير الاستشارة مع أصحابه بل وخدمه وأولاده الصغار في بعض شئونه ولا ينفرد برأيه في الإقدام في شيء وإمضائه دون مشورة إلا في القليل النادر مع أن الذين كانوا يجاورون عتبته أحوج للمشورة منه في أمورهم المهمة ويرشدهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم لا من طريق حسن الظن وإصابة الرأي فقط بل ومن جهة الفراسة الإيمانية والكشف النوراني فكثيراً ما كان ينبئ قوماً عن مزاولة أمور هي في الظاهر وما يبدو للناس في بدئه الموافقة للصواب ثم بعد ذلك يتضح منه ما لم يخطر لأحد على بال ويرى أشياء مما يثقل على النفس ويظن أنه بعيد عن النجاح فيكون فيه الخير العظيم والبركة التامة وقد تأخر قوم عن إشاراته بعد استشارته فما أفلحوا ولا أنجحوا بل وقعوا في المهالك والمعاطب ومع هذا فكان هو لا يقدم على أمر إلا بعد استشارة امتثالاً لأمر الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما كان يلازم الاستخارة ويحث عليها دائماً ويبالغ في الأمر بها ولا يحب من أحد أن يقدم على أمر هام دون أن يقدمها بين يديه، لا سيما أهل العلم والمنتمين إلى طريق أهل الله.

فصل

ومن تواضعه وحبه للخمول وإيثاره الخمول على الجاه والرياسة والظهور اختياره السكنى بمدينة صحة على غيرها من المدن ومع معرفته وصيته الذي لو أقام به مع ما ناله وأسلافه من الشهرة والجاه وسمو الكلمة ومع ما أكرمه الله به من المواهب والعلوم والأسرار والمعارف وجميل العشرة ومكارم الأخلاق لحصل له من

الشهرة والجاه والخير العميم وقبول الخلق مما لم يحصل لغيره وقد تعلق به أهل
فاس وكذلك أهل الاسكندرية والتزموا سكنه الزاوية والقيام بجميع الشئون
فريقين لأن قسماً منهم الذي لا يعرف فيه قدره والذي يزداد [illegible] به عداوة
وغضباً ومحاربة وحسداً كل [illegible] وارتداده فصلى الله عليه و[illegible] وشهر
ذكره وعظمة [illegible] كما هو شأنهم مع جميع أهل الفضل من الأشراف والأولياء
والعلماء فقد أقام الشيخ رضي الله عنه بين أظهرهم خمساً وثلاثين سنة [illegible]
[illegible] ذكرها [illegible] وحمدت [illegible]
[illegible] الأشراف والعلماء [illegible] لم يكن
[illegible] الأسباب من [illegible]
[illegible] لا
[illegible] والعصر
[illegible]
[illegible] كافر
[illegible]
[illegible]
[illegible] لدى الحكم [illegible] حقوقهم
[illegible] لا حقيقة [illegible]
[illegible] الناس [illegible]
[illegible]
[illegible] الأدب [illegible]
الوجود [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لـلكلمة ووفود الجن مع الفقر والحاجة والذلة والمهنة ونجى الله من يوفق [illegible]
ذلك وخرجه من وطنه و[illegible] عقوبته على عدم شكر نعمته وجحد [illegible]
سارية في عقبهم [illegible] يوم القيامة على أن الله تعالى [illegible] و [illegible] سعده
الأولياء الأكابر [illegible] لأمة محمدية [illegible] الأنبياء والمرسلين [illegible]
تعالى فيهم

قال القطب [illegible] مولانا ابو الحسن [illegible] [illegible]
الله تعالى في [illegible] عليهم الأذى [illegible]
من [illegible] والرو [illegible]
قال [illegible] الله عز وجل [illegible]
جعلوا الله تعالى زوجة [illegible] وقالوا [illegible]
أغنياء حتى إذا [illegible] من كلام [illegible]
تعالى أما لك في سورة [illegible] في [illegible]
بجلالي وعظمتي [illegible] ذلك [illegible]
ولذلك [illegible] الأشياء [illegible]
والسحر وغير ذلك مما هو مشهور [illegible]

وحكى العارف تاج [illegible] عن [illegible]
عنهما أنه كان يقول لا يكمل [illegible] حتى [illegible]
وملامة الأصدقاء وطعن الجهول وحسد العلماء فان صبر [illegible]
يقتدى به [illegible]

ومن [illegible] وصف [illegible]
هذه الأيام وهو في مجلس جرى فيه ذكر الشيخ [illegible]
بـ[illegible] المدة التي [illegible] لكان [illegible]
لا يعرف قدره

فصل

وكان رضي الله عنه شديد الحياء لا يكاد يكلم أحداً وهو ينظر إليه إلا في ساعة المذاكرة لعظيمه أو فيما هو من خاصة أحبابه وخلانه ولا يواجه أحداً بمكروه ولا يرد أحداً في شيء يريده أو يمتنع من حاجته أو مراده ويتحمل ضجر الثقلاء وكثرة كلامهم وإساءتهم المجلس ولا ينصرف عنهم حتى يكون أحد منهم هو المنصرف بنفسه ولا يحرج أحداً في قول ولا يرد عليه كلاماً ولا يكذبه في خبر أو حكاية ولو تحقق كذبه .

قال بعض المحققين كان شديد الحياء من الله في حضوره وكثيراً ما يقف ولا يكاد يرفع رأسه لا يصرف هيبته ورأيته كالميت ورعاً لا يرى داخل عينيه .

وكان لا ينظر على فراشه لا بسبب أحد عمره فقد حضر كان على غاية من الأدب والكمال والتواضع في حديثه وهيئته وكلامه

وكان على أدب كامل مع الله تعالى ومع شريعته المطهرة وسنة نبيه المشرفة ومع جميع عباد الله تعالى في سكناته وحركاته فلا يخرج عن طريقة الآداب الشرعية في شيء أصلاً فلا يمد رجليه لا مع الناس ولا منفرداً وحده لا في حالة الصحة ولا في حالة المرض ولا ينام على ظهره ويجعل إحدى رجليه على الأخرى ولا يجلس جلسة المترفين أو يتكئ على أحد جنبيه وإنما كان يجلس متربعاً أو محتبياً لا سيما وقت مطالعته .

وكان يتأدب مع كتب العلم في وضعها وترتيبها فلا يضع كتب النحو أو والتاريخ أو الأدب على كتب الفقه والتصوف فضلاً عن حديث أو تفسير بل كان يضع كتب التفسير أعلى ثم يلي تفسيرها كتب الحديث ثم الفقه والتصوف ثم الكلام والأصول ثم النحو واللغة والأدب والتاريخ وإذا رأى محل تفسير

او حديث تحت محل نحو [illegible] ووضعه في [illegible]

وقد دخلت يوماً فمررت على بعض [illegible] الذين يدعون العمل بالسنة فوجدت بين يديه كتباً كثيرة فيها النهاية لابن الأثير في غريب الحديث والقاموس وغيرها وكان يصحح [illegible] خطيب [illegible] وهو واضع [illegible] القهوة [illegible] فوق تلك الكتب يشرب [illegible] عن ذلك فقال لم [illegible] فيها شيئاً ولا [illegible]

ودخلت يوماً على بعض من يدعي انه شيخ الطريقة الخلوتية فاذا هو رجل جالس على كرسي [illegible] كثيراً من [illegible] عليها [illegible] لا [illegible] على الارض

[illegible]

وكان رضي الله عنه [illegible] كثير [illegible] حسن الظن [illegible] وصدق كل [illegible] لا [illegible] احد بكذب او تدليس [illegible] محمولاً على ذلك [illegible] الاخلاق [illegible] ولا [illegible] حسن الظن [illegible]

وكثيراً ما كان يرد عليه المشايخ [illegible] بالمقامات العالية والكرامات الكثيرة وحضور الديوان ونحو هذا فيصدقهم فيه [illegible] على مقتضى دعواهم من الاجلال والاكرام اللائق بصاحب تلك المرتبة وان كان [illegible] فيها [illegible] وراء ذلك [illegible] انه [illegible] في مقام [illegible] لا في حضوره ولا في غيبته بل يسلم ذلك ولو تحقق في نفسه بكذبه [illegible] غاية بالستر على الكذابين المدعين [illegible] الطريقة او [illegible] من [illegible] ويجيب عن ذلك [illegible] من الاعذار ما لم

يكن ذلك مخالفاً للشرع خارجاً عن حدوده . وقد ذكرت في الأصل عدة حكايات وقعت له في هذا الباب

وكان ستيراً على أهل المعاصي فإذا اطلع من أحد على شيء لا يفضحه ولا يذكر ذلك لأحد بل يغض الطرف عنه كأنه لا علم له بشيء وإذا اقتضى الحال زجره فعل ذلك بلطف في خلوته من حيث لا يطلع عليه أحد وزجره ونبهه حتى كان كثير من خدمه وأصحابه وأولاده يخافون من اطلاع أحد عليهم على شيء ولا يخافون من اطلاع الشيخ لتحققهم ستره عليهم وعفوه عن جناياتهم دون غيره .

وكان يغفر حقوق أصحابه وإخوانه من جميع الوجوه ولا يتشوف هو لأن يقوم أحد بحقوقه ولا يعتب على أحد في تضييع حق من حقوقه أو إساءة أدب معه أو هفوة صدرت منه وإن عظم أمرها وتكرر وقوعها ويقول لمن يذكر له شيئاً من ذلك إن الناس اليوم يرون لهم حقوقاً على غيرهم ولا يرون لغيرهم حقاً عليهم فالواجب علينا أن نقوم بحقوقهم امتثالاً للسنة المحمدية وعملاً بأخلاق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ننتظر من أحد أن يقوم بحق وإلا قاسمنا الجميع وأعرضنا عن الكل وعاملناهم لأن هذا وصف عالمهم وما بذلك أمرنا الله .

وكان يقول الناس كلهم يحتاجون إلينا ونحن نرجو الله تعالى أن لا يحوجنا إلى أحد منهم .

وكان إذا كثرت عليه الشكايات بالفقراء وتكررت لديه الأخبار عنهم بما يسوء يقول لم يبق اليوم فقراء وإنما هم قفراء بتقديم القاف على الفاء .

ويقول في حقهم أيضاً : إن الفقراء فيما مضى كانوا فقراء فلا يطلبون ثم صاروا فقراء يطلبون ، وأما اليوم فيطلبون بلا فقراء .

وكان يتأسف لموت أحد من إخوانه في الله ومجالسيه ويبكي بكاء شديداً

لا سيما في أواخر عمره فإني رأيته يبكي عند موت بعضهم بكاء شديداً وينتحب نحيباً يسمع من بعيد كما يبكي الرجل على والده وأمه وأعز أولاده لكثرة محبته و[illegible] لإخوانه وخلانه

وكان يحب موافقة السنة في كل شيء ويسعى جهده أن يحصل له كل ما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم ويحث على هذا ويدله العمل به ويحكي عن الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي رضي الله عنه أنه أخذ يوماً طفلا فبال عليه ففرح بذلك وقال [illegible] ذلك وقال الحمد لله هذه آخر سنة لم يكن [illegible] فقد [illegible] لأن [illegible] هذا حصل [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] وكان الشيخ يحب كل ما كان [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] من الأطعمة كالدباء ونحوه [illegible] ورد [illegible] كان [illegible] لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان [illegible] ودرعه مرهونة عند يهودي

ومحبته في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وموافقته سنته اختار الله له موافقته في كثير من أموره [illegible] فتزوج قبل وفاته بشهر ونصف أو نحوه بزوجة لم يدخل بها لأنها زفت إليه في رمضان وكان الضعف ومرض القلب الذي مات منه قد اعتراه [illegible] إلى أن مات في سادس شوال ، وكذلك تزوج النبي صلى الله عليه وسلم قتيلة بنت قيس الكندية قبل وفاته بشهرين وقيل في مرض موته وقيل في ربيع الأول ولم يدخل بها لتأخر قدومها عليه إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم .

ولما حج الشيخ رضي الله عنه كانت وقفته بالجمعة كما كانت وقفة النبي صلى الله عليه وسلم مع أن الشيخ خرج للحج قبل شهور ذلك لأن خروجه من وطنه كان في شعبان كما سبق .

وتوفي الشيخ رضي الله عنه وعمره دون ما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ذلك كذلك

وقد تزوج على زوجته الأولى بعد أن ماتت ثم أخذ بعدها زوجات متعددات وكذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم فقد تزوج على خديجة رضي الله عنها إلى أن ماتت فأخذ زوجات متعددات

وكانت زوجته الأولى فاضلة عاقلة صالحة ذات مناقب وكرامات كما كانت خديجة رضي الله عنها ذات مناقب جمة وفضائل عديدة

وكان [illegible] شيء [illegible] الصلاة كما كانت [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم فكان يخرج ما [illegible] و [illegible] وقضى [illegible] الله [illegible] وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

وكان يكرم الجار ويرعى حرمته ويحفظه على أي حالة فقد كان له جار مفرط الخمر والإسراف على نفسه [illegible] الصالحين فلا تلين قناته لأهل [illegible] [illegible] عن رحمة الله [illegible] وما سجد لله سجدة قط [illegible] [illegible] والإسراف كأن تتبعه [illegible] فكان الشيخ رضي الله عنه يكرمه من هذا الجار ويرعى حق جواره لأنه كان ملاصقا له ولما توفي خرج [illegible] والصلاة عليه [illegible] يكرهون الصلاة من هو دون الشيخ على من هو أحسن حالا من هذا الجار سامحنا الله وإياه وشملنا جميعا بفضله ورحمته

وكان يتورع من حديثه ولو كان [illegible] لوضع المكشوف فكان جماعة من أتباعه وأقرانه يبغضون أولاده وأقاربه بحكم طبيعة البلد التي نبتت مؤخرا وهو ذهاب الحقد والحسد في القلوب كما ينبت [illegible]

فى كثير منهم أنه يعلم كذبهم وعزمهم من أول مرة على أكل المال وعدم رده إلى أربابه ليدفعه الشيخ من عنده ولا يحصى من كان يعامله بمثل هذا وهم على قسمين . منهم من كان يعتقد أنه لحذقه ودكائه يخدع الشيخ ويغره لسلامة صدره وصفاء نيته . ومنهم من كان يعتقد أن الشيخ غير مخدوع فى الواقع وإنما يتظاهر بأنه قد انخدع لارضاء الخادع ومع ذلك فكان يعامل الشيخ بطريقة المكر والخداع لغلبة ذلك على طباعهم مع قلة حيائهم .

وقد روى البخارى فى الأدب المفرد وأبو داود والترمذى والحاكم والبيهقى وغيرهم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم » يعنى أن المؤمن المحمود فى الفعال والخصال من كان سمته الغرارة وقلة التظاهر بالفطنة للشر وترك البحث عن الأمور وليس ذلك منه جهلا وغباوة بل تجاهلا وتسامحا لكرم أخلاقه وحسن طبعه . والفاجر من أخلاقه الخبث والدهاء والتوغل فى معرفة الشر والحذر لدناءة طبعه ولسوء أخلاقه وفقده الكرم من نفسه .

قال بعض العارفين كان عمرى العمل فان الفاروق رضى الله عنه يقول من خدعنا بالله انخدعنا له . فاذا رأيت من يخدعك وعلمت أنه مخادع فمن مكارم الأخلاق أن تنخدع له ولا تفهمه أنك عرفت خداعه . فاذا فعلت ذلك فقد وفيت الأمر حقه لأنك إنما عاملت الصفة التى ظهر لك فيها والانسان إنما يعامل الناس لصفاتهم لا لأعيانهم فاذا عاملته بما ظهر منه كنت مؤمنا حقا. والمؤمن غر كريم لان خلق الايمان يعطى المعاملة بالظاهر اه .

وقد نص العارف الشعرانى فى الأخلاق المتبولية على أن هذا من أخلاق العارفين وكمل الرجال كما نقلته فى الأصل . وعلماء الوقت يسمون مثل هذا مغفلا وعبيطا جهلا منهم بالسنة وإعراضا عن العمل بها . نسأل الله السلامة والعافية عنه .

فصل

وكان يضع السبحة فى عنقه إذا خرج ويمسك بيده العصا الطويلة المستقيمة ذات الزج كما هى سنة الأنبياء عليهم السلام وورثتهم من الصوفية العرفاء رضى الله عنهم لا العصى القصيرة المعكوفة الرأس كما يمسكها علماء مصر بيدهم زينة وتكبراً وافتخاراً وتشبها بالنصارى لانها من سنتهم التى تبعهم فى جميعها علماء مصر ، نسأل الله اللطف والعافية .

وكان فى بداية أمره يجهر بذكر الله فى الشوارع ويأمر بذلك الفقراء كما كان يأمرهم بحفظ القرآن وتعاهد دراسته وتلاوته .

وكان يحث الفقراء وطلبة العلم منهم ومن غيرهم على الاشتغال بالحرف وتعلمها والتكسب بها وبالتجارة ويقبح لهم البطالة جدا ويبالغ فى ذمها وذم الكسل والاتكال على الناس . ويقول ان ترك الحرفة والتجارة يؤدى بالعبد والفقير الى أن يأكل بدينه أو يتذلل لاهل الدنيا أو يدخل فى الوظائف الحكومية مثل القضاء والشهادة ونحوهما مما يهدم الدين جملة ويقضى عليه بالكلية . ويقول لان يبيع طالب العلم الفحم والنعناع فى الشوارع خير له من الدخول فى القضاء والشهادة .

وكان كثير الاهتمام بأمر الامة شديد الشفقة عليهم قد بذل كل ما فى وسعه وطاقته لنفى الشر عنهم والتوصل إلى أسباب انقاذهم مما هم فيه . فلما أعياه أمرهم وعلم أن مراد الله منهم ما هم فيه أقبل على شأنه وأمر الفقراء المتجردين فى الزاوية بدوامة قراءة سورة يس صباحا مع الوظيفة بنية الفرج على الامة ودفع البلاء عنها . وبذكر اسمه تعالى اللطيف كل ليلة لهذا الغرض أيضا وترك ما كان يسعى فيه من الاسباب الحسية الظاهرة لذلك لبلوغه مقام الكمال فى المعرفة بالله تعالى .

وقد ذكر [illegible] الشعراني في [illegible] المشحون أن من أخلاق [illegible]
من العارفين [illegible] على [illegible] عدم الاهتمام [illegible]
مشاركتهم في [illegible] الحق لهم [illegible] وشفقته [illegible]
لا [illegible] حقوقهم وذلك [illegible] على مقام [illegible] في كل [illegible]
[illegible] في ذلك [illegible] الشق الاول [illegible] من حديث [illegible]
[illegible] بعد عملهم بظاهره وهو مقام عزيز على من يتبعه
[illegible] ذلك أن هـذا الحديث يحتمل أن يكون المراد [illegible]
ليس [illegible] على وصف الله ويحتمل أنه ليس [illegible] على وصف المدح كما هو
[illegible] الاسلام [illegible]
[illegible] لا [illegible] ان الله ما [illegible]
[illegible] ذلك [illegible]
[illegible] لا [illegible]
[illegible]
[illegible] وشيخ الاسلام [illegible]
[illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible]
[illegible] من اهل عصره
لا [illegible]
[illegible]
[illegible] من الحضرة [illegible]
[illegible]

[illegible]
والمخالفات [illegible]

في آخر عمره بخلاف ما كان عليه في بداية أمره فإنه كان كثير التعرض لذلك
في دروسه وخطبه ومجالسه بقصد تغيير المنكر والتنبيه عليه وذلك أيضا من كمال
المعرفة [illegible] وهو مقام عدم الاعتراض على شيء من الأقدار الإلهية ولو
[illegible] كما ذكر [illegible] الشعراني قال وهو مقام عزيز لا [illegible] فيه
لأمر [illegible] على اللوح المحفوظ فعرف ما سبق به العلم الإلهي .
[illegible] الاعتراض منه حملة سيدي [illegible] وصاحب هذا الاطلاع
عرف أن ما سبق به العلم الإلهي لا يطلب تغييره لكونه على أعلى مراتب
الكمال كما أشار إلى ذلك الغزالي رحمه الله تعالى بقوله ليس في الإمكان
أبدع مما كان ؛ لأن جميع ما برز في الوجود ما برز إلا على أكمل مراتبه
التي سبق بها العلم عنده [illegible] كاشف [illegible] اعتراض وهو يشهد
أن ما برز في الوجود أكمل مما يطلبه هو بعقله

وسمعت سيدي عليا الخواص رضي الله عنه يقول من علامة صدق من
اطلع على ما سبق به العلم الإلهي في اللوح المحفوظ أن لا يأمر الناس ولا
ينهاهم إلا بقدر ما فيهم من الجزء البشري الذي هو مناط التكليف لا يزيد
على ذلك ذرة ولا ينقص [illegible] أنه يمدح من زاد على غيره في الطاعات أو
ذم من زاد على غيره في المعاصي فإنما هو من حيث الجزء البشري كذلك
انتهى . ولا يشهد صاحب هذا المقام أن العبد لا يقدر أن يزيد ولا ينقص مما
قدر له أو عليه . ثم أصل القول في ذلك وهو مقام الشيخ رضي الله عنه
ومشهده لأنه كان يقول لبعض من تقع منه المخالفات من جواره استتر بستر
الله ولا تبد شيئا للناس فإنهم لا يعذرونك ولا عليك من اطلاعنا فإنا
نعرف مراد الله منك ولا نلومك على شيء صدر منك حتى يكون الله تعالى
هو الذي يظهر لنا مراده .

وسمعته مرة يقول لبعضهم : والله لو دخلت على سكران يتمايل ما تغيرت
مني شعرة واحدة عليك لأنا أعلم ما في الأمر وما هو الواقع ولذلك كان

متبرماً على أهل المعاصى بارا بهم كما قدمناه .

وكذلك كان فى بدايته يكثر التعبد ويتقشف على قدر حال الوقت ثم فى نهايته ترك ذلك وصار لا يزيد على الفرائض فى الصلاة والصيام وربما صام يوم عرفة ونصف شعبان فى بعض الأعوام الا قيام الليل فانه لم يتركه أصلا وما كان يأتى عليه ثلث الليل الأخير الا وهو قائم وربما قام فى منتصف الليل وهذا أيضاً من كمال المقام فى المعرفة بالله تعالى كما هو معروف عند أهله .

وكان يفرح بكثرة كلام الناس فيه ويضحك اذا سمع الجرائم العظام التى ينسبها اليه أهل بغضه وعداوته ويبالغ فى إكرام من يرد عليه من المتكلمين فيه . وقد رأى بعض الشيوخ الصالحين من أهل فاس الشيخ رضى الله عنه مقاماً عظيما فسأل عن سبب وصوله اليه فقيل له كثرة كلام الناس فيه وهذا أيضاً من أسرار اختياره السكنى بطنجة والله أعلم .

الباب السادس

فيما أكرمه الله تعالى به من الخصائص والمزايا وخصه به من عظيم المنن وجزيل العطايا

فمن ذلك جمال صورته الظاهرة والمعنوية وكمال لذاته الجسمية والروحية أما جمال الصورة المعنوية وهو ما [illegible] الله به من الأخلاق المحمدية وزينه به من الأوصاف [illegible] فقد [illegible] شرح بعضها في الباب الذي قبله وأما جمال صورته الجسمية فقد [illegible] الله فيه بكمال الذات واعتدال القامة مع ميل الى الطول شيئا قليلا ووسط الجسم فلا هو سمين كثير اللحم ولا هو رقيق بين العروق ولطيف [illegible] مستدير الوجه في الاعتدال كحيل العينين أسودهما طويل الأشفار [illegible] واسع الصدر [illegible] أبيض اللون مشربا بحمرة [illegible] لأنه شاب و[illegible] كهولته وكان [illegible] الخصال [illegible] وبهجة في أعلى جبهته [illegible] للجسم من أثر السجود جميل الأطراف سليم الأعضاء واسع الصدر [illegible] بين المنكبين واذا مشى أسرع في مشيته ومشى قصداً لا يلتفت يمينا ولا شمالا اذا ماشاه أحد يتعب في المشي من حيث يكون هو مسرعا لأنها مشيته العادية

ومن ذلك [illegible] الهيبة التي لم نرها على أحد من أهل عصره لا بالمشرق ولا بالمغرب حتى كان لا يستطيع أحد أن يكلمه وهو ينظر اليه من هيبته وكان [illegible] في الطريق فلا يشعرون بأنفسهم الا وقد [illegible] ولما كان بالقاهرة والاسكندرية كان لا يمر بشارع من شوارعهما الا [illegible] اللهم صل على سيدنا محمد استعظاما لبهائه وجلالته [illegible] في وصف الشيخ الكامل رضي الله عنه :

[illegible]

[illegible] إلى غرفة المقابلة فلما دخل [illegible] ثم عادت

وخرجت في الحال

[illegible]

[illegible]

وهكذا حال جميع الكمل من العارفين كما [illegible] الشيخ الكامل

من كلام العارف [illegible] رضي الله عنه

ومنها الحرية وعدم الخوف من المخلوق فكان [illegible] الحق ولا يخاف في الله

لومة لائم ويصدر [illegible] وما يريده معارضة [illegible] ونصر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وقد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كل شيء
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
معارضة الشيخ الدولة [illegible]
[illegible] شيوخ المغرب [illegible] خضعوا
[illegible]
الشيخ [illegible]
حاكم فاس الفرنسي بول اوديتو مقالا نشره في جريدة لا [illegible] وكان تاريخ
سابع عشر ابريل من سنة سبع وعشرين وتسعمائة والف عنوانه مولاي التقي
ذكر فيه أن جميع شيوخ المغرب خضعوا [illegible] الا الشيخ الدرقاوي بطنجة

وقد نقلت عن مقابله و الأصل مع عدة قضايا ووقائع في هذا الباب و بالجملة
فما رأيت ولا سمعنا من يعامل الحكام ويواجههم بما يكرهون إلا الشيخ
رضي الله عنه فإنه كان صبورا دوما على الصدع بالحق وعدم الخوف من المخلوق كما
كان يشهد له بذلك الموافق والمخالف .

ومنها كمال الصيانة وتمام الحفظ والرعاية فإنه على كثرة عداته وحساده ولا
سيما بمصر وكثرة ما كانوا ينقمون عليه من العظائم في السياسة بل كل من
الدولتين وأنه دائم السعي في إثارة الفتنة التي يقصدون بها الجهاد مع ما كان
يأتيه هو من مخالفتهما والدعوة ضدهما لم يسلط الله عليه أحداً ولم يصرف فيه
مخلوقا ولم يمس بسوء أصلا وقد جاء إليه يوما أحد أصحابه مرعوبا فأخبره
بما حصل من الاحتكاك بين الفقراء والبوليس وأن الأمر قد كاد يصل إلى تحكيم
البارود فقال له الشيخ لا يحصل شيء من ذلك فإنا بحمد الله محفوظون
لا تصيبنا أذية مخلوق وكذلك كان فما كان كما أراد من غير أن يتصرف فيه
مخلوق أصلا وحتى إن ضريبة المباني التي يدفعها كل أحد من الناس وأصدرت
الأمر بأن لا يدفعها طول حياته وورد أمر من السلطان أخيراً بإعفائه خاصة
من دفعها

ومنها حفظه من الذنوب من صغره وكونه نشأ في طاعة الله تعالى
لم تحصل منه صبوة في شبابه ولم تجر منه مخالفة في صغره إلى موته كما
كان يذكر ذلك عن نفسه تحدثاً بنعمة الله تعالى عليه وكما كان يذكره أقاربه
من أقرانه ومن كان أكبر سناً منه ممن نشأ معه من صغره .

ومنها كون نعمه مكتفية عند غير مشكورة ولا مذكورة ادخاراً لثوابها
عند الله تعالى دلالة على كمال إيمانه وكونه من أهل ولاية الله تعالى ورحمته فإن
أكثر من ناله فضل الشيخ وإحسانه لم يشكر ذلك ولا كان يعترف به لا سيما
وقد مكنه الله بالمدينة التي هي معدن هذا المعنى ومنبعه

وقد روى الحاكم في المستدرك بسند صحيح من حديث سعد بن أبي وقاص

رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المؤمن مكفر يعني يصنع المعروف فلا يشكر

وروى ابن ابي الدنيا من مرسل عروة قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً على رجل يأتي اليه معروف فقال اني اصطنعه به واتكه يكفره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رحمة الله على المكفرين هكذا وبسط يده

وروى ايضاً عن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحمة الله على المكفرين تارة ومنهم يوم القيامة وقال المؤمن مكفر

ومنها حال اصحابه معه من كمال الادب ومزيد الاجلال وعظيم الهيبة والاحترام لا يتقدمون بين يديه في شيء ولا يتأخرون عن امتثال امره في شيء واذا كانوا في مجلسه فكأنما على رؤوسهم الطير لا يرفعون اليه اعينهم هيبة وجلالا فضلا من ان يتكلم احد منهم وهو ينظر اليه وهذا فضل من الله تعالى ومنة منه عليه وفي ذلك غريب جداً في اهل هذا القرن

ومنها كشفه الصريح وكثرة الكرامات التي جرت على يديه كما سيأتي ذكر بعضه في الباب الذي بعده

ومنها حفظه وسعة اطلاعه وتبحره في العلوم الظاهرة والباطنة واستحضاره الذي لم يعهد له نظير من اغلب اهل عصره

ومنها علو مقامه في المعرفة بالله تعالى ووقوعه رتبة القطبية كما اشعر به كثير من اولياء وقته وصلحائه بل كان هو نفسه يشعر الى ذلك في اواخر عمره

حدثني بعضهم انه كان جالساً مع الشيخ رضي الله عنه فقال له ان واحداً من الناس مكث في القطبية خمساً وثلاثين سنة ثم الى القطبية الفردية [illegible] قال فقلت له هذا مقام كبير لا يكاد يوجد في هذا العصر فقال بل هو موجود

في وقت [illegible] في نفسه

[illegible] في معرفة ومقام [illegible] رضي الله عنه [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] ثم تبعه الفقراء [illegible]

وحدثني [illegible] سيدي الحاج [illegible] بن عجيبة [illegible] لا يكاد [illegible] الوقت وهو سيدي محمد [illegible]

وحدثني من ذهب حياً الى بعض الأولياء وكان متحيرا على من [illegible] بعض [illegible] ولا الى فلامة [illegible] الكون كله

وحدثني [illegible] بعض [illegible] والأخبار بالمغيبات في [illegible] من تلامذة سيدي الحاج عبد الله بن عجيبة فقال له [illegible] كله [illegible] فمن أراد شيئا فعليه بسيدي محمد بن الصديق ثم بعد هذا [illegible] مقالة جماعة ممن قصدوه

وحدثني بعض طلبة العلم قال لما ذهبت لطلب العلم بفاس ذهبت في صحبة

[illegible] محمد [illegible]
[illegible] كان [illegible]
[illegible]

ولما كان [illegible]
كان الشيخ [illegible]
[illegible]
الشيخ [illegible]
على [illegible]
مولاي [illegible] شيخ [illegible]
[illegible]
محمد [illegible]
[illegible] مولاي [illegible]
[illegible]
الله [illegible]

وكان [illegible]
[illegible] لا [illegible]
[illegible] وكان [illegible]
[illegible] محمد [illegible]

[illegible] لا [illegible]
[illegible] لا [illegible]

فصـــــل

وأختم هذا الباب بما عثرت عليه من مكاتب شيوخه وشيوخ العصر وأوليائه في مخاطبته وذكر بعض القصائد التي قيلت فيه .

وكتب إليه من المدينة المنورة الشيخ الإمام العارف القدوة المحدث سيدى محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله تعالى ورضي عنه وهو أستاذه وشيخه في العلم : أخونا وسيدنا الشريف الإمام العلامة الصوفي الهمام وحيد الدهر وفريد العصر العارف بالله الذاب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم السالك مسالك الصدق والتصديق أبا عبد الله مولانا محمد بن الصديق

وكتب إليه من دمشق شيخ الطريقة الشاذلية بها الولي الصالح سيدى محمد ابن يلس رحمه الله : كعبة الحقائق القدسية ومعدن الرقائق الانسية بحر العلوم اللدنيه وكنز الأسرار الربانية شمس المعارف ومجمع اللطائف العارف بالله تعالى سيدى محمد بن الصديق

وكتب إليه شيخ الطريقة الشاذلية العلامة المحقق البارع سيدى مفضل زرات : حياك الله بتحيات قدس كماله وزكيات أنس جماله مطلع الشمسين ومرج البحرين العارف الواصل ذا المدد المتواصل الجامع لأشتات الفضائل العلامة الناصح الولي العارف الكبير أبا عبد الله سيدى محمد بن الصديق الغمارى الحسنى

وكتب إليه من فاس الشيخ المربي العارف سيدى محمد الحلو الفاسي : شمس وقتنا وعروة طريقنا وريحانة الله في أرضنا مربي المريدين وقدوة السالكين وقطب دائرة المحققين الشريف العالم الولي الكامل العارف بالله والدال عليه بأقواله وأفعاله وأحواله الجامع بين التشريع والتحقيق سيدى محمـد ابن الصديق

وكتب اليه العلامة القاضي احمد بن شعيب الادموري : الحضرة الربانية والبهجة العرفانية الشيخ الامام العربي بالله العالم الخاشع الخاضع الشريف الرباني أبا عبد الله سيدي محمد بن الصديق فذكر كلاما يظهر معناه من الأبيات الآتية ثم قال وأقول لكم :

ياسيدي الشيخ محل الصالحين ومن ... في صالح القول والأعمال قد نشأ
يا دروة المجد تسدد للطريقة يا ... من في السماء رؤي وللسما قد رقى
دا العبد آله حزن ضربه ... وإن نحو نصرة منكم فقد برأ

وكتب اليه العالم الأديب الفقيه الكاتب بالنيابة السلطانية السيد محمد العلاوي إلى من لا يطمع زرع كاتب في عداد بعض كمالاته ومن تقصر ألسن الفصحاء عن التعبير عن حصر ما من بديع صفاته من لا نسميه إجلالا وتكرمة لقدره المعلى عن ذلك يكفي ذكره بهداء أطيب تحية وسلام وتقبيل اليد الكريمة التي تسيل من بحورها أودية الانعام فذكر كلاما ثم قال

من أصدق الناس عن حي القديم تجد ... مصونه لم يزل في القلب محروسا
فكيف أنسى وتنسى لعهد حاشا وقد ... حست طوعا عليك القلب تحبيسا
لو لم يدم شخصكم في الفكر مرتسما ... لكان مانع نجحي صار محسوسا
وإن نحل مانع عن وصلكم فعسى ... يكون خيرا لنا وللعدا بوسا
وليس من عجب قرب الديار ولم ... نصل وغيري اليك عنتق العيسا
في المقادير أسرار تحجبت عن الا ... دراك قد حجبت في الغيب تقديسا
لعل من قد قضى بالبعد يعقبني ... حظا أحوز به قربا وتأنيسا
ويبدلني ذاك المقضي عافية ... تؤسس الصدق في الأعمال تأسيسا
بجاه جدك من شق الأمين فؤا ... ده وأخرج منه حظا إبليسا
عليه والآل أفضل التحية ما ... أضحى ودادكم في القلب مغروسا

وقال الأديب الفاضل السيد عبد الله بن محمد الهاشمي الوراني موريا بلفظة

وأنت لهذا العصر نور يضيئه   ويقصر عن علياك مدح القصائد
فحمداً لمن أعطاك منه مواهباً   تفوق على الإحصاء رغم الأحاسد

وقال الأديب محمد بودقه المكناسى

عزمت على نحو إلحاق سعى   فعزت عما هويت من المعالى
لمست بأصبع قمم التسامى   ونلت من المراد كل عالى
وطنب الخمس وخ المعالى   فأرغمت الأنوف ولم أبالى
وشوك فى عيون أعلم شاو   أمرى دونه لمس الهلال
كانت غاية من آى رقى   تسامى نحوها هم الرجال
وكم وقت لك الأسرار سعى   على ساق محد وامتثال
فيس يؤم كل أنس دبيب   ويحل عيده يوم المآل
وعدها كالتهانى من صحيب   قدمها كمقد من لآلى
هنئت بأنى جامعة بعسد   عظم المهرجان والاحتفال
فيهم ملو ملت من أمان   وسم كل مرتخص وعالى

وقال بعضهم ولم أقف على اسمه

أقدت من لهب الأشواق مكلوم   بدحب مثلك فى الأحشاء مكتوم
يا من سما بعظيم الأمر منزلة   وفضله عند جميع الخلق معلوم
أنت الإمام الذى سرت مناقبه   وطلابه من مولاه مرحوم
لولاك فى أرض طنجة وساحتها   بدت عنها لأمسى رسمها الرسم
هبوا لخدمته يا أهل ملته   قوموا لدعوته يا قومه قوموا

الباب السابع

في ذكر بعض ما جرى على يديه من الكرامات وأخبر به رضي الله عنه من المكاشفات وهو باب واسع لا يكاد يحصر أخباره ولا تدخل تحت العد وقائعه ويدل أن يوجد أحد من أصحابه المتفرقين في الأقطار الشاسعة من حواضر وبوادي إلا وعنده في هذا الباب أخبار ووقائع مما شاهده بعينه أو سمعه ممن شاهده بحضوره وقد مات منهم عدد كثير وانقطعت سبل المواصلة بهم وها نذكر هنا بعض ما شاهدناه وسمعناه ممن أمكن الاجتماع به في الوقت الحاضر .

فمن ذلك أني لما قدمت من القاهرة بعد وفاة الشيخ رضي الله عنه أتى لي بعض أصحابه فقال لي إن زوجتي حامل وقد ولدت بنتاً وكان صاحبها في حالة احتضار فكنت أخبرت به الشيخ فبشرني بأنها للنور المدفوق بالسحر فقال لي إنها ستلد ولداً ذكراً فقلت له فهي الآن أيضاً ما أمرك به وبعد عشرين يوماً ولدت ذكراً كما قال .

ومنها أن امرأة من قرابة صاحب زوجته وكان لها ولد فمات ولم تحمل بعده نحو عشر سنين فقال لها إنك ستحملين قريباً بولد ذكر فسميه حمزة وسيعيش إن شاء الله فكان كما قال ثم لم تحمل بعده

ومنها أنه لما ولد آخر أنجاله على إحدى زوجاته أن والدي مات وترك ولده هذا ابن شهرين وأنا كذلك سأترك ولدي هذا ابن شهرين فمات بعد شهرين لأن ولده المذكور ولد سابع عشر رجب وتوفي هو سادس شوال بعد شهرين وتسعة أيام أو نحو ذلك ولم يكن في ذلك الوقت مريضاً بل بعد ذلك بنحو نصف شهر وأخبر مرة أخرى كما سبق .

وتكررت الحكايات وتنوعت أساليبها عنه في هذا المعنى وهو إخباره [illegible] جماعة كثيرة من [illegible] تارة بالتصريح وأخرى بالتلويح.

[illegible] في سنة [illegible] توفي [illegible] في مصحف [illegible] على [illegible] في كل ليلة [illegible] في [illegible] الغرفة [illegible] تسمع حركة وحشة وأخذ [illegible] شديد [illegible] هو [illegible] وصدره مكسوان دما فسألته عن الواقع [illegible] على الحصير فقالت كيف حصل مثل هذا [illegible] كنت أسمع حركة وحشة [illegible] وهو [illegible] عن وجهه [illegible] ولما [illegible] من [illegible] كان يعرض [illegible] أدى إلى المضاربة والمقاتلة فقتله بعد أن [illegible] ثم بعد هذا الحادث بنحو السنة توفي هو رضي الله عنه [illegible] سيدي [illegible] بن عبد المؤمن [illegible] كما ذكرناه في الأصل وفي كتاب المؤمن [illegible] من الأولياء.

ومن [illegible] لم يكن له في [illegible] أولاد فأوصى [illegible] بعد [illegible] ثم [illegible] عشر سنين [illegible] وقال له أنا كما قلناه [illegible] لم يكن لك أولاد [illegible] المذكور [illegible] وصية [illegible] في [illegible] الشيخ [illegible] شيخك ولا [illegible] من الشيخ [illegible] من غير طلب ولا سؤال.

ومنها أني كنت وأنا بالقاهرة أفعل شيئا أو أعزم على شيء فيأتيني منه
كتاب بعد العزم بيومين أو ثلاثة يخبرني فيه من ذلك الشيء ويذكر لي عاقبته
وإن مرض [illegible] وذكر لي فيه [illegible] لا يمكن
أن يصل من المغرب في [illegible] فكان رضي الله عنه يكتب
لي في ذلك العزم قبل أن [illegible]

ومنها ما ذكره صاحب [illegible] قال حلف رجل بالطلاق لا يدخل دار فلان
رجل من أصهاره ثم بعد مدة مات المحلوف عليه [illegible] الرجل هل يجوز له
دخول داره بعد موته [illegible]
لا يدخل [illegible] الجواب [illegible] السؤال على وجهه
[illegible] في ورقة وكانت معه [illegible]
فيه قال قل له الجواب ما ذكرته [illegible]
سألته عن سبب الحلف فإذا هو حلف من [illegible] وكانت [illegible]
زوجه هو لا من [illegible] صاحب الدار
والمرأة المذكورة لا [illegible] بالدار [illegible] ذلك
من كشفه رضي الله عنه

ومنها [illegible] لقصر [illegible] إلى [illegible] الساتور
إلى صير وكان وقت العصر فنزل الشيخ [illegible] الركاب يقولون
لا تفعلوا فإن الساتور لا يقف [illegible]
أيديهم وصار أهل المحطة [illegible] لا دقيقة
واحدة [illegible] العصر [illegible]
الساتور وصار الناس [illegible] الساتور عن موعد قيامه

ومنها أنه كان له [illegible] كثيرة من [illegible] كان [illegible] وقعت لهم
معهم وقائع متعددة [illegible] فيقول لا [illegible] فإنهم
وقراء يأتون للزيارة .

ومنها انه خرج ذات يوم إلى الجيزة بضواحي القاهرة وجلس بمكان متسع هناك معد للجلوس في الصيف لمن يشرب المشروبات والمرطبات فجلس وجلسنا معه فرأيت في منتهى ذلك الموضع شاشة بيضاء لعرض السينما على القاعدين بعد الغروب فقلت في نفسي اذا جلس إلى وقت عرضها فسينظر اليها اليوم وكان يسمع عنها ويشدد النكير فيها جدا فصلى المغرب ثم جلس وأطال الصمت لا يتكلم مع أحد وصرنا ننتظر ظهور ذلك وإذا بالنور الكهربائي انقطع تياره، ووقف سير العربات الكهربائية نحو نصف ساعة وهو في كلها صامت لا يتكلم ونحن سكوت ثم التفت إلي وقال عشى قلت عن اذنكم فقام وجاء التيار الكهربائي عند قيامه فركبنا ورجعنا مع أني قضيت تسع سنين بالقاهرة ما رأيت التيار الكهربائي انقطع بها ولا دقيقة واحدة

ومنها أنه كان يقول لبعض أصحابه يا فلان اصبر فسيمر عليك أمر عظيم قال ذلك له مرارا وبعد وفاته بنحو العامين وقع له ما كان يخبره به ورأى من الشدائد والأهوال ما شاب له أولاده وحصر في حرب طرابلس ثم في أوائل حرب ألمانيا مع الحلفاء ولا يزال منفيا عن وطنه إلى اليوم.

ومنها ما حدثني به بعضهم قال ألقي القبض على بعض أقاربي في مسألة ثورية سياسية فحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين سنة فذهبت إلى الشيخ مستشفعا به وحصل لي تشويش عظيم فقال لي كل هذا لا أصل له واعتقد أن ابن عمك معنا الآن في مجلسنا هذا فلم تمر أيام حتى اجتمعنا بذلك الموضع عينه ونسخ حكم الثلاثين سنة.

ومنها أن بعض أبناء الجبل شددت عليه الحكومة لاشتراكه في التداوي وأرادت منعه منه فجاء إلى الشيخ فقال له لا تخف فإنهم سيأتون بأنفسهم للتداوي عندك فكان ذلك بعد وفاة الشيخ رضي الله عنه بنحو العام لما وقع الحرب بأسبابها وكثر الجرحى المكسر عظمهم فكانوا يرسلونهم للتداوي عنده.

ومنها انه ارسل يوما لرجل خياط وامره ان يخيط له جلابة ويحضرها في اليوم الثاني فاخبره انه لا يخيط بالليل لضرر يعتريه عند الخياطة بالليل وانه يخيط بالنهار [illegible] من ضوئها لاجل الداء المذكور فلما رجع اليه الرسول بذلك اعطاه شمعة وقال له يوقدها ويخيط على ضوئها ولا يخاف من شيء ففعل وذهب ما عنده من ذلك الداء ورجع الى حاله الاولى ولا يزال كذلك الى اليوم .

ومنها ما حدثني به بعض اهل [illegible] قال قصدت الشيخ بزيارة واخذت اخا صغيرا لم يخرج من بلده قط فلما سافرنا وكان فصل الشتاء اصابنا شدائد [illegible] من هول رياح والامطار [illegible] في الطريق [illegible] فقال اخي [illegible] لنا لم نخرج من محلنا فقلت له هذا دليل قبول زيارتنا [illegible] هذه المشاق اي يكون عظم الاجر على قدر عظمها فقال في [illegible] ورؤية مدينة [illegible] على الشيخ [illegible] الاضحى جلسة في [illegible] فلان لاخ واحد كان معه [illegible] الاهل [illegible] فلان لاخ [illegible] تركناه بها حتى [illegible] قال [illegible] الطريق [illegible] ان الشيخ [illegible] ولكن [illegible] فقلت له يا سيدي هو ما جاء الا [illegible] لا هو [illegible] وقال يا سيدي [illegible] الزيارة [illegible] الا للمسحة ثم [illegible] فقال حسن [illegible] الامر كما تقول [illegible] المسحة [illegible]

ومنها ان بعض [illegible] حدث [illegible] قبيلة [illegible] وكانت [illegible] وكنت [illegible] الشيخ [illegible] فقصدته [illegible] وكان وقته ضحة لم تخرج منها

ومما حدث به بعض الأشراف [illegible] من أهل فاس قال جاءني الشيخ
من طريق [illegible] ومكث في [illegible] ثلاثة [illegible] خرج من الدار ولا رآه أحد
عندي وهو مقيم [illegible] خرج [illegible]

ومما حدثني بعض [illegible] الشيخ
[illegible] دخلت [illegible] مسحوقا من
[illegible] لا قدر لكم شيء وعند
[illegible] ثم توجه الشيخ
[illegible] وداري
[illegible] من ذلك
[illegible] نسخة
كما قال

ومما [illegible] والذي [illegible]
[illegible] وذكرت
له ذلك فقال [illegible]
[illegible] في يوم
الأربعاء [illegible] فخرج [illegible] لم
يجد [illegible]
[illegible] الله الدنيا
والآخرة [illegible] على
مقالته [illegible] امتسكت دورا
[illegible] فضل الله [illegible].

ومما حدث به بعض [illegible] قال قدمت [illegible]
[illegible] يوم جمعة ذهبت إلى الزاوية

المتابع لي في جملة ومن ذلك مسألة كون الحرام لا يعتق [illegible] فإني كنت
[illegible] وجرت بيني [illegible] في مسألة مع [illegible] الواجري وظهر منه تشديد
[illegible] مختصر [illegible] من المنصوص [illegible] عزمت على الذهاب
الى الشيخ للاستفادة منه في المسألة فقبل أن أذهب إليه بعث لي مع
بعض صحابه شرح [illegible]
فإنه [illegible] في موضع منه علامة من
[illegible] في المسألة نفسها
في شرح [illegible]
[illegible] الشيخ

قال ومثل هذا [illegible] عن سؤال [illegible]
في المقال فيه فبينا أنا كذلك إذ به يوجه الى [illegible]
لشعري [illegible] يكون من
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] مولانا [illegible]
[illegible] لا [illegible] تحقق
فلا يجد [illegible] شيء من هذا [illegible]
و [illegible] فقال [illegible]
من هذا الأمر [illegible] الأمر

كما قال فإنه بعد سنتين نفذ حكمته وقضاؤه المبرم ودخل الفرنسيس سنة تسع وعشرين .

ومنها ما حدثني به بعض الصالحين من أصحابه قال ذهبت إلى الشيخ يوما وأذن لي بالدخول فلما أقبلت على المحل الذي هو به رأيت ذاته عظيمة جدا قد حازت ركنا كبيرا من الغرفة فدهشت لذلك فلما وقع بصره علي تبسم وقال مرحبا فزال عني ما حصل لي من الدهش ثم رجع جسمه إلى حالته لا عادته وحدثني بمثل هذا بعض غيره من الفقراء [illegible]

ومنها ما حدثني به فقيه من بني [illegible] وهو رجل صالح مشهور ببلده قال ذهبت إلى تمكان لحضور الموسم فزرت الشيخ في ضريح جده فذهبت أسعى بالسلام عليه فلم أجد له أثرا [illegible] وقت أن نزل الشيخ هنا [illegible] وقال الشيخ [illegible] هذه المدة

ومنها ما حدثني به بعض أهل [illegible] الشيخ رضي الله عنه أكثر التردد لزيارته [illegible] أهل [illegible] عن حرب [illegible] لذلك من جهة أنه لم يكن [illegible] من أهل السياسة وقراءة الجرائد [illegible] وفاة الشيخ رضي الله عنه بنحو سبعة أشهر .

ومنها ما حدثني به بعض [illegible] من المغرب [illegible] ذات ليلة كأني ذاهب إلى الحج فلما استيقظت [illegible] الشيخ لزيارته ولأقص عليه الرؤيا لأني أفهم منه بشارة ووعدا بذلك فلما جلست معه غفلت عن ذكرها واشتغل خاطري [illegible] فقال لي [illegible] سكن [illegible] إن شاء الله تعالى .

وكراماته رضي الله عنه كثيرة جدا وقد ذكرت في الأصل أضعاف هذا مع كونه لا نسبة بينه وبين الواقع والحمد لله رب العالمين .

[illegible]

في [illegible] لاهل [illegible]
[illegible] وجهه الى الشيخ سيدي محمد بن
[illegible] ولاد [illegible] وكذلك كتب
[illegible]
[illegible] شرحه
[illegible] خط مختصر
[illegible] من جماعة
[illegible] في جميع
[illegible] على
[illegible]
[illegible] سيدي احمد
[illegible] ثم دعاه
[illegible] منهما
[illegible] معروفة
[illegible] عن جميع
[illegible] وسلهما
[illegible] والذكر [illegible] كانا
[illegible] على [illegible] وترك الشهوات
[illegible] هذا الحال [illegible] مات [illegible]
[illegible] الاحد [illegible]
[illegible] سيدي [illegible] من شيخهما [illegible] على
[illegible] قاضي [illegible]
[illegible] كنون [illegible] من القاضي

ولما مات شيخه الثاني سيدي أحمد ربيع شرع الناس في الأخذ عنه والانتساب إليه فاشتهر أمره بفاس وأقبل الناس عليه بالأخذ والتلقي مع المحبة والتعظيم والاعتقاد والاحترام وامتلأت عليه الزاوية بالفقراء المتجردين من أهل فاس والغرباء فكان يربيهم على طريقته في الجد والاجتهاد والصيام والقيام ومخالفة الهوى ومخادعة النفس في جميع ما تهوى حتى كان لا يتركهم يتغدون [illegible] إلا بعد تغيير طعمه [illegible] لذته بأن يتركه نحو يومين وثلاثة وربما خلط بين مختلف الطعم والمذاق في آنية واحدة وأحيانا يمزج الطعام بالماء حتى لا يبقى فيه لذة تستطاب [illegible] تدعو إلى الإكثار منه ومن أمثال الذي [illegible] وغضب مرة من فقير له أتاه بطعام جيد وجده عنده [illegible] فقال له [illegible] كل من عنده فضلة يتصدق بها عنه.

وكان [illegible] مع الفقراء [illegible] في [illegible] مدينة [illegible] رضي الله عنه و[illegible] حكمه شرح [illegible] خلال كل جمعة [illegible] مرة أخرى [illegible] بعد [illegible]

وكان له [illegible] عظيم [illegible] اسمه [illegible] مع الفقراء بالزاوية [illegible] ويختم بمولانا إدريس رضي الله عنه صباحا وكان [illegible] ذلك حصول [illegible] بالأمة لم [illegible] يتوقع من زوال البلاء [illegible] بالاحتلال [illegible] نقمة وشر [illegible] فكان ذلك حاصلا مدة حياته [illegible] يقع الاحتلال إلا بعد وفاته.

وكان [illegible] ثلاثة أثواب لا [illegible] صيفا وشتاء وهي قميص و[illegible] ومرقعة كان [illegible] بإذن شيخه وأخبره شيخه أنه [illegible] مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت [illegible] لزم الفراش وانتقل بعدها إلى جوار ربه

وكان في بداية مشيخته يلف على يده اليمنى خرقة من خيش لئلا يصيب يده شيء ممن يقبلها من المريدين

وكان في آخر أيامه لا يتناول من أطعمة الأشربة إلا في الصبح وأخرى في المساء، وكان لا ينام الليل أصلا بل مستغرقه بالصلاة وذكر اسم الله الأعظم ولم يتزوج قط ولا مالت نفسه إليه ولا إلى غيره من الشهوات، وقد عرض عليه مرة بعض الوجهاء [illegible] أن يزوجه أو يشتري له جاريتين ويسكنه دارا وينفق عليه إلى أن يموت فامتنع وقال إني عاهدت نفسي [illegible] فلا يبقى لي فيها رجوع

وكان يلزم نفسه شديد [illegible] في خرقته بخلاف فهو فيه من أشد الاجتهاد [illegible] لا يعرض عن الدنيا وما فيها [illegible] حتى [illegible] وهو من كبار الأشراف [illegible] مواجهته بذلك وأنا واصله به مع [illegible] الشريف [illegible] وكان يخدمه [illegible] مرة فيقرأ عنده الكتب التي يريد [illegible]

وقد حدثني [illegible] واسطة لا مرتين أحدهما أنه كان [illegible] بعض الأحوال [illegible] هل عندك كتب قال نعم عندي المستطرف [illegible] إلى مولاي الشيخ [illegible] فصرت [illegible] وهو [illegible] حصل له سرور [illegible] لا [illegible] ومرة أخرى في بيت بعض الفقراء أيضاً قال [illegible] في خلال هذه المدة.

وكان يحب الخمول والتواضع [illegible] تحت مجاري الأقدار فلا يتظاهر بكرامة ولا يدعو بدعوى [illegible] عن [illegible] يديه [illegible] كما حدثني الشريف المذكور وغيره قالوا كان الشيخ

يريدان يعرفهم ذلك عنه فلا يعرفون

وابتلي في آخر عمره بمرض لزمن فقعد وأضر وذهبت عينه الأخرى واستمر ملقى على قفاه مدة مديدة حتى سكنت النيران تحت فراشه وهو في كل ذلك صابر محتسب ... من شكر مولاه في بائت عن حسبه مقامه وشهوده إلى أن انتقل في جواره ومحل رضوانه يوم خميس فاتح رجب سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف ودفن ... وبه المذكورة رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به ونفعنا بمحبته وبركاته آمين

فصل ...

أما الشيخان اللذان أحدهما فالأول هو الشيخ ... محقق المرشد ... سيدي محمد ... في ولد ... وكان ... مشتغلا بالتجارة فحفته العناية الالهية وجذبته إلى طريق أهل ... فدخل فيها على ... شيخه العارف سيدي محمد ... ففعل ... ونقه ... نفور شديد من ... عظيم ... في محبه شيخهما وخطر ببالهما ذات ... عن ... من الدنيا ثم عزما عليه وخافا من ... ذلك ... في شيخهما ... له عما يتعلقان فنالا مرادهما من الله تعالى وحصل ... الأعلى ... في ... وصار من جملة أصحاب شيخه ... هو الوارث لمقامه وحاله فلما توفي شيخه ظهر هو ... في محله واجتمع عليه الفقراء فصار يذكرهم ويذاكرهم

وكان له دكان بسوق العطارين ... فيه الجوهر والمرجان والطيب ونحوه في حال مشيخته ... بالشريعة وسترا للحال ... عن الخلق فكان بعض الجهلة يطعن في مشيخته من أجل ذلك حسدا وجهلا كما هي سنة الله تعالى في خلقه ولا سيما مع أوليائه وأصفيائه .

وحدث تلميذه المرحوم فقيه سيدي محمد بن ابراهيم رضي الله عنه قال سمعته يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي من رآك فقد رآني ومن قبل يدك فقد قبل يدي وكان تلامذته والعارفون به يثنون عليه كثيراً ويصفونه بعلو المقام في المعرفة ورسوخ القدم في الولاية ويدل لذلك قصيدته التائية التي [illegible] يصف نفسه بالمعرفة ويذكر ما حصل له من المقامات وهي هذه

ولما فنى عنى فنائى فلم ازل … شهدت معى الحق فى كل وجهة
وزال وجودى عن وجودى وهل لى … اى عن فنا اهل النفوس بقية
وقد نظرت عينى الوجود توهما … شهدت عينى عكس [illegible] حقيقتى
وكنت رهينا فى سجون توهمى … فسرت خبيرا [illegible] الغريبة
وخمرنى عنى [illegible] … طريق خمر الوصل فى عين وحدتى
وسرى روى عنى وكنت حديثه … وناجى حقيقت [illegible] خلتى
وانشق من روحى نسيم حدائق … [illegible] فى مجلس بهجتى
وحرى ندامى وكنت [illegible] … وارشف من ثغر الكؤوس مدامتى
وعربدت من سكرى [illegible] … شهدت [illegible] فى [illegible]
وحرى حرى وراح براحى … وصرفى ومزجى مع تهتك نشوتى
وسكرى وصحوى و[illegible] … وشربى وربى واحتفل برؤيتى
ومنه بدا كلى وبعضى وخلتى … وجمعى ومعنى وجمعى وفرقتى
وراحى وريحانى وروحى و[illegible] … وبعضى [illegible] وإلى ومهجتى
شربت صفاها من أهيل مودتى … فدعا فصار الشرب دينى وملتى
وغيبنى عنى شهودى لحسنها … وشدة فرحى بوصل الأحبة
ولاح لسرى من معانى جمالها … عجائب عينى وبعضى وجملتى
وهام لها قلبى وسرى بها اهتدى … إليها وقرت بالتجلى مقلتى
وصرت محل السر منها سرها … وصرت بها سرا لغير [illegible]

وبحرى در ليس يدرك وصفه — وبرى زهر نشره طيب نفحتى
وخيمت فى برى وطاب لى المنا — وحاصت بحار العشق مى مطيتى
وعرفت جمى واستبانت معالمى — وحددت طرفى لم أجنغير وحدتى
فها أنا ما بين البحور وديمة — أوفى حقوقا حقها بالسوية
ولى فى الهوى علم تضوع نشره — وراق شرابى من كؤوس الاحبة
أبيح لى التعبير فى مذهب الهوى — ومن ذا من العشاق يبلغ رتبتى
فلا وصل الامن تعطف وصلها — ولاقرب الا إن حبتك بنظرة
وان قصدت جادت ببعض جمالها — وان أظهرت صداً لفقد الأدلة
فان شئت أن تحظى بطلعة حسنها — فخيم ولاتسأم بباب الأحبة
وكن ذليلا واصبر على ألم الهوى — وواصل شراب الحب فى كل لحظة
وجرد سيوف العزم فى طلب اللقا — ومزق ثياب الوهم عنك بسرعة
وحى حمى الخمار وازل بحيه — وعفر خدودا فى ثراه بذلة
ولاحظ رضاه فى المهمات كلها — وكن كئيبا ترجو الشفاء لعلة
لكى تسق من خمر الوصال صفاءه — وتجنى ثمار القرب من كل ذروة
وتفنى فناء فى فناء عن الفنا — وتبقى بها معنى بغير هوية
وتحيى حياة لا ترى الموت بعدها — مسمم مسكر فى سرور ورفعة
هنيئا لمن أضحى يراها بطرفها — وهام بها فيها بغير معية
وعاينها عينا وغيراً ولا سوى — ولاثم غير فى ظهور الحقيقة
وصار بها يدعو العباد لربهم — ويسقى مدام الحب من غير راحة
مدام تسلى الهم وهى بدنها — وتشفى سقيم القلب من كل علة
مدام لها معنى لطيف لمن درى — قديم به قامت عوالم حكمة
مدام بها هام الوجود بأسره — وهامت بها الارواح لما تجلت
مدام لها نور جلى لدى الورى — يلوح سناها للقلوب السليمة
تنوعت الأشياء منها فما ترى — سوى نورها الوضاح فى كل وجهة

تمتع منها الكل وهي حياته ومن حسنها كل البدور استمدت
فريدة حسن لاح نور جمالها فخرت لها الاشياء حين تبدت
وغنت وقالت في لذيذ خطابها أنا الحسن والاحسان وصفي وشيمتي
تبدى جمالي في المظاهر كلها وأبدعت كل الكائنات بقدرتي
وصنت جمالي بالجلال وإنما جلالي جمالي والتستر حكمتي
وأظهرت حتى لا يرى ظاهر معي وأبطنت حقي في سرادق عزتي

توفي رضي الله عنه سنة خمس وثمانين ومائتين وألف

وأما الثاني فهو الشيخ العارف القدوة المسلك المربي سيدي أحمد بن محمد ربيع الفاسي من عائلة معروفة بفاس أخذ عن العارف سيدي محمد بن علي أيوب ثم بعده أتم على أخيه في الشيخ سيدي عبد الواحد بناني ثم بعد وفاته ورث حاله وقام في التربية والتسليك مقامه وكان ذلك باشارة من شيخه فاجتمع عليه الفقراء من أصحاب شيخه وغيرهم وانتفعوا به النفع العظيم وتخرجوا على يديه في طريق الجد والاجتهاد والاقبال على الله تعالى وكان مقللا من الدنيا زاهداً فيها راغباً فيما عند الله يحترف حرفة اللحم فيصنعها ويبيعها ويأكل من كد يده وكان مع فقره وقلة ذات يده كثير البر والصدقة والاكرام للفقراء يطعمهم ويشفق عليهم ولا يأخذ من أحد منهم وكان ذا تواضع وسمت وأخلاق حسنة وهدي جميل وأوصاف حميدة محباً للعلماء وآل البيت شديد التعظيم لهم والادب معهم له يد في التصوف ولسان في المذاكرة كثير الذكر لا يكاد يفتر لسانه عنه حتى عند النزع وخروج الروح يميل الى الخمول ولا يظهر مظهر الفخر والدعوى وربما حدث بعض الخواص ببعض ما كوشف به كما أخبر تلميذه أبا العباس سيدي أحمد ابن الخياط أنه أتاه من الغيب اربعة رجال على شكل واحد وصورة واحدة لهم أنوار خارقة فملأوا بيته نوراً وقالوا جئنا إليك لنزورك ونطلب منك صالح الدعاء وكان ممن أخذ عنه الطيب ابن الطيب

وأخبر مرة شيخنا الامام أبا عبد الله سيدي محمد بن جعفر الكتاني انه خرج مرة لجنازة بعض الفقراء فلما سووا عليه التراب كشف لي عنه فصرت أراه فجعلت أغمض عيني كي يحتجب عني فلم يحتجب ترجمه شيخنا المذكور في سلوة الانفاس وذكر أنه كان يعوده أيام مرض موته فيجده في غاية الثبات واليقين وأنفاسه متصاعدة بالذكر قال ودخلت عليه مرة بعد ما سقط لسانه فصار يشير بسبابته كأنه يقول لا إله إلا الله قال وتوفي صبيحة يوم الاحد تاسع محرم سنة ثلاث وثلاثمائة وألف

الباب التاسع

في سلسلة طريقه وبعض الأبحاث المتعلقة بها وقد كتب هو رضي الله عنه اجازة لبعضهم ذكر فيها سلسلته فقال .

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد مهبط الوحي ومنبع الرحمات وعلى آله وأصحابه الأئمة الهداة أما بعد فلا يخفى على ذوى البصائر والعقول ان الفنون كلها لا بد فيها من واسطة ومن لا واسطة له في فنه لا بركة له فيه ولو حصل فيه على الغاية القصوى فبركة الفن وسره وروحه وجود الواسطة فيه فمن رزقها رزق الفن وبركته ومن حرمها حرم الفن وبركته وهو أمر لا يحتاج الى برهان إذ ليس الخبر كالعيان

ولما كان التصوف أولاها بذلك وأحقها بما هنالك وكان من لا شيخ له فيه لا يهتدى به ولا يلتفت إليه بل هو عندهم لقيط لا أب له وسقيط لا طعم فيه بل حتى لو فرض أن شيئا من المعارف والأذواق حصل لأحد على سبيل خرق العادة بلا واسطة فالمتعين عليه أن يستند الى الواسطة أدبا مع الشريعة المطهرة إذ جاءت باعتبارها وأمرت بشكرها، وأيضا فان الاستناد اليها فيه كمال ورفعة قدر وجلال لأن فيه خروجا من رعونات النفس والأنانية إلى رفعة التواضع والعبودية . فانعمت بها عزا وشرفا ورفعة وفخراً إذ هي سبب للحرية بل هي في الحقيقة عينها ولو صح لأحد شيء بلا واسطة لما كان لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل واسطة مع أنه عليه الصلاة والسلام أجل منه وأفضل وأعلى وأعز وأكمل فقي تقدم المفضول على الفاضل رفعة

لمقام الفاضل [illegible] وبه سعوديته تكامل فيهم ومعار لى أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم مع أنهم لا يعصون الله ما أمرهم [illegible] الذنب وفيهم من الخطاب فما عظمت الحرية فى أحد الا كانت العبودية فيه أعظم اذ ما تشرف من شرف الا [illegible] الا [illegible] ويكون لى الحرية والأمانة وما أفلح من أفلح الا بصحبة من أفلح

وقد قال الجنيد رضى الله عنه [illegible] لا يصل أحد لحضرته الا على يد عبد من عباده

وقال القطب [illegible] رضى الله عنه [illegible] لا [illegible] لا [illegible] [illegible] لذلك حتى [illegible] أن يذكر [illegible] وبين [illegible] وهذه الطريقة الدرقاوية هى [illegible] الطرق الاصلية الجامعة بين [illegible] والشاذلية المؤسسة على الكتاب [illegible] ومخصوصة بالمعارف الربانية [illegible] وبسط [illegible] والنفحات الالهية و[illegible] النفحات القدسية وتحريك السلسلة النبوية مع [illegible] الاسناد من [illegible] فى كل وقت وحين [illegible] الزمان أو قصر وقل عدد الوسائط [illegible] .

أخذت هذه الطريقة [illegible] عن شيخى [illegible] نور الملة والدين ورحمة الله للقاصدين [illegible] الذى لم [illegible] فى وقت من الأوقات [illegible] سلطان العارفين وقطب الواصلين سيدى ومولاى محمد [illegible] أسأل الله [illegible] وبلغه فى الدارين [illegible] الشيخ [illegible] عظيم وأمره جسيم [illegible] ولا [illegible] فى [illegible] ومن شرح [illegible] يستدعى مجلد [illegible] لانه [illegible] عن شيخه العارف الربانى سيدى عبد الواحد [illegible] عن شيخه [illegible] فى الله العارف المحبوب [illegible] سيدى محمد [illegible] عن [illegible] وهو أخذ عن جده الشريف [illegible] بالعلمين [illegible] القطب الجامع [illegible]

سيدى الحاج أحمد بن عبد المؤمن الغمارى وهو عن إمام الأولياء وعمدة الاقطاب والاصفياء بحر المعارف الالهية ومعدن الاسرار الربانية بوزخ البحرين شيخ الثقلين الذى كان لمسه الله لا يدرى سيده ومولاه العربى الدرقاوى وهو عن بحر البحور ومسمع الحور أبى الحسن سيدى على الجمل دفين مدينة فاس وهو عن القطب سيدى العربى بن عبد الله عن شيخه ووالده قطب زمانه سيدى احمد بن عبد الله وهو عن القطب سيدى احمد اليمنى والقطب سيدى قاسم الخصاصى أخذ عن الأول الجيلانية وعن الثانى الشاذلية وهو عمدته وسيدى قاسم أخذ عن سيدى مبارك عباو وعن القطب أبى عبد الله سيدى محمد بن عبد الله معن وهو عمدته وعنه ورث القطبية ففى فى صحبته عشرة سنين وهو عن العارف أبى زيد سيدى عبد الرحمن الفاسى محشى دلائل الخيرات وحسوسيه وهو عن أخيه القطب أبى المحاسن سيدى يوسف الفاسى وهو عن القطب سيدى عبد الرحمن المجذوب عن أبى الحسن سيدى على الشهير بالدوار عن أبى اسحق سيدى ابراهيم أفحام الزرهونى عن القطب الجامع سيدى احمد زروق عن القطب احمد بن عقبة الحضرمى عن أبى زكريا يحيى القادرى عن القطب سيدى على وفا عن والده سيدى محمد بحر الصفا عن القطب داود الباخلى عن تاج الدين ابن عطاء الله صاحب الحكم عن القطب أبى العباس المرسى عن قطب الاقطاب سيدى أبى الحسن الشاذلى الغمارى عن القطب مولانا عبد السلام بن مشيش عن القطب سيدى عبد الرحمن المدنى الشهير بالزيات عن القطب تقى الدين الفقير بالتصغير فيهما عن القطب فخر الدين عن القطب نور الدين عن القطب تاج الدين عن القطب شمس الدين بأرض الترك عن القطب زين الدين القزوينى عن القطب أبى إسحاق البصرى عن القطب أبى القاسم أحمد المروانى عن القطب أبى محمد سعيد عن القطب سعد عن القطب أبى محمد فتح السعود عن القطب سعيد الغزوانى عن القطب أبى محمد جابر عن أول الأقطاب وأجل الاصحاب

سيدنا الحسن ابن مولاتنا فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب عن والده باب مدينة العلم عن سيد المرسلين وحبيب رب العالمين هذه سلسلتنا الوجودية ونسبتنا النورانية وقد قال القطب أبو العباس المرسي رضي الله عنه طريقتنا هذه متصلة بالاقطاب الى قطب الرحمن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قلت ويكفي الانسان شرفا وفخراً وعزاً ورفعة أن يعرف رجال هذه السلسلة النورانية المحمديه فانها سلسلة ذهب بل در لئ من تمسك بمحبة رجالها نال رضى الملك العزيز وأمامن دخل فيها وكان حلقة من خلاصتها فلا يصف الواصف فضله ولا يلحق أحد شأوه وقدره

فقد قال القطب الشعراني رضي الله عنه من فوائد السلسلة انه المنتسب يكون كالحلقة في السلسلة لا يتحرك في أمر الا تحركت السلسلة كلها معه إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف غير المنتسب فانه يتحرك وحده ويسكن وحده الى آخر الاجوبة المذكورة في الأصل

فصل

وهنا مباحث تتعلق بهذه السلسلة

المبحث الاول

في أول من ذكر هذا السند من القطب ابن مشيش الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو تقي الدين أبو عبد الله محمد الاسكندري سبط الشيخ أبي الحسن الشاذلي في كتابه المسمى المفيدة وهو ممن أدرك أصحاب أبي العباس المرسي وتبرك بهم كما ذكره في كتابه المذكور فقال عند ذكر قول أبي العباس المرسي رضي الله عنه في هذه الطريق أنها متصلة بأخذ واحد عن واحد الى الحسن ابن علي عليهما السلام مانصه ومن اطلعت على هذا الكلام أمعنت الفحص عن معرفة بقية هذا الطريق فلم أجد سوى أن الشيخ أبا محمد عبد الرحمن المدني أخذ

عن عارف وقته الشيخ القطب تقى الدين الفقير عند ذكره ثم قال واعلم انى
عثرت [illegible] واتصالها بعد الفحص الكبير وجدتها منقولة عن
الشيخ تاج الدين بن عطاء الله صاحب الشيخ ابى العباس المرسى ومطابقة
لقول المرسى ان طريقه [illegible] بالاقطاب ففى هذا اشعار بصحة هذه
الطريق و[illegible] لم [illegible] الا بالشيخ الشاذلى وشيخه
ابن مشيش وشيخه [illegible] بن ابى طالب فمجموعها على
قسمين [illegible] هو [illegible] وما فوقهم فلان الدين ولم يذكر له
شهرة فعجبت [illegible] ما وجدته

وكذلك ذكر [illegible] كل من
[illegible] فرق .

قال [illegible] ومن هؤلاء الرجال
[illegible]
[illegible] لا هو [illegible] ولى
الله كان وهو [illegible]
[illegible] قال [illegible] ولا [illegible]
[illegible] عن
[illegible]

[illegible]

[illegible] ذكره الشيخ رضى الله عنه من [illegible] فى على عليه السلام هو
ما ذكره كثير [illegible] كالشيخ زروق وابن حجر الهيتمى فى
فهرسته [illegible] سلسلة [illegible] وشيخ عبد السلام الاسمر فى
نسخة [illegible] لا [illegible] فى شجرة لارشاد [illegible] احمد

ابن يوسف الشامي في المنح الصافية وابن عجيبة في فهرسته وشرحه للحكم وآخرين .

واقتصر جماعة يطول عدهم على رفعها إلى الحسن بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة أبيه علي عليه السلام

وصرح بعضهم بأنها تروى من الطريقين فيكون الحسن رضي الله عنه لبس واستقى من جده صلى الله عليه وسلم وصحب واقتدى بوالده عليه السلام .

وذكر بعضهم أن الحسن ورث القطبانية من والده سيد شباب أهل الجنة صلى الله عليهما وسلم وأنه هو أول الأقطاب على الإطلاق وكل هذا صحيح لا شك فيه فإنهم أهل بيت النبوة ومهبط الوحي وبحر المعارف ومنبع الأسرار والحكمة، شمل جميعهم دعاؤه ومن ثمة الخير العميم والفضل الجسيم والشرف الرفيع والولاية الكبرى ... في الكساء عند محققي من أهل الله هو إمداد أهله بالمدد الرباني ... في ... شريعته النبوية السارية ... الكساء إلى تلك الصفوة الطاهرة خمسة وأولاد لما كان لذلك التحليل مع الدعاء معنى ... وصحة في الأصل وفي البرهان الواضح الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي

المبحث الثالث

... بعده من كون الراوي عن الحسن هو أبو محمد جابر غير معروف ولا مذكور والذي هو كذلك عند الأكثرين وذكر أبو علي بن رحال في الروض اليانع الفائح ... وهو بعيد لأن ... من ذكر روايته عن الحسن عليه السلام فضلا عن أخذه هذا السر العظيم عنه لا سيما وهو بصري ومذهب أهل البصرة معلوم ... وإن نقل عنه التبري من ذلك

وذكر التادلي في المعزى أنه جابر بن عبد الله الأنصاري وهذا ممكن بل هو الواقع إن شاء الله كما بينه في البرهان الواضح

المبحث الرابع

قد تقدم أن هؤلاء الرجال مذكورون من طريق الكشف فلا يمكن أن يعترض الإنسان الكشف وقد تكلم العارف محمد بن مسعود الفاسي في الفتوحات الربانية بما يصح أن يبنى عليه كل عارف فلا يحصل به اعتراض تام ولعله فهم ذلك من طريق الكشف كما تقدم في كلامه على الديوان وقد أعطانا الكشف والعلم الإلهي أن أولياء الأمم الماضية كانت ولايتهم تنقطع بموتهم وموت أنبيائهم وأما أولياء هذه الأمة المحمدية فلا تنقطع ولايتهم إلى يوم القيامة بوجود بقاء شريعتهم وكما أنه لا انقطاع لشريعتهم كذلك لا انقطاع لولايتهم اهـ فلا يبعد أن يكون كلامه بذلك عن كشف وعيان

المبحث الخامس

ما تقدم من أخذ أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي عن أبي زكريا القادري عن سيدي علي وفا هو ما ذكره الأكثرون وذكر بعضهم أن ابن عقبة أخذ عن سيدي علي وفا بلا واسطة وهو باطل فإن سيدي عليا مات سنة سبع وثمانمائة وكانت ولادة أحمد بن عقبة سنة أربع وعشرين فلا بد من واسطة أبي زكريا المذكور ومع ذلك ففيه إشكال من وجوه

منها أن بعضهم روى عن ابن عقبة عنه عن والده أبي مسعود أحمد عن والده أبي صالح نصر عن والده أبي محمد عبد الرزاق عن والده القطب الكبير مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وهذا غلط بين لأن أبا زكريا القادري المذكور مات بمدينة حماه سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وذلك قبل ولادة

الحضرمي بخمسين سنة لأنها كانت سنة تسع وعشرين وثمانمائة .

ومنها أن القادري هذا غير معروف وقد قال أبو عيسى المهدي لا يبعد أن يكون المراد به أبو زكريا يحيى بن أحمد الوفائي المعروف بابن بنت وتبعه على هذا جماعة جازمين به وفيه بعد لأن يحيى بن احمد الوفائي كنيته أبو المرادات لا أبو زكريا ولا تعرف نسبته بالقادري ولا سبب لها لأنه غير قادري لا نسبا ولا طريقة

ومنها أن الشيخ أبا العباس احمد بن عقبة رحل من بلده إلى مكة سنة ست وأربعين وثمانمائة وفاته بعد عشرين سنة فيكون اجتماعه بالقادري في عمرة بعد سنة ست وستين وفي ذلك الوقت كان يحيى بن احمد الوفائي قد مضى لوفاته نحو تسع سنين لأنه مات سنة سبع وخمسين .

ومنها أن سيدي يحيى بن احمد الوفائي لم يجتمع بعمه ولا أخذ عنه لأن عمه مات وهو ابن تسع سنين لم يبلغ سن الصحبة ولا الأخذ فقد ولد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ومات عمه سنة سبع وثمانمائة وأن طريقة الوفائية تروى من طريق يحيى بن احمد الوفائي هذا عن والده احمد عن أبيه محمد لا عن عمه علي على أنه شيخ قادري النسب شاذلي الطريقة من أصحاب سيدي علي وفا أحمد عنه تلاميذ من الحضرمي ولكن هذا لا يعرف ولم يترجم له أحد

المبحث السادس

ان سيدي محمدا وفا لما مات كان ولده سيدي علي ابن عشر سنين على الراجح لكنه أوصى بمطلقته أن تخلع على ولده عند كبره ففعلت ووقع له ما وقع بذلك بسبب ولده وهذا قد وقع لكثير من الأولياء كما بينه في البرهان الواضح وفي مناهج التحقيق فلا يعزب عن من وقف على تاريخهما أن بالسند انقطاعا في هذا الموضع .

وهناك مباحث أخرى ذكرتها في الكتابين المذكورين .

فصل

وأما رجال السلسلة من مولانا الشيخ الوالد قدس سره إلى القطب ابن مشيش فقد سبقت تراجمهم في منهج التحقيق في الكلام على سلسلة الطريق وغالبهم أفردت بتآليف كالشاذلي والمرسي وبني وفا والحضرمي وزروق وأبي المحاسن الفاسي وسيدي أحمد بن عبد الله وسيدي قاسم الخصاصي ومولاي العربي الدرقاوي وجده سيدي الحاج أحمد بن عبد المؤمن فقد أفردته بتأليف سميته المؤذن بأخبار سيدي أحمد بن عبد المؤمن .

الباب العاشر

في ذكر وفاة الشيخ وبعض ما قيل في رثائه كان الشيخ رضي الله عنه مريضا بضعف القلب والخفقان مصحوبا معه من مدة طويلة إلا أنه لم يكن ظاهرا فيه إلا في بعض الأحيان ثم في أواخر شهر رمضان قوي فيه إلا أنه لم يلزمه الفراش فكان يخرج على عادته ويزور ويضيف فلما كان يوم عيد شوال قابل كثيرا من الناس على عادته وصرح لبعضهم بأن هذا آخر اجتماع بينهم ثم في ذات اليوم وفي بعده اشتد به الحال فجمع عنده من كان حاضرا من أولاده وأوصاهم بحضورهم على التقوى والتمسك بالدين والعمل بالسنة واجتناب البدعة وملازمة ذكر الله تعالى وذكره ومحبة الأولياء والصالحين وأهل السنة من علماء الدين وإكرام الضيوف وخدمتهم بالنفس والمال ومواساة الضعفاء والمساكين ورحمة الصغير وتوقير الكبير وصلة الرحم واتخاذ الحياء والعفة والأمانة والعمل بالصبر وإحياء السنة ونشرها وكف الأذى وتحمله من غيره والاحتمال ومعرفة الوقت وأهله ونحو هذا مما كان يحث عليه دائما وقال لبعض أولاده كنا نرجو من الله تعالى فسحة في الأجل حتى ينصر بنا هذا الدين الشريف ونصركم أملا ونجح بكم ولكن رأينا الأيام المقبلة أيام شرور وفتن ومصائب ومحن واشتداد ضعف في الدين ووهن فسألت الله تعالى أن يقبضني إليه كما في الحديث الشريف وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون فاستجاب الله دعائي وصدق رضي الله عنه فقد اشتد الخطب وعظمت الرزية وصور الانقلاب العظيم بسرعة وهو في الزيادة نسأل الله مغفرته ومعافاته ولما كان يوم الأربعاء سادس شوال اشتد به الحال وظهرت عليه علامة الانتقال وأرسل إلى بعض الفقراء فحضروا لديه فأمرهم بذكر الله جهرا فلما وصل وقت العصر قدم أحدهم فصلى به وبهم وصلى هو جالسا بالتيمم ثم أمرهم بذكر الله أيضا إلى قرب الغروب فأمر بإخراجهم

فدخل عليه اهله واحبته ولم تمض الا هنيهة حتى فاضت روحه وانتقلت الى الرفيق الأعلى وذلك سنة اربع وخمسين وثلاثمائة والف وكانت له جنازة لم تر طنجة مثلها [illegible] تغمده الله تعالى وحضر الناس من سائر مدن المغرب كفاس و[illegible] والدار البيضاء وسلا وما بين ذلك وعرائش والقصر واصيلا وتطوان و[illegible] وذهب بجثمانه الى الجامع الكبير للصلاة عليه [illegible] بكثرة الناس [illegible] الخلق ورؤى [illegible] يبكون في [illegible] من مهابة ذلك المحضر وما حضر [illegible] من [illegible] [illegible] الناس [illegible] [illegible] سعادة كانت [illegible] [illegible] [illegible] لما [illegible] من ثاهرة [illegible] في الحضور [illegible] ثم [illegible] الدفن [illegible] [illegible] ووقع الدفن [illegible] [illegible] الاديب السيد محمد بن [illegible] [illegible] [illegible] في حرفة [illegible] فقال الامس [illegible] [illegible] علامة [illegible] واليوم [illegible] [illegible] المغرب [illegible] [illegible] ولدين [illegible] سيدي محمد بن صديق الغمري في ذلك اليوم [illegible] سادس شوال [illegible] [illegible] الشمس الى الغروب [illegible] [illegible] الموت الذي لا يهب عنها ولا يخشى شرعا ولا [illegible] بدون شفقة ولا حنان فقضى [illegible] [illegible] الروح [illegible] ذلك المصباح الوضاء الذي طالما اهتدينا [illegible] في تلك [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] لا [illegible] [illegible] في الفضاء وبحسا يرن في الاجواء [illegible] [illegible] [illegible] ثم قال اما جنازته فكان له مشهد عظيم حضره كل [illegible] من مختلف [illegible] ومن ذلك اليوم [illegible] من [illegible] [illegible] رحمه الله من [illegible] [illegible] العلمية [illegible] الى [illegible] على قبره يوم ثالث صباح [illegible] .

خبروني هل غاب نجم السعود   أم تسامى الى مقام الخلود

كان عهدي به يبذ الثريا   كيف امسى رهين هدى اللحود

اندبوه وابكوه عله يرثي   لبكاكم فيرعوي عن صدود

ليت شعري ايصبح الناس قومي   في صلاة في شغوة في رقود

قد احدثه بالأمس منه عهودا   اتراه نسي تلك العهود

شغل الناس بعدك العيش حتى   شغلو بالبكا ولطم الخدود

كنت فيها تقيم كل صلاة   وصلات وبدعة وجحود

كنت فينا تدعو لكل صلاح   باذلا في اصلاح كل الجهود

لم تكن تشتهي سوى نصرة الدين   ن جهارا بملة التوحيد

في سبيل الاله ما قد تلاقي   من شقاء ومحنة وجحود

ان في القلب لوعة واحتراقا   ومعاني الأسى والحزن الشديد

لا تقولوا قد مات بل تراه   يجتني العرف في جنان الخلود

لا تقولوا قد غاب ان سناه   في ازدياد ونوره في صعود

ان نعت في نعيه خير عزاء   سيما حمد كريم الجدود

ولنقتصر على هذه القصيدة اختصاراً ، والحمد لله وكفى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله تعالى وعونه

فهرس الكتاب

تم الفهرس

تصـــويب

(ص ٤٨ س ١٦ — لا الرجوع — ص ١٠٢ س ١٠ — وما أنا)
وربما بقيت أغلاط ضئيلة نبا عنها البصر لا تخفى على فطنة القراء

صحح وفهرس بمعرفتى
الشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق
احد علماء الأزهر الشريف

إعلان هام

شرعنا بعونه تعالى في طبع كتاب

« تشنيف الآذان »

بأدلة استحباب السيادة عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم في الصلاة والإقامة والأذان ، وهو كتاب فريد في بابه يشتمل على ثمانين دليلا من الكتاب والسنة وصحيح النظر على استحباب السيادة في الأحوال المذكورة وغيرها ، ورد على الوهابيين الجامدين والمبتدعين المتنطعين وغيرهم من أعداء البيت النبوي الشريف .

فبادروا إلى اقتنائه فإن النسخ محدودة .



